

# التشيع في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس الهجري

دكتور  
محمد بن محمد البسبي  
كلية الآداب - جامعة القاهرة

الناشر  
دار النهضة العربية  
٣٩ شارع عبد الحميد زوت

مطبعة جامعة القاهرة  
والكتاب الجامعي  
١٩٩٣

اهداء من  
احمد رزق  
نسألكم الدعاء  
صدقة جارية عنه وعن والديه

# التشيع في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس الهجري

دكتور  
محمد بن محمد (صبيح)  
كلية الدراسات والبحوث  
جامعة القاهرة

الناشر  
دار النهضة العربية  
٣٩ شارع عبد الناصر، القاهرة

مطبعة جامعة القاهرة  
والكتاب الجامعي  
١٩٩٣

17

18



## مقدمة

كانت بلاد المغرب جزءا هاما من الجناح الغربي لعالم الاسلام في القرون الوسطى ، وكانت مقصدا لكثير من الثوار ورافعى راية العصيان على حكومة الخلافة المركزية لبعدها عن دار الخلافة - الأموية فالعباسية - من ناحية ، وتهيؤ أحوالها لانبثاق بذرة الثورة من ناحية أخرى .

وإذا كان الخوارج والعلويون قد اتجهوا الى بلاد المغرب لتحقيق طموحاتهم السياسية فيها بعدما لاقوا المصاعب والهزائم في المشرق الاسلامي ، وتمكنوا فعلا من تحقيق بعض طموحاتهم هذه على أرض المغرب على النحو الذى تمثل فى دويلات الخوارج : بنو رستم الأباضية فى تاهرت وبنو مدرار الصفريّة فى سجلماسة من جهة ، ودولة الأدارسة العلويين فى فاس من جهة أخرى ، فإن الشيعة مالبثوا أن ساروا على ذات الطريق وتوجهوا الى بلاد المغرب ليحققوا على أرضها طموحاتهم السياسية فى إقامة دولة شيعية .

وإذا كان التشيع الاسماعيلى خاصة هو الذى نفذ الى بلاد المغرب فإن أهالى المغرب لم يكونوا مهياين لاعتناق التشيع الاسماعيلى بعد أن تمكنت السنة من نفوسهم - خاصة المذهب المالكي - فلم تترك للفرق الأخرى الا مساحات ضيقة على الساحة المغربية لتحقيق بعض النجاحات المحدودة - كالتى حققها الخوارج - والتي اتسمت مع محدوديتها بعزلتها وقلة تأثيرها - نسبيا - فى المجتمع المغربى .

أحرز التشيع المستور نجاحا أول الأمر على يد أبى عبد الله الشيعى الذى حرص أول دعوته على إخفاء مقاصده الشيعية وكان للاخفاء والتسوية الذى انتهجه أكبر الأثر فى تحقيق نجاحه السياسى وإقامة دولة ما لبثت أن كشفت عن حقيقة هويتها الشيعية ففقدت منذ الوهلة الأولى معارضة سنية

قوة جعلت العبيدين أصحاب هذه الدولة لا يشعرون بالاستقرار على الساحة المغربية وتطلعوا - منذ خليفتهم الأول - الى مصر يأملون أن يستولوا عليها لينقلوا اليها قاعدة دولتهم وحاضرتها . واذا كانوا قد نجحوا في تحقيق ذلك في عهد خليفتهم الرابع - المعز لدين الله - فقد خفف انتقال العبيدين الى مصر قبضة التسلط السياسى الشيعى عن أهل المغرب فقاموا يطرحون عن ظهورهم عباءة التشيع التى أجبروا على الدخول تحتها قهرا وعنوة وتسكن أهل المغرب - من القاء عباءة التشيع هذه ورفعوا من جديد راية التسنن عالية .

والكتاب الذى أقدمه بين يدى القارئ يستعرض تاريخ التشيع في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ، حتى طويت صفحة التشيع من كتاب التاريخ المغربى ، كما يستعرض موقف المغاربة من هذا التشيع ومدى قبولهم أو رفضهم إياه إبان وجوده بينهم أو تقلصه وانحصاره عنهم .

ولما كان التشيع الذى نفذ الى بلاد المغرب اسماعيليا على وجه الخصوص ، ولما كان انتساب الأسرة العبيدية الى البيت العلوى واتخاذهم اسم الفواطم أحد قواعد هذا التشيع الاسماعيلى فقد رأيت من المناسب أن تتناول قضية النسب العبيدى وتبين صحته أو كذبه من خلال الكتب الاسماعيلية ذاتها فمن الانصاف ألا ننساق وراء الروايات المعادية وأن نتعرف على حقيقة الدعوى من أصحابها . ونترك للقارئ أن يستخلص بنفسه رأيا مقننا من خلال استعراضنا لأقوال الاسماعيلية وكتاباتهم .

وبعد ، فقد أردت من خلال هذا الكتاب أن أعرض للحقائق التاريخية في حيدة وموضوعية وطرح جانبا - قدر طاقتى - كل ما من شأنه أن يخل بهذه الجودة والموضوعية آملا في أن أقدم للقارئ الكريم تاريخيا حقيقيا .

والله من وراء القصد .. وبالله وحده التوفيق ..

د . محمد بركات البيلي

ميت عباس / سينود / ١٩٩٢/٦/١

**فاطميون أم عبيديون**  
**قراءة تاريخية للنسب العبيدي في المصادر الاسماعيلية**

2000

2001

2002

2003

2004

2005

2006

2007

2008

2009

2010

2011

2012

2013

2014

2015

2016

2017

2018

2019

2020

2021

2022

2023

2024

2025

2026

2027

2028

2029

2030

2031

2032

2033

2034

2035

2036

2037

2038

2039

2040

2041

2042

2043

2044

2045

2046

2047

2048

2049

2050

2051

2052

2053

2054

2055

2056

2057

2058

2059

2060

2061

2062

2063

2064

2065

2066

2067

2068

2069

2070

فاطميون أم عبيديون ؟ ! قضية خطيرة مطروحة منذ وقت طويل ولا تزال - عن نسب الأسرة الشيعية التي حكمت ردحا طويلا من الزمن في المغرب الاسلامي ومصر - وغيرهما - باسم الفواطم (١) وانتهى حكمها في القاهرة على يد صلاح الدين الأيوبي في المحرم سنة ٥٦٧ هـ .

وإذا كان السؤال الرئيسي - على حد قول إيفانوف - في هذه القضية عما إذا كان عبيد الله المهدي (ع) - أول خلفائهم في إفريقيا - من سلالة النبي - صلى الله عليه وسلم - أم من غيرها (٢) فإن الإجابة على هذا السؤال غير قاطعة حتى الآن ولا يزال نسب تلك الأسرة مثار خلاف شديد بين الدارسين من المسلمين وغير المسلمين ، ولم يقطع القول فيه أحد من القدامى أو المحدثين وإنما وقف الدارسون منه موقفين متقابلين : منهم من يقر بصحة انتساب تلك الأسرة الشيعية إلى البيت العلوي ويرى أنهم فاطميون يصح انتسابهم إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومنهم من يدحض صحة ذلك النسب العلوي ويرى أن تلك الأسرة دعية في انتسابها إلى علي وفاطمة ولا يعدو نسبها كونها عبيدية نسبة إلى عبيد الله المهدي (٣) .

وعلى الرغم من شبهة إصدار أحكام مسبقة فائنا نرى أن تسميتهم بالعبيديين أكثر صحة ودقة من تسميتهم بالفاطمين وذلك لاعتبارين هامين هما :

(١) يرى صديقي د. أيمن فؤاد سيد ( الدولة الفاطمية في مصر ص ١٤ ) أن مصطلح الفاطميين لا يوجد في المصادر الاسماعيلية والفاطمية وأن كتب الدعوة تطلق على الدعوة اسم الدعوة البادية أو دعوة الحق غير أنه أورد في الكتاب نفسه ( ص ٤٢ ) نصا من تحفة القلوب للحامدي - وهو من كتب الدعوة - جاء فيه أن الأمر بأحكام الله الفاطمي وصف اليمن بأنها « ... لم تخل من أبناء الدعوة الفاطمية » .

\* الاسم الحقيقي للمهدي عبد الله لكن الشائع عبيد الله .

(٢) Ivanow Ismaili Tradition Concerning the Rise of The Fatimids, Calcutta, 1942. p. xviii.

(٣) يقول ابن خلكان ( وفیات الاعيان ، ج ٢ ص ٣٠٣ ) « ولاصل نسبتهم اليه يقال لهم العبيديون . هكذا النسب إلى عبيد الله » .

١ - أن العبيدين - إذا صح نسبهم العلوى - ليسوا وحدهم الفواطم حتى يستأثروا بلقب الفاطميين دون غيرهم وإنما يشاركونهم في الانتساب لفاطمة الزهراء - رضى الله عنها - فروع علوية أخرى من الحسين والحسينين ولم تكن كل هذه الفروع على وفاق معهم بل كان منهم من لا يرضى بأن يتفرد العبيديون من دولتهم باسم الفواطم ليصبح علما عليهم وحدهم دون سائر الحسين والحسينين (٤) .

٢ - إذا كان انتساب العبيدين إلى البيت العلوى لا يزال ماثراً خلاف ولم يقطع القول فيه حتى الآن بل يختلف الرأي فيه بين مؤيد ومكذب ، فإن نسبهم العبيدى ثابت مؤكد لا شبهة ولا جدال فيه ومن ثم فإن الأخذ بالقول الثابت المؤكد أولى وأصح من الأخذ بالقول المحتمل المشكوك فيه ومعنى ذلك أن تسميتهم بالعبيدين أولى وأصح من تسميتهم بالفاطميين (٥) على الأقل إلى أن تتأكد صحة انتسابهم إلى البيت العلوى .

لا ريب أن محاولة حسم قضية النسب العبيدى تكتنفها كثير من الصعوبات فالمصادر لا تقف إزاء هذه القضية في خندق واحد وإنما هي متباينة الهويات والأهواء والآراء في هذا الصدد . فالمصادر السنية - على تنوعها بين كتب للتاريخ والأنساب والفرق - ليست على اتفاق تام بشأن قضية النسب العبيدى ، فمنها من ينكر صحة انتساب العبيدين

(٤) يطلق كثير من النسابة العلويين اسم الفواطم على فروع علوية عديدة - غير العبيدين - فعلى سبيل المثال ، يذكر تاج الدين الحسينى ( غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الفيار ، ص ١٥٢ ) أن « ... الفواطم بمصر وكلهم ينتسبون في الحسين الأصغر بن علي زين العابدين » كما يذكر الرفاعى ( صحيح الأخبار عن الفاطمية الأخيار ، ص ٣٠ ) أن « الحسين الأصغر أعقب من خمسة رجال ... منهم الفواطم بمصر ، كان منهم العلامة النسابة الطاهر حيدرة الفاطمى » ومن الواضح أن أولاد الحسين الأصغر فرع علوى آخر غير أولاد محمد الباقر الذى يرفع العبيديون نسبهم إليه .

(٥) من الملاحظ أن ابن خلدون يؤيد صحة انتساب العبيدين إلى البيت العلوى لكنه يسمي دولتهم العبيدية وليست الفاطمية .

الى البيت العلوى (٦) ومنها من يؤيد صحة هذا النسب ويعيب على المنكرين له موقفهم منه (٧) وقد لاحظ برنارد لويس أن المصادر السنية المبكرة كانت قليلة المعلومات عن عقائد الاسماعيلية لكنها لم تشكل في صحة انتساب العبيدين للفواطم ثم بدأت المصادر السنية حوالى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى - خاصة منذ كتابات ابن رزام الكوفى - تتوسع في معلوماتها عن الاسماعيلية وظهر فيها اسم ميمون القنداح وابنه عبد الله وتحدثت عن دورهما في الحركة الاسماعيلية من جهة ومن جهة أخرى بدأ التشكيك في صحة انتساب الخلفاء العبيدين للبيت العلوى يدب في تلك المصادر السنية ويتطرق اليها (٨) .

وقد لا تخلو ملاحظات لويس هذه من الصواب ، لكنه لم يقدم لها تبريرا أو تفسيرا . وأغلب الظن أن ذلك راجع الى أن حركة الاسماعيلية كانت حتى أوائل القرن الرابع الهجرى لا تزال في دور التكوين ، تعيش مرحلة السر والتقية ، يخفى أئمتها وراء حجاب كثيف من السرية والتقية والترحال من مكان لآخر والحذر في اذاعة حقائق الدعوة الاسماعيلية الا فيمن يوثق به أشد الوثوق ومن ثم صعب على أهل السنة التعرف على الحقائق الخفية - الباطنية - للتشيع الاسماعيلي وصعب أيضا معرفة النسب الحقيقي لأئمة الاسماعيلية فتوقفت تلك المصادر المبكرة عن الخوض في موضوع لم تتضح جوانبه .

ولما أحرزت الاسماعيلية بعض النجاح وظهرت خباياها ودخل أئمتها في « دور الظهور » اجتهدت المصادر السنية في التحرى عن هؤلاء الأئمة فلم تعرف لهم نسبا صريحا ولم تهتد الى شجرة متصلة لهذا النسب

(٦) من هؤلاء : ابن حزم في جمهرة انساب العرب ، وابن ابيك الداودارى في الدرة المضية في تاريخ الدولة الفاطمية وابن خلكان في وفيات الأعيان والبغدادى في الفرق بين الفرق والشهورستانى في الملل والنحل وأبو حامد الغزالى في فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية والهمدانى في تثبيت دلائل النبوة وأبو المحاسن بن تفرى يردى في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ... وغيرهم .

(٧) من هؤلاء : ابن خلدون في العبر وديوان المتنبأ والخير والمقريزى في اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء وفى المقفى الكبير ترجمة المهدي عبيد الله .

(٨) أصول الاسماعيلية ترجمة خليل جلو وهاشم الرجب ، القاهرة / ١٩٤٧ ، صص ٥٢ - ٥٩ .



لطول تخفى هؤلاء الأئمة وتورايمهم وتستترهم أو كتمانهم وتقيتهم فشكت المصادر السنية في النسب العلوي-الأئمة الاسماعيلية لاسيما وأنه صعب على أهل السنة أن يصدقوا صدور مثل هذه الأباطيل والعقائد التي روجها الاسماعيلية عن أفراد يتسبون إلى آل البيت \* ولعل كتار

Canard قد أصاب إذ قال « يرفع الفاطميون نسبهم إلى اسماعيل بن جعفر وبنا أنهم لم يضحوا حقيقة من الزمن وبصفة رسمية وعلنية بنسبهم وأن أسماء الأئمة في دور الستر من محمد بن اسماعيل إلى عبيد الله المهدي بقيت قصدا في طي الخفاء فقد وردت سلسلة نسبهم بصورة مختلفة مما جعل أصل الفاطميين لا يزال حتى الآن يحوزة الغموض وقد أكرر خصوم الفاطميين انتسابهم إلى علي وقالوا أنهم أدعياء حتى أن عبيد الله اعتبر ابنا ليهودي حسب العادة العربية القديمة التي تنسب للأشخاص المكروهين إلى أصل يهودي » (٩) \*

لكن المصادر السنية معدودة من الأعداء الطبيعيين للبيديين ويقتضى الانصاف منا ألا نساق وراء ما تردده تلك المصادر السنية عن الاسماعيلية وأئمتها وغاية الانصاف أن نستقى سلسلة نسب الأئمة الاسماعيلية من المصادر الاسماعيلية ، لكن هذه المصادر الاسماعيلية لا تشفى غليلنا ولا يمكن الاكتفاء بها في التعرف على نسب العبيديين فهي لا تقدم الكثير عن دور الستر في تاريخ أئمة الاسماعيلية ، وقد لاحظ أيفانوف أن أسماء الأئمة المكتومين أو المستترين بين محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وعبيد الله المهدي لم يشر إليهم أبدا في كتب الاسماعيلية حتى وقت أبي حاتم الرازي والقاضي النعمان وجعفر بن منصور الين وغيرهم من كتاب الاسماعيلية الذين يتسبون إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وأن أول إشارة إليهم كسرت حاجز الصمت عنهم إنما جاءت في نهاية تلك الفترة عند مؤلف كتاب استنار الامام (١٠) وهو أحمد بن محمد النيسابوري الذي يبدو أنه كان اسماعيليا فارسيا ألف كتابه بإيعاز من العزيز بالله ثاني خلفاء العبيديين في مصر ( ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م ) كما ألف كتابا أخرى في عقيدة الاسماعيلية مثل : اثبات الامامة

(٩) نقلا عن محمد ولد داداه : مفهوم الملك في المغرب ، ص ٥٢ .

Ivansow; op. cit., p. 28.

(١٠)

والزاهرة في معرفة الدار الآخرة والمجازاة الكافية وتحفة القلوب (١١)  
بل يرى برنارد لويس أنه لا يوجد كتاب اسماعيلي يرجع إلى ما قبل حكم  
أول خلفاء الظهور في أفريقية - عبيد الله المهدي - باستثناء ما يسمى  
« أم الكتاب » عند اسماعيلية آسيا الوسطى وأن جميع الكتب الاسماعيلية  
التي وصلت إلينا تمثل مرحلة الدعوة « الفاطمية » الرسمية في عهد  
ضعفها أكثر مما تمثلها في عهد ثورتها الأولى (١٢) \*

توفضلا عما سبق فإن كتب الاسماعيلية ليست من نوع واحد  
ولا طبيعة واحدة كما أنها ليست على درجة واحدة من المصداقية وإنما هي  
نوعان : كتب الباطن أي الكتب السرية التي تضم أسرار الاسماعيلية  
وحقائقها الخفية التي يحرم الاسماعيلية على ألا يطلعوا عليها إلا المؤمنون  
فيهم من أتباعهم ، وكتب الظاهر وهي التي تكتب للعامة - عامة  
الاسماعيلية وغير الاسماعيلية - ويقدم فيها صورة معتدلة - أو محسنة -  
لمعتقد الاسماعيلية وآرائها \*

ومن الملاحظ أن ما يكتبه الكتّاب الاسماعيلي الواحد في  
كتب الظاهر يختلف كثيرا عما يكتبه هو نفسه في كتب الباطن (١٣) \*  
فعلى سبيل المثال يتناقض ما ذكره الداعي المطلق الاسماعيلي ادريس  
عماد الدين في كتابه عيون الأخبار - وهو من كتب الظاهر - مع ما ذكره  
الداعي نفسه في كتابه زهر المعاني - وهو من كتب الباطن - عن الأب  
المباشر لعبيد الله المهدي - أول خلفاء الظهور - وعن بنوة القائم  
بأمر الله - ثاني خلفاء الظهور - لعبيد الله المهدي - ففي عيون الأخبار  
يذكر الداعي ادريس أن القائم بأمر الله كان ابنا لعبيد الله المهدي من  
صلبه وأن المهدي كان ابنا للحسين بن أحمد وتكفله عنه سعيد الخير (١٤)

Ivanow; op. cit., p. 7.

(١١)

(١٢) أصول الاسماعيلية ، ص ٧٢ .

(١٣) احسان المي ظهير : الاسماعيلية ، تاريخ ومقائد ، لاهور ١٩٨٦

ص ٢٠ .

(١٤) عيون الأخبار وفنون الآثار ، بيروت ١٩٧٥ سبيع ٥ ص ٨٩ .

لكن الداعي ادريس نفسه يذكر في زهر المعاني أن المهدي لم يكن إلا سعيد الخير الذي استكمل القائم بأمر الله وأن القائم بأمر الله لم يكن ابننا حقيقيا للمهدي من صلبه وإنما كان ابنا روحيا ينسب إليه بتعليقه وإفادته (١٥) .

ويبدو أن الاسماعيلية في دور الظهور كانت تحاول تحسين صورتها سواء بالتخفيف من غلو عقائدها فيما تنشره من كتب الظهور أو بالتكاثف صلتها ببعض الغلاة سيئى السمعة مثل أبي الخطاب الذي تنسب إليه فرقة الخطابية المباركية فضلا عن محاولة تحسين صورة بعض رجالها الذين لا يمكن إنكار دورهم في الحركة الاسماعيلية مثل ميمون القداح وابنه عبد الله لكن هذه المحاولات أدت إلى كثير من التناقض بين كتب الظاهر والباطن الاسماعيلية بل تعدى الأمر ذلك إلى وجود المتناقضات أحيانا كثيرة داخل الكتاب الواحد ، فكتاب عيون الأخبار الذي أشرنا إليه لا يخلو من المتناقضات التي تزيد من الشكوك التي تحوم حول صحة انتساب العبيدين إلى البيت العلوي ولعله كان من أسباب تزايد تلك الشكوك احجام العبيدين عن اصدار اعلان رسمي يوضحون فيه فسهم الصريح ويقطعون به الجدل المتزايد حول نسبهم وألشك فيه ، ولم يكن احجامهم هذا مجرد استخفاف بالمتشككين كما فهمه ايفانوف (١٦) بل يبدو أن سببه هو عجزهم عن التصريح بنسب لا يكون أدلة قاطعة على صحته خاصة وأنهم لم يمودوا في حاجة إلى كتمانه تقيّة وسترا بعد أن أصبح لهم دولة وسلطان .

وعلى الرغم من ذلك فإن الانصاف — كما ذكرنا آنفا — يقتضى استقاء شجرة النسب العبيدى من كتابات الاسماعيلية أنفسهم لاسيما وأن المصادر السنية المعادية للاسماعيلية لا يمكن الركون إلى تكذيبها لصحة هذا النسب . ومع أن البحث يهدف أساسا إلى استجلاء النسب العبيدى دون الخوض في عقائد الاسماعيلية فلا مفر أحيانا من التعرض

(١٥) زهر المعاني من المنتخب لا يفتاوى ، ص ٦٦ — ٦٨ .

(١٦) Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids - p. 27.

بعض هذه العقائد التي لا يمكن فصلها عن نسب الأئمة ولا بد منها لاستجلاء بعض غوامض هذا النسب وفضلا عن ذلك فإن التعرف على شجرة هذا النسب يستوجب البدء من جذورها .

كان العبيديون شيعة اسماعيلية يقولون بما يقول به سائر الشيعة من أن الإمامة لا تكون إلا في علي بن أبي طالب وبنه من بعده (١٧) وتتفق الاسماعيلية مع غيرها من الامامية على وصول الامامة الى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب لكنها تتميز عن بقية الشيعة بقولهم ان الامامة آلت بعد جعفر الصادق الى ابنه اسماعيل ثم توارثها بنو اسماعيل من بعده « بالنص » في الأعقاب الأكبر فالأكبر لا ترجع القهقري ولا تعود الى الوراء (١٨) ولذلك أطلق عليهم اسم الاسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق (١٩) .

لم يكن التشيع يوما فرقة واحدة وإنما تعرض لسلسلة من الانقسامات المتتابعة التي قسمت التشيع الى فرق كثيرة كان بينها من دواعي الفرقة والخلاف أكثر مما يمكن أن يجمع بينها من دواعي التقارب والاتفاق (٢٠) . ولقد كانت فاجعة كربلاء نقطة تحول هامة في التاريخ الاسلامي عامة وتاريخ التشيع خاصة ، إذ أدت الى تحول التشيع بعد قتل الحسين الى عقيدة راسخة في نفوس الشيعة (٢١) ومنها كانت الانطلاقة الحقيقية

(١٧) الرصاص : مصباح العلوم في معرفة النحى القيوم ، بيروت ١٩٧١ ص ٢١ .

(١٨) الداعي ادريس : المصدر السابق ، سجع ٥ ص ١٦٠ .

(١٩) الأشعري : مقالات الاسلاميين ، نشر هلموت ريتز ص ٢٧ . والفزالي : فضائح الباطنية ص ١٦ والشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ص ١٦٧ .

(٢٠) النوبختي : فرق الشيعة . تحقيق ريتز ، التجف / ١٩٥٩ ص ١٦ وما بعدها . والبغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٦ .

(٢١) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية وسهيل زكار : الفكر الاسماعيلي في تطوره الافريقي ص ٢٨ - ٤٢ . الاسلامية ص ١٣٨ .

للتشيع المذهبي<sup>(٢٢)</sup> ، غير أنها كانت أيضا - فيما يبدو - مثار الخلاف بين أشياخ البيت العلوي الذي انقسم على نفسه الى ثلاثة أفرع رئيسية : الفرع الحسيني والفرع الحسيني ثم فرع محمد بن الحنفية<sup>(٢٣)</sup> وقد تفاوتت مسارات الفروع الثلاثة تفاوتاً ظاهراً وملحوظاً ، فقد غلب على الحسينيين الميل الى المعارضة الظاهرة والثورات العلنية مما عرضهم لانتقام كل من الأمويين والعباسيين من بعدهم ، بينما تنازل أتباع محمد بن الحنفية المعروفون باسم الكيسانية عن دعوى استحقاق الإمامة للعباسيين على حد زعم الرواية العباسية .

أما الفرع الحسيني فقد اهتز بعنف نتيجة فاجعة كربلاء التي فقد فيها أساطينه<sup>(٢٤)</sup> وكاد أن ينقطع نسله لولا نجاة علي زين العابدين بن الحسين من تلك المذبحة الشنيعة التي أوقعها الأمويون بالحسين ومن معه ، فركن على زين العابدين الى الدعة والسكون<sup>(٢٥)</sup> وعكف طيلة حياته على النسك والعبادة ، وسار على نهجه من بعده ولده محمد الباقر لاسيما بعد أن رأى فشل الثورة التي أشعلها أخوه زيد بن علي على الحكم الأموي ، وقد أطلق زيد على من انفص عنه من الشيعة اسم الرافضة<sup>(٢٦)</sup> بينما يعرف أتباعه باسم الزيدية .

(٢٢) شتروتمان : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة شيعة .

(٢٣) ليس صحيحاً ما ذهب اليه سهيل زكار ( الفكر الاسماعيلي في تطوره الاقليمي ، ص ٢٨ - ٤٢ ) من أن زعامة الحزب الشيعي بعد كربلاء انحصرت في ابتناء فاطمة ، فقد كانت الكيسانية حينذاك تدعو لإمامة محمد بن الحنفية ثم من بعده لابنه أبو هاشم عبد الله .

(٢٤) محمد السعيد جمال الدين : دولة الاسماعيلية في إيران ، ص ١٨ .

(٢٥) برنارد لويس : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٢٦) تلك هي البداية الحقيقية تاريخياً لمسمى الرافضة ( ابن خلدون ، المعبر ، ج ٤ ، ص ٢٩ ) فليس صحيحاً ما ذهب اليه البغدادي ( الفرق بين الفرق ص ١٦ ) من أن هذه التسمية بدأت في عهد علي بن أبي طالب ، وعلى الرغم من أن محمد الدين الحسيني المؤيدي ( التحف شرح الزلف ، ص ٢٧ ) يذكر أن الأمة أجمعت على أن الرافضة هم الفرقة الناجية على الإمام زيد بن علي فإن الداعي أدريس ( عيون الأخبار ، سجع ٤ ص ٢٤٨ ) حاول إبعاد هذا الاسم عن الاسماعيلية فذكر أن الرافضة هم أصحاب المقبرة بن سعيد البجلي من الفلاة لعنه محمد الباقر وتبرأ منه وكتب الي شيعة برفضهم وسماهم المغيرة الرافضة .

« لقد انقسم الفرع الحسيني بعد وفاة علي زين العابدين الى فرقتين رئيسيتين هما : الزيدية ، أتباع زيد بن علي زين العابدين (٣٧) والامامية وهم الذين قالوا بانتقال الامامة من علي زين العابدين الى ولده محمد الباقر ومنه الى ولده جعفر الصادق (٣٨) لكن الامامية ما لبثوا أن انقسموا على أنفسهم بعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ الى أكثر من فرقة (٣٩) كان أبعدهما حيتا وأكثرها أهمية فرقتا الاسماعيلية والاثنا عشرية ، وهما يتفقان على الأئمة الأوائل من علي بن أبي طالب حتى جعفر الصادق ، لكنهما - على حد قول الشهرستاني - « مختلفون في المنصوص عليه بعد الصادق من أولاده » ، فتقول الاثنا عشرية بامامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق بينما تقول الاسماعيلية بامامة أخيه اسماعيل بن جعفر جعلها له والده جعفر دون سائر ولده (٤٠) ثم تسوق الاسماعيلية الامامة في بني اسماعيل - على حد زعمها - من بعده وفقا لمعايير خاصة بها \* وإذا أمعنا النظر في معايير الاسماعيلية وأقوالها التي تبرر بها وتبرهن على مسارها الخاص للامامة ، سنجد أن الدعاية الاسماعيلية كانت تبرر وضعاً قائماً انتهى اليه تسلسل أئمتها بالفعل ومع أنها كانت تحاول أن تبدو وكأنها تستند في ذلك التبرير الى قواعد أو معايير مقررة سلفاً من قبل الأئمة الأوائل ويجب الالتزام بها في توارث الامامة دون تعديل ولا تبديل ، غير أن هاتيك القواعد والمعايير لم تكن - فيما يبدو - أولية ولم تكن معروفة في القرن الأول الهجري ولم يبدأ تقريرها الا منذ أوائل القرن الرابع الهجري أو أواخر القرن الثالث الهجري على أحسن

(٢٧) ترى الزيدية أن الامامة تكون فيمن قام ودعا الخلق الى طاعة الله تعالى وكان من ولد الحسن أو الحسين وهو جامع لخصال الامامة وهي العلم والفضل في الدين والسخاء بوضع الحقوق في مواضعها ثم الشجاعة في جهاد اعداء الله تعالى والقوة على تدبير أمر الأمة وسلامة الحواشي وجودة الرأي وحسن التدبير ( الرصاص : المصدر السابق ، ص ٢٢ - ٢٣ ) .

(٢٨) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ص ١٦٥ .

(٢٩) نفس المصدر ، نفس الصفحة والبغدادى : المصدر السابق

ص ١١٧ .

والدامي ادريس : المصدر السابق ، سيع ٤ ص ٣٣٢ .

(٣٠) الاشعري : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

والشهرستاني : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٧ .

تقدير (٣١) . وبعبارة أخرى فإن رفع هاتيك القواعد أو المعايير إلى على بن أبي طالب كان انتحالا غير صادق بأي حال من الأحوال .

وفضلا عن هذا فإن هاتيك المعايير أو القواعد لم تكن ثابتة ولا يلتزم الاسماعيلية بها دوماً ، وإنما كانت الدعاية الاسماعيلية تضع لكل فقرة معيارا خاصا أو تبريرا مناسبا تدعى أوليته متخافلة عما يشوب تلك المعايير من تناقض في كثير من الأحيان فكانت بذلك دعاية انتهازية لا تلتفت إلى تناقض اللاحق مع السابق ولا يهمها إلا تبرير توارث الامامة في أممتها متخذة إلى ذلك مقولات يتدعها مثل « النص » و « الامامة المستقرة والامامة المستودعة » وغير ذلك من المقولات التي تقنت الدعاية الاسماعيلية في وضعها ولم تمل ترددها لتبرهن على استحقات أممتها للامامة دون غيرهم .

إذا تتبعنا كيفية وصول الاسماعيلية بالامامة إلى اسماعيل بن جعفر وجدنا عدة نقالات شائكة كان على الاسماعيلية تبريرها وأول تلك النقالات الشائكة هي نقلهم الامامة من الحسن إلى الحسين وإخراجهم ولد الحسن منها نهائيا لتستقر في الفرع الحسيني دون الفرع الحسنی من العلويين .

تقول الدعاية الاسماعيلية في ذلك ان الامامة انتقلت من الحسن إلى الحسين وفقا « للنص » ولكن دعائها يختلفون فيما بينهم حول ماهية هذا « النص » ومصدره ، ففي كتابه غاية المواليد يقول الداعي الاسماعيلي خطاب بن الحسن « وقام أمير المؤمنين ( على بن أبي طالب ) بالرتبتين حتى حضرته غيبته فأظهرها فنص برتبة النبوة على ولده الحسن وبرتبة الامامة على ولده الحسين وعهد إلى الحسن عند حضور نقلته بأن يسلم الرتبة إلى أخيه الحسين بعد تقدم النص عليهما من جدهما بقوله الحسن والحسين امامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما ، فلما قضى الحسن نحب سلم إلى أخيه الحسين فاجتمعت الرتبتان في الحسين وقام

---

(٣١) لاحظ برنارد لويس ( اصول الاسماعيلية ص ١٠٣ ) ان جميع الوثائق الاسماعيلية المتوفرة لنا لا تسبق عصر نجاح الدعوة الاسماعيلية وتأسيس دولتها .



بهما حتى أظهر الغيبة « (٣٢) ويشير الداعي المطلق الاسماعيلي أدريس عماد الدين الى « النص » في هذه النقطة على نحو قريب مما ذكره خطاب بن الحسن فيذكر أن علي بن أبي طالب قال لابنته الحسن : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أوصي اليك وأن أدفع اليك كتيبي وسلاحي وأمرني أن آمرك اذا حضرك الموت أن تدفع ذلك الى أخيك الحسين (٣٣) . ويبدو أن الداعي أدريس أحس بأنه مقولة « النص » هنا لا تكفي للاقتناع فأضاف اليها في موضع آخر تبرير آخر قال فيه على لسان جعفر الصادق أن الامامة خرجت عن ولد الحسن الى ولد الحسين لأن الحسين كانت له الامامة بعد أخيه الحسن لأنه نظيره في التطهير وله فضل سبق على ولد أخيه الحسن (٣٤) .

ويبدو ذلك التباين في تفسير تلك النقطة هينا اذا قورن بما جاء في تبرير النقطة التالية من الحسين الى ولده علي زين العابدين . فبينما يذكر خطاب بن الحسن أن الحسين « قام بهما ( النبوة والامامة ) حتى أظهر الغيبة ... وولده علي بن الحسين في حد الطفولية فأودع له أخاه محمد بن حنفية واستكفله اياه وأوصى اليه أن يسلم اليه وديعته عند بلوغه أشده فقام محمد بن علي المعروف بابن الحنفية بأمر الله وبث دعائه وأقام دعوته الى أن أتاه علي بن الحسين فطلب تسليم وديعته ... فعند ذلك جمع محمد بن علي الدعاة والقباء وسلم اليه بحضرتهم » (٣٥) .

لكن الداعي أدريس يديج لتلك النقطة دياجة أخرى فيذكر أن علي بن أبي طالب « أقبل على الحسين فقال له : وأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدفعه الى ابنك هذا ثم أخذ بيد ابنته علي بن الحسين فضمه اليه ثم قال : يا بني وأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣٢) غاية المواليد من المنتخب من بعض كتب الاسماعيلية ، نشرة إيفانوف ، ملحقاً بكتابه، *Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids* ص ٣٥ من النص العربي .

(٣٣) عيون الأخيار ، سبع ٤ ، ص ٢١١ .

(٣٤) نفس المصدر : سبع ٤ ، ص ٢١٠ .

(٣٥) غاية المواليد ، من المنتخب ، ص ٣٥ .

أن تدفعه الى ابنك محمد واقرأه من رسول الله ومنى السلام ، فنص عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبان فضله وقضل ابنه محمد الباقر « (٣٦) » .

الخلاف بين ديباجتي خطاب بن الحسن وادريس عماد الدين واضح جلي الا أنه تجدر الإشارة الى الملاحظات الآتية :

١ - كان مقتل الحسين في كربلاء مثار أول خلاف بين الشيعة حول استحقاق الامامة ولم تكن الاسماعيلية حاضرة في هذا الخلاف الأول - لأنها لم تكن قد وجدت بعد - الا أنه كان لزاما عليها أن تدلي برأيها فيه لتبرر كيفية سوقها الامامة الي أئمتها .

٢ - بررت الاسماعيلية حصرها الامامة في ولد الحسين دون ولد الحسن بمبررات ثلاثة :

أولاً : قرب رحم أولاد الحسين الى أبيهم حيث يضيف الداعي أدريس على لسان جعفر الصادق : فلما قتل الحسين لم يجر أن ترد الامامة الى ولد الحسن وانما كان ولد الحسين أولى بها لأنهم أقرب الى أبيهم رحماً « وأولى الأرحام بعضهم أولى ببعض » ( الأنفال / آية ٧٥ ) فأخرجت هذه الآية الكريمة - على حد قوله - ولد الحسن من الامامة وحكمت لأولاد الحسين بمصير الامامة فيهم الى يوم القيامة (٣٧) .

ثانياً : أفضلية علي زين العابدين بن الحسين على ولد الحسن اذ يذكر الداعي أدريس أنه لم يكن في ولد الحسن من يضاهي علي بن الحسين في فضله وعلمه وزهده وعبادته (٣٨) .

ثالثاً : النص على امامة علي زين العابدين وهذا النص لم يكن من قبل علي بن أبي طالب فحسب وانما يرجع به الداعي أدريس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣٦) عيون الأخبار ٤ سبيع ٤ ص ٢١١ .

(٣٧) نفس المصدر : سبيع ٤ ص ٢١٠ .

(٣٨) نفس المصدر ، سبيع ٤ ص ٢١١ .

إذا دققنا النظر في المبررات الثلاثة وجدنا أولها تبرير محدث اخترعته الامامية - والاسماعيلية منهم - لتسقط مطالبة الفرع الحسيني بالامامة وكلا تعود الامامة القهري الى ولد الحسن بعد مقتل الحسين ولو قيل به قبل ذلك لما آلت الامامة الى الحسين أصلاً . أما القول بأفضلية علي زين العابدين علي ولد الحسن فهو تفضيل من وجهة نظر الحسينيين ولا يلزم الحسينيين الأخذ به ومثل هذا التفضيل وإضفاء الألقاب على المبرزين من البيوتات الطامحة الى الحكم كان مثار تنافس بينهما فإذا كان لدى الحسينيين زين العابدين فقد كان لدى الحسينيين ذو النفس الزكية بل وكان لدى العباسيين من لقب بالسجاد .

أما عن المبرر الثالث وهو القول « بالنص » علي امامة علي زين العابدين فقد ورد في كتب الاسماعيلية علي أكثر من وجه فيذكر الداعي خطاب بن الحسن أن الحسين لما أظهر الغيبة « وولده علي ابن الحسين في حد الطفولية فأودع له أخاه محمد بن حنفية واستكفله إياه وأوصى اليه أن يسلم اليه وديعته عند بلوغه أشده » (٣٩) بينما يذكر الداعي المطلق ادريس أن علي بن أبي طالب التقى حفيده علي بن الحسين وأخبره بالنص عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أخبره أيضاً بالنص علي ابن سوف يتجبه بعد أن يكبر ويتزوج ويسميه محمد (٤٠) ، ولكي يثبت الداعي ادريس صحة ما يدعيه عن لقاء علي بن الحسين بجده علي بن أبي طالب ، يزعم الداعي ادريس أن عليا المقتول مع أبيه يوم كربلاء هو علي الأصغر ويجعل عليا الناجي من القتل يومذاك هو علي الأكبر محرفاً بذلك الادعاء واقعة تاريخية مؤكدة عن نجاة علي الأصغر لرضه في حجور النساء يوم كربلاء (٤١) وتعتمد الداعي الاسماعيلي التحريف

(٣٩) غاية الموالي من المنتخب ، ص ٣٥ .

(٤٠) عيون الاخبار ، سبع ، ص ١٤٢ .

(٤١) يذكر القريري ( اتعاظ الحنفا ، ج ١ ص ١٣ ) ان عليا الأكبر قتل بالطف ولا عقب له أما علي الأصغر ففيه البقية . ويذكر المخرومي ( صحيح الاخبار عن الفاطمية الاخيار ) انه ليس علي وجه الأرض من حسيني الا وينتهي عقبه الي علي الأصغر زين العابدين ويذكر محمد بن أبي بكر الحسيني ( المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي ، ج ١ ص ٨٩ ) ان العقب من علي الأصغر أما علي الأكبر فانه قتل مع الحسين يوم كربلاء .

لأن القول بنجاة علي الأصغر - وليس الأكبر - يوم كربلاء لا ينفي فقط واقعة التفائه بجده الذي تكون وفاته قبل ميلاد حفيده زين العابدين وإنما ينفي أيضا مقولة « النص » بالكيفية التي صاغها الداعي ادريس ومن ثم ينقطع اتصال الإمامة في الأعقاب الأكبر فالأكبر وهو المبدأ الاسماعيلي الهام الذي يعد ركيزة أساسية في عقيدة الاسماعيلية ورأيها في الإمامة ولذلك لا يبالى الداعي ادريس بتحريف الوقائع التاريخية واستبدال المقتول بالتاجي لكي يحفظ على الاسماعيلية مقولة طالما تشدقت بها وفرية افترتها ثم توهمت صدقها حتى أن ابن خلدون - وهو أحد القائلين بصحة انتساب العبيدين للبيت العلوي - لا يتردد عن وصف مقولة « النص » بأنها من الأكاذيب أو على حد قوله « من موضوعات الإمامية وأكاذيبهم » (١٢) .

٣ - وجدير بالملاحظة أيضا أن الدعاية الامماعيلية كان تنتهز كل فرصة سانحة للنيل من ادعاء القوى المناقصة باستحقاق كل منها للإمامة فكما حرص الداعي ادريس على اخراج ولد الحسن من الإمامة وحرص على اخراج الزيدية منها ، تجد خطاب بن الحسن يجعل محمد بن الحنفية كقبلا لعلي بن الحسين ومستودعا لإمامته وعاملا فيها باسمه وهو بذلك لا يصادر فقط على قول الكيسانية بإمامة محمد بن الحنفية وولده أبي هاشم عبد الله من بعده وإنما يصادر أيضا على ادعاء العباسيين انتقال الإمامة اليهم عن طريق تنازل أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية عن الإمامة لمحمد بن علي العباسي .

٤ - لم يكن القول « بالنص » مقبولا عند سائر أولاد علي زين العابدين بل كان منهم من يبطله ويرفض القول به مثل زيد بن علي الذي كان أتباعه من الزيدية - على الرغم من قولهم بحصر الإمامة في أولاد الحسن والحسين - يطلون القول بالنص (١٣) .

(١٢) العبر وديوان المبتدأ والخير ، ج ٤ ص ٢٩ .

(١٣) الرصاص : المصدر السابق ص ٤٣ يقول « وإنما حصرنا الإمامة في أولاد الحسن والحسين لأن الأمة أجمعت على جوازها فيهم واختلفت فيمن سواهم بعد بطلان قول الامامية بالنص على جماعة من ولد الحسين لأنه لو كان ما ادعوه من النص صحيحا يوجب أن يكون ظاهرا مشهورا عند جميع المكلفين فلما لم يكن معلوما وجب نفيه » .

ويشير الداعي الاسماعيلي ادريس نفسه الى تشكك زين بن علي في مقولة النص اذ سأل بعض الشيعة : أعندك عهد من أبيك أو وصية أوصى بها اليك ؟ (٤٤) فأجاب زيد : لا ومعاذ الله أن أقول عليه ما لم يقله ولكن الامام منا من شعر سيفه وقام بأمر الأمة لا من قعد في بيته وأرخص عليه ستره ثم يبدي زيد تشككه في أن يكون أبوه علي زين العابدين قد أوصى بالامامة الى أخيه محمد الباقر دون أن يطلعه على هذا السر مع أنه - أي زيد - كان مقربا من أبيه (٤٥) . ولا يجد الداعي الاسماعيلي ادريس بدا من التشكيك في شهادة زيد بن علي عن بطلان مقوله النص فيزعم ادريس أنه يصح ألا يخبر علي زين العابدين ابنه زيدا بوصيته الى محمد الباقر ، ويقوم الداعي الاسماعيلي ادريس في سبيل تدعيم زعمه بتأويل قصة يوسف عليه السلام وعدم اخباره اخوته برؤياه تأويلا يوافق هوى الاسماعيلية ويدعم آراءهم (٤٦) .

على أي حال ، ترى الامامية - ومنها الاسماعيلية - أن الامامة انتقلت من علي زين العابدين الى ابنه محمد الباقر ومنه الى ابنه جعفر الصادق - كما سبق أن أشرنا - لكن الامامية مالبثوا بعد وفاة جعفر الصادق أن انقسموا انقسامًا خطيرا حول من يستحق الامامة من أبنائه .

لم يقتصر انقسام الامامية حول من يخلفه جعفر الصادق في الامامة على فرقتين فقط كما قال ابن خلدون (٤٧) وإنما كان ذلك الانقسام أوسع من ذلك بكثير (٤٨) ويعترف أكثر من مصدر اسماعيلي باتساع شقة ذلك الخلاف فيذكر الداعي ادريس أنه كان « اختلافا كبيرا » (٤٩) اذ أنه

---

(٤٤) يلاحظ ان السائل لم يسأل زيدا عن « النص » وإنما سألته عن عهد أو وصية ، مما يدل على أن كلمة النص لم تكن متداولة حينذاك ولم تعرف وإنما ابتدعتها الاسماعيلية بعد ذلك .

(٤٥) عيون الاخبار ، سجع ٤ ص ٢٢٩ .

(٤٦) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٤٧) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٤ ص ٢٩ .

(٤٨) البغدادي : المصدر السابق ص ١٧ .

(٤٩) عيون الاخبار ، سجع ٤ ص ٣٣٢ .

« لما توفي الامام الصادق تاه كثير من الشيعة في أولاد الصادق واختلفت مقالاتهم في المستحق بعده أن يكون الامام » (٥١) .

ومع أن المؤرخين والنسابة يختلفون في تعداد أبناء جعفر الصادق وتسميتهم (٥١) فإن الشهرستاني (٥٢) والكتاب المنسوب إلى عبيد الله المهدي (٥٣) وجعفر بن منصور اليعنبي (٥٤) يحصرون ذلك الخلاف حول أربعة فقط من أبناء جعفر الصادق ادعى كل منهم النص والتعيين وهم : محمد وعبد الله وموسى واسماعيل .

عرفت الفرقة التي نادت بامامة محمد بن جعفر الصادق بالمحمدية (٥٥) وعرفت الفرقة التي نادت بامامة عبد الله الأفعطج بالأفطحية (٥٦) وعرفت الفرقة التي نادت بامامة موسى بن جعفر بالموسوية أو الاثنا عشرية بينما عرفت الفرقة التي قالت بامامة اسماعيل بن جعفر - أو بالأحرى محمد بن اسماعيل بن جعفر - بالاسماعيلية .

(٥٠) عيون الأخبار، سبع ٤ ص ٣٣٥ .

(٥١) من المؤرخين من يجعل أبناء جعفر الصادق أربعة فقط هم : اسماعيل وموسى ومحمد وعبد الله (الهمداني : في نسب الخلفاء الفاطميين ص ٩) وعطاء ملك الجويني : تاريخ جهاتكشاي، ص ١٤٤) ومنهم من يجعل عددهم خمسة هم : اسماعيل وموسى ومحمد وعلي العريفي واسحاق الحسيني : عمدة الطالب في ائساب آل أبي طالب ص ١٧٣ والرفاعي : صحيح الأخبار عن السادة الفاطمية الأخبار ص ٤٤) ويجعل الداعي ادريس عددهم خمسة أيضا لكنه يسميهم : اسماعيل وعبد الله وموسى واسحاق ومحمد (عيون الأخبار، سبع ٤، ص ٣٣٢) بينما يزيد القريري عددهم إلى سبعة هم : اسماعيل وعبد الله وموسى واسحاق ومحمد والعباس وعلي العريفي (الاعاقل الحثقا، ج ١ ص ١) بل يزيد عبد الرحمن بن محمد ابن حسين عددهم إلى ثلاثة عشر هم : عبد الله ويحيى والمحسن والحسن وجعفر ومحمد الاصفى وعبد الله الأفعطج واسماعيل الامرج ومحمد الأكبر الملقب بالديباج واسحاق المؤمن وموسى الكاظم وعلي العريفي (شمس الظهيرة ص ٤٦) .

(٥٢) الملل والنحل، ج ١ ص ١٦٥ .

(٥٣) الهمداني : المصدر السابق، ص ٩ .

(٥٤) أسرار التنقياء، من المنتخب لايفانوف ص ٨٣ .

(٥٥) نفس المصدر، ص ٨٤ .

(٥٦) الشهرستاني : المصدر السابق، ج ١ ص ١٦٧ .

هكذا كان انقسام الامامية بعد جعفر الصادق كبيرا في حجه خطيرا في ابعاده ، أما عن أسبابه فقد اختلفت فيها المصادر الاسماعيلية اختلافا بينا ، فبينما يذكر الكتاب المنسوب الى عبيد الله المهدي أن سبب ذلك الانقسام هو كتمان جعفر الصادق اسم الامام الذي يأتي بعده (٥٥) فإن جعفر بن منصور اليمن (٥٨) وخطاب بن الحسن (٥٩) وصاحب كتاب التراتيب (٦٠) يذكرون أن الصادق لم يكتف اسم الامام بعده وإنما سلم الامامة لولده اسماعيل في حياته . أما الداعي ادريس فيناقض نفسه من كتاب له الى آخر ، اذ يذكر في عيون الأخبار أن الصادق كتم اسم الامام بعده (٦١) لكنه يذكر في زهر المعاني أنه جعل الامامة لاسماعيل (٦٢) .

غير أن اسماعيل بن جعفر — باجماع كافة المصادر — كان قد توفي في حياة أبيه الذي حرص على التأكيد على خبر وفاة ولده واشهاد الناس عليها .

واذا كانت المصادر قد اختلفت في تبريرها لتأكيد جعفر واشهاد الناس على وفاة ولده (٦٣) فإن المصادر الاسماعيلية قد وجدت نفسها في مأزق

---

(٥٧) الهمداني : المصدر السابق ، ص ٩ .

(٥٨) اسرار النطقاء ، ص ٩٤ .

(٥٩) غاية المواليد ، من المنتخب لايفاتوف ص ٣٦ .

(٦٠) نشره سهيل زكار ضمن أخبار القرامطة ، ويرى أن مؤلفه المجهول الاسم قد يكون معاصرا لقيام الدولة العبيدية ( ص ص ١٣٥ - ١٣٦ ) .

(٦١) عيون الأخبار ، سبع ٤ ص ٣٣٣ .

(٦٢) زهر المعاني ، من المنتخب ، ص ٤٧ .

(٦٣) ترى المصادر السنية أن جعفر الصادق كان يؤكد على وفاة ولده اسماعيل تكديبا لما ينقله الشيعة عن أن الامامة في جعفر وانها تنتقل بالنص في الاقطاب الاكبر فالأكبر ، فأراد جعفر — وهو امام في العلم مقدر عند أهل السنة — أن يكذب مقولة النص التي تزعمها الامامية . وترى مصادر الاثنا عشرية أن جعفر الصادق كان يؤكد على وفاة ولده اسماعيل كيلا يظن الظانون أن الامامة له بعد أبيه وانها انقلت بوفاته الى اخيه موسى الكاظم ابن جعفر الصادق .

( النويختي : فرق الشيعة ، ص ص ٩٩ - ١٠٠ ، والقمي : المقالات والفرق ص ص ٨٨ - ٨٩ ) .



يسبب تلك الوفاة التي تهدد بانقطاع تسلسل الأئمة كما يراه الاسماعيلية فتدعى لتجاوز ذلك المأزق ادعاءين : أولهما ، أنها تصور وفاة اسماعيل ابن جعفر على أنها غيبة مفتعلة للتبويه على العباسيين وأن جعفر الصادق حيك تشيلية بارعة أدى فيها دوره باقتدار ليوهم أبا جعفر المنصور - ثانياً خلفاء العباسيين - بأن اسماعيل بن جعفر المعروف امامته قد توفي كيلا يطلبه أبو جعفر الدوانيقي - على حد وصف الاسماعيلية إياه - لكن اسماعيل ما لبث أن ظهر في البصرة بعد أيام من اعلان خبر وفاته (٦٤) وثانيهما هو أن اسماعيل حين حضرته النقلة - الوفاة - في حياة أبيه انتقلت الامامة الى محمد بن اسماعيل (٦٥) .

ولكى تصل المصادر الاسماعيلية بالامامة الى اسماعيل وابنه من بعده ، حرصت على أن تدحض دعوى كل فرقة فادت بامامة ابن من أبناء جعفر غير اسماعيل (٦٦) مبرهنة على امامة اسماعيل وولده إبراهيم يصعب تعيها على غير الاسماعيلية (٦٧) .

ومهما يكن من أمر فإن نسب أئمة الاسماعيلية يدخل في منعطف خطير من خلال رأى خطير جدا طلع به علينا الكتاب الاسماعيلي المنسوب الى عبيد الله المهدي والذي قيل أنه أرسله الى اليمن متفصلاً أسماء الأئمة المستورين للاسماعيلية ، جاء فيه : « وكان صاحب الحق منهم - أي أولاد جعفر الصادق - عبيد الله بن جعفر . فلم يكن علم مقامه الا عند

---

(٦٤) جعفر بن منصور اليمن : المصدر السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٤ والداعي ادريس : زهر المغانى ، ص ٤٨ .

(٦٥) تختلف المصادر الاسماعيلية حول كيفية حدوث ذلك فمتبا من يقول أن اسماعيل اوصى والده الصادق بأن يقسم لولده حجباً ومستودعاً ( زهر المغانى ص ٣٧ ) ومنها من يقول أن اسماعيل سلم الامامة الى والده في حضور أبيه . ( اسرار النطقاء ص ٩٩ ) .

(٦٦) انظر على سبيل المثال : جعفر بن منصور اليمن : كتاب اسرار النطقاء من المنتخب ، ص ٨٣ - ٩٣ .

(٦٧) نفس المصدر ص ٩٤ - ١٠٤ .

والداعي ادريس : صيون الاخبار ، سجع ٤ ص .

الأيواف والثقات تقية عليه ، وقد تعلق به قوم على غير هذه الحقيقة  
ثوهم منهم ، فلما أراد الأئمة من ولد جعفر احياء دعوة الحق خافوا من  
تفاني المتأففين فتسموا بغير اسمائهم ..... فأشاروا بالامامة الى عبد الله  
وتسمى باسماعيل ودعوا أن المهدي اسمه محمد بن اسماعيل لأنه محمد  
وهو من ولد عبد الله الذي تسمى باسماعيل فتأفق جماعة من دعي  
فذكروا اسماعيل ومحمد بن اسماعيل وهما لا يوجدان وأصحاب الحق  
سالمون آمنون ، فكان كلما قام منهم امام تسمى بمحمد والاشارة في  
الدعوة الى محمد بن اسماعيل والمراد باسماعيل عبد الله والمراد بمحمد  
كل من كان في عصره الى أن يظهر صاحب الظهور وهو محمد فتزول  
التقية والأمر منتظم بهذه التسمية » (٦٨) \*

إذا صح هذا النص الذي ورد في الكتاب المنسوب الى عبيد الله  
المهدي فانه يعني أن اسماعيل الذي تأخذ الاسماعيلية اسمها عنه ويتحدث  
عنه أئمتها لم يكن في الحقيقة الا اسما حركيا لعبد الله بن جعفر الصادق  
وأن الاسماعيلية عاشوا طيلة تاريخهم يتوهمون وهما كغيرهم اتباع  
اسماعيل بينما هم في الحقيقة اتباع عبد الله الذي اتخذ اسم أخيه سترأ  
وتقية \*

لا شك أننا أمام قضية شائكة وحلقة حاسمة في سلسلة نسب أئمة  
الاسماعيلية فهل هم من نسل اسماعيل بن جعفر أم من نسل عبد الله الذي  
اتخذ من اسم اسماعيل اسما حركيا ؟ !

إذا قيل انهم من نسل اسماعيل بن جعفر الصادق فقد يرى البعض  
أنه لم يكن هناك مبرر أوداع لأن يرث اسماعيل الامامة في حياة أبيه جعفر  
ليورثها لابنه محمد - في حياة جعفر أيضا - ومحمد هذا مشكوك في  
وجوده عند البعض ممن يرون أن اسماعيل لم يعقب أو ممن يرون أن اسم  
محمد هذا كان اسما حركيا على النحو الذي يذهب اليه الكتاب المنسوب  
الى عبيد الله المهدي وفضلا عن هذا فان مقولة « النص » التي تبرز  
وحدها هذا التوارث غير مقبولة الا عند الاسماعيلية ولا يعدو رأي  
الآخرين فيها رأي ابن خلدون الذي يرى أنها من موضوعات الامامية  
وأكاذيبهم \*

٦٨) الهمداني : في نسب الخلفاء الفاطميين ، ص ١٠ .

وإذا قيل أنهم من نسل عبد الله بن جعفر الذي اتخذ من اسماعيل اسما حركيا ينبغي مناقشة ذلك في ضوء الاعتبارات الآتية : -

١ - لم يذكر بعض النسابة العلويين اسم عبد الله ضمن أبناء جعفر الصادق (٦٩) غير أن كتابا كثيرين مثل الشهرستاني (٧٠) والمقرئ (٧١) والكتاب المنسوب إلى عبيد الله المهدي (٧٢) وعطا ملك الجويني (٧٣) وعبد الرحمن بن حسين (٧٤) والداعي الاسماعيلي ادریس عماد الدين (٧٥) وغيرهم ، يذكرون اسم عبد الله ضمن أبناء جعفر الصادق ، بل يشير بعضهم إلى أنه كان الشقيق الأوحد لاسماعيل ، أمهما فاطمة بنت الحسن الثاني بن علي بنت أبي طالب ، لم يتزوج جعفر الصادق عليها ولم يتخذ سرية في حياتها حتى توفيت فتزوج بعدها واتخذ أمهات أولاد (٧٦) وعلى ذلك فإن الأخوين الشقيقين اسماعيل وعبد الله كانا أكبر أخوتها سنا لكننا لا نعرف على وجه التأكيد أيهما كان أسن من أخيه فالاسماعيلية ترى أن اسماعيل كان أكبرهما سنا (٧٧) والأفطحية - اتباع عبد الله الملقب بالأفطح - تقول أن عبد الله كان أسن من اسماعيل (٧٨) ولا يخفى على الباحث أن كل فرقة منهما كانت تريد إثبات حق صاحبها في الإمامة

(٦٩) مثل الرافعي : صحيح الأخبار ص ٤٤ والحسني : عمدة الطالب ص ١٧٣ .

(٧٠) الملل والنحل ، ج ١ ص ١٦٥ .

(٧١) انماط الحنفا ، ج ١ ص

(٧٢) نشره حسين بن فضل الله الهمداني ، ص ٩ .

(٧٣) تاريخ جها تكتشاي ، ص ١٤٤ .

(٧٤) شمس الظهرة ، ص ٤١ .

(٧٥) عيون الأخبار ، سبع ٤ ص ٣٣ .

(٧٦) الشهرستاني : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٥ والمقرئ : المصدر السابق ج ١ ص ١ والداعي ادریس : المصدر السابق ، سبع ٤ ص ٣٣٢ .

(٧٧) الداعي ادریس : المصدر السابق ، سبع ٤ ص ٣٣٢ .

(٧٨) الشهرستاني : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٥ .

بجعله أسن من أخيه . لكنه إذا كان اسماعيل قد توفي في حياة أبيه جعفر الصادق فإن عبد الله لم يعيش بعد والده أكثر من سبعين يوماً فقط (٧٩) .

٢ - يذكر بعض الكتاب أن عبد الله بن جعفر مات دون أن يعقب (٨٠) ويذكر بعض آخر أن اسماعيل لم يعقب - كما سبق أن أشرنا - أو أن محمد بن اسماعيل توفي دون أن يعقب (٨١) ومعنى ذلك - إذا صح - انقطاع نسل كل من اسماعيل وعبد الله ولدى جعفر الصادق .

٣ - في ضوء ما سبق نجد أنفسنا أمام أقوال متناقضة يصعب تصديقها أو تكذيبها في آن واحد إذ لا تلك دليلاً قاطعاً على أي من الأمرين لاسيما وأن الخلفاء العبيديين تجاهلوا تماماً ما يثار حول نسبهم من تساؤلات ولم يبالوا بما تلوكهم به الألسنة (٨٢) أما لانتقارهم إلى ما يقتنعون به الناس عن صحة نسبهم أو رغبة منهم في عدم كشفه أولئك الذين سترهم الله (٨٣) .

٤ - لكن كتابا اسماعيلياً متقدماً نسبياً - ومن ثم قد يعتد برأيه - هو كتاب التراتيب ، يذكر عبارة قد يكون لها مغزى إذ جاء فيها « وانتسب الإمام الحق بعد اسماعيل إلى ابن أخيه وهو محمد لشدة تعاطف الفترة وظهور الأضداد » (٨٤) .

ومهما كانت أوجه فهمنا لهذه العبارة فإنها تنتهي بنا إلى أن الإمام بعد اسماعيل انتسب إلى غيره من أخوته أي أن الإمام بعد اسماعيل بن جعفر لم يكن ابنه وإنما كان ابن أخ له مما يدعونا إلى التساؤل : ابن من هو من أخوة اسماعيل ؟ ! هل هو ابن عبد الله كما يشير الكتاب

(٧٩) نفس المصدر ، نفس الصفحة والهامي أدريس : المصدر السابق ، ص ٤ ص ٢٢٥ .

(٨٠) نفس المصدران ، نفس الصفحات .

(٨١) الغزالي : فضائح الباطنية ص ١٦ والحمادي : كشف أسرار الباطنية ص ١٩٨ والبهقادي : الفرق بين الفرق ص ٤٧ .

(٨٢) Ivanow; op. cit. p. 27.

(٨٣) أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٢٢ .

(٨٤) كتاب التراتيب ، ( نشر ضمن أخبار الترامطة ) ص ١٣٧ .

المنسوب الى عبيد الله المهدي ؟ ! لكن عبد الله الأقطح بن جعفر الصادق مات بعد أبيه بسبعين يوما دون أن يعقب - كما سبق أن أشرنا - فهل يمكن أن يكون هناك عبد الله آخر ؟ ! وإذا كان المنكرون لصحة انتساب العبيدين الى البيت العلوي يتهمونهم بأنهم من نسل عبد الله بن ميمون القداح فهل من الممكن أن يكون عبد الله المشار اليه - تلميذا دون تصريح - والذي اتخذ لنفسه اسم اسماعيل على سبيل التقية هو عبد الله ابن ميمون القداح ؟ !

إذا أردنا الاجابة على هذه التساؤلات ، فان الانصاف يقتضي منا ألا تنساق وراء الروايات المعادية للعبيدين والتي قد يدفعها عداؤها الى تلقيب ما قد لا يصح عنهم ، ولذا فأننا سنهتّم أساسا باستقراء الروايات الاسماعيلية قبل غيرها على أن يؤخذ في الاعتبار مدى مصداقيتها .

يشير الداعي المطلق ادريس في عيون الأخبار الى مكانة عبد الله بن ميمون القداح في الحركة الاسماعيلية فيقول « وكان الامام اسماعيل بن جعفر قد اختص عبد الله بن ميمون القداح وأقامة حجة له ولأنه محمد بن اسماعيل ودليلا عليهما وهاديا اليهما بأمر الصادق فخرج عبد الله بن ميمون الى مكة وأظهر الدعوة الى أهل البيت ولم يبن أمر ولي الله بل ستره وأخفاه وكنهه تقيه عليه من الأضداد وخوفا من أهل العناد ، ولم يعرف بأمامة اسماعيل وولده محمد الا قليل ممن عرف فيهم الدين والأمانة فأمرهم بالستر لما أطلعهم من ذلك والضيافة » (٨٥) .

ويذكر الداعي ادريس أيضا « وميمون القداح هو من شيعتهم وأوليائهم وقد ذكرنا أنه كان حجة الامام اسماعيل بن جعفر (٨٦) وولده عبد الله بن ميمون كان حجة محمد بن اسماعيل وبنيه داعيا اليهم ...

(٨٥) السبع ٤ ، ص ٣٣٥ .

(٨٦) ما ذكره الداعي ادريس من قبل هو أن عبد الله بن ميمون - وليس ميمون - هو حجة اسماعيل بن جعفر وولده محمد بن اسماعيل لكن الداعي ادريس نفسه في كتابه زهر المعاني يذكر أن جعفر الصادق سلم محمد بن اسماعيل الى ميمون القداح وجعله « كفيل له ومستودع أمره » ويضيف « وكتم الصادق منزلة ابن ابنه وأقام له ميمون القداح وابنه عبد الله ابن الميمون كفلاء » ( زهر المعاني من المنتخب ، ص ٣٧ ، ص ٣٩ ) .

وكانوا من بعد محمد بن اسماعيل قد دخلوا في كهف التقية وأخفوا  
أسماءهم وأنسابهم لعظم المحنة والبلية خيفة وخفية من عدوهم ... وكان  
الدعاة وقت التقية يخفون اسم الامام وربما تسمى أحد من الدعاة  
باسمائهم تقية عليهم وسرا» (٨٧) \*

ثم يقول الداعي ادريس أيضا « لما وقتوا في محمد بن اسماعيل  
ما وقتوه ومات وقالوا عنه ما قالوا زعموا أنه استخلفه بعده غير ولده  
واستخلف الى أن بلغوا سبعة زعموا أن أولهم عبد الله بن ميمون القداح  
وكل ذلك ليثبتوا قولهم الذي يقولون به ان الامام بعده -  
وان استخلفه - هو من عرض ( عامة ) الناس وكان لذلك سبب أوجب  
ذكره ، وذلك أنه لما فشت دعوة محمد بن اسماعيل طلب المتغلبون من  
بنى العباس من يشار اليهم بالأمر فاستترت الأئمة وكنى الدعاة عن أسمائهم  
تقية عليهم بما هو لهم ويليق فيهم فقالوا الامام من ولد محمد بن اسماعيل  
ابن عبد الله وهو عبد الله كما قالوا وابن ميمون القداح وهو كما قالوا  
ابن الميمون التقية القادح زند الهداية المورى نور الحكمة وجرت الكتابة  
على من بعده من الأئمة بأمرهم وما رسموه لدعاتهم ثم سقط ذلك الى من  
لم يفهمه بعد الماضين فاحتمله على ظاهره » (٨٨) \*

نستخلص مما سبق : ١ - أن عبد الله بن ميمون القداح كان حجة  
اسماعيل بن جعفر أو ابنه محمد بن اسماعيل أو حجتهم واحدا تلو الآخر  
وأنه كان دليلا عليهما وهاديا اليهما اذ قام بسترهما واخفاهما أو كنهها  
تقية عليهما فلم يعرف بأمانتهما الا القليل من ثقات الدعاة معرفة غير  
مباشرة عن طريق عبد الله بن ميمون القداح \*

٢ - كان الدعاة - وعلى رأسهم عبد الله بن ميمون القداح - يغيرون  
أسماء الأئمة ستر لهم وتقية عليهم وقد ينتحل أحد الدعاة لنفسه اسم  
الامام \*

٣ - كان الامام من ولد محمد بن اسماعيل يعرف أيضا بابن عبد الله  
ابن ميمون القداح وان كان الداعي ادريس يقول الاسم تأويلا اسماعيليا  
بأنه عبد الله لأنه عبد لله وابن الميمون التقية القادح زند الهداية \*

(٨٧) عيون الأخبار ، سبع ٥ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٨٨) نفس المصدر ، سبع ٥ ص ١٦١ .

ومن الباحثين من ينساق وراء مثل هذه التأويلات الاسماعيلية فيرى أن أسرة الاسماعيلية اتخذوا أسماء مثل : مبارك وميمون وسعيد للقال الحسن فيها تبعاً لمبدأ التقية وأن لقب ميمون الذي أطلق على أحمد أولاد جعفر الصادق هو الذي قاد إلى الخلط بين اسمه واسم عبد الله بن ميمون القداح<sup>(٨٩)</sup> .

لكن القراءة المتأنية للمصادر الاسماعيلية تذهب بنا إلى أبعد من ذلك فالداعي ادريس نفسه في كتابه زهر المعاني يؤكد على أن ميمون القداح كفيل محمد بن اسماعيل ومستودع أمره وينسب ميمون إلى سلمان الفارسي فيجعله ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسي ويجعل سلمان من أولاد اسحاق بن يعقوب أهل الاستداع والقائمين بالإبلاغ والإبلاغ على حد قوله<sup>(٩٠)</sup> ومع أن الفانوف يذهب إلى الأخذ بتفسير الداعي ادريس القائل بأن المقصود بالميمون - أي الميمون النقية - هو محمد بن اسماعيل<sup>(٩١)</sup> فإن تتبع نص زهر المعاني الذي ألحقه الفانوف نفسه بكتابه عن « ظهور الفاطميين »<sup>(٩٢)</sup> قد يتقضى ما ذهب إليه إذ يقول الداعي الاسماعيلي ادريس « وكتم الصادق منزلة ابن ابنه وأقام له ميمون القداح وابنه عبد الله بن الميمون (هكذا) كقلاء »<sup>(٩٣)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فصاحب كتاب التراتيب بعد أن يذكر أن الامام انتسب بعد اسماعيل إلى ابن أخيه يقول « كان حجابته الذي احتجب به وسره الذي ستره والذي نصبه أو أقامه ميمون القداح وأمره الامام أن يأخذ اليهود لنفسه أعني لميمون القداح ففعل ما أمره به الامام

(٨٩) أمين فؤاد سيد : المرجع السابق ، ص ٣٥ . و  
Ivanow; The Alleged Founder of Ismailism, Bombay 1946 p. 152.

(٩٠) من المنتخب لا الفانوف ، ص ٤٧ .

(٩١) The Alleged Founder of Ismailism, pp. 110-112.

(٩٢)

Ismaili Tradition concerning the Rise of Fatimids, pp. 30-47.

(٩٣) زهر المعاني ، من المنتخب ، ص ٤٩ .



... فلما حضرته النقلة أحضر ولده محمدا وسلم الامامة له ... فقام محمد بالأمر وأمر الامام ابن ميمون القداح أن يقوم مقامه ويأخذ العهد لنفسه كفعل أبيه ميمون القداح ولم يزل قائما بالأمر على اذن الامام » (٩٤) .

هكذا تبدو مكانة عبد الله بن ميمون القداح في الحركة الاسماعيلية كما تصورها المصادر الاسماعيلية نفسها ، غير أن المصادر الاسماعيلية تقدم لنا بشأن اسماعيل الذي تنسب اليه الاسماعيلية قولين متناقضين أولهما قال به الكتاب المنسوب الى عبيد الله المهدي وهو أن عبد الله بن جعفر تسمى باسماعيل أي أن اسماعيل كان اسما حركيا حقيقته عبد الله ، وثانيهما قال به الداعي ادريس وهو أن محمد بن اسماعيل يقال له محمد بن عبد الله على اعتبار أن اسماعيل عبد من عباد الله أي أن عبد الله — على هذا القول — اسم حركي حقيقته اسماعيل .

يبدو أن المصادر الاسماعيلية لم تكن تعرف حقيقة اسماعيل الذي يدعى له خاصة وأن الشك يكتنف بعض جوانب شخصية العبدلين اللذين يحمل كل منهما اسم اسماعيل أيضا اما حقيقة أو انتحالا . فكلاهما مختلف بشأنه من حيث : أيهما أسن من أخيه (٩٥) وبالتالي أحقيقته بالامامة ، وأيهما توفي في حياة أبيه (٩٦) وأيهما توفي دون أن يعقب (٩٧) .

(٩٤) التراتيب ، ص ٢٨ .

— ويجعل خطاب بن الحسن ( غاية الموالييد ص ٣٨ ) لقب وصي اسماعيل بن جعفر هو القداح .

(٩٥) ترى الاسماعيلية أن اسماعيل كان أسن من أخيه ( عيسون الاخبار ، سب ٤ ص ٣٢٢ ) بينما ترى الاططحية أن عبد الله كان أسن من أخيه ( الشهورستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٥ ) وجمد بالذكر أن إيفانوف يأخذ بأن عبد الله الانططح كان أسن من أخيه لكنه كان يبدو ضعيف العقل مما جعل الانظار تنحصر الى اسماعيل على أنه وريث الامامة . (The Alleged Founder of Ismailism, p. 155).

(٩٦) مع أن الأرجح هو وفاة اسماعيل في حياة أبيه فان الداعي ادريس ( زهر الماني ص ٥٠ من المنتخب ) يقول ان عبد الله الانططح مات في عصر أبيه دون أن يعقب .

(٩٧) انظر ما سبق أن ذكرناه في ص

وإذا كان هذان العبدان لا يسلطان من التشكيك فيهما فلماذا لا تنجيه بأبصارنا إلى عبد الله آخر تقرر المصادر الاسماعيلية نفسها بمكانته الكبيرة في الحركة الاسماعيلية وبأنه كان حجاباً ومسترأ على الامام وهادياً إليه لا يتعرف اتباع الاسماعيلية على امامهم الا بواسطة ونقصه بذلك عبد الله بن ميمون القداح الذي يذكر صاحب كتاب التراتيب أنه كان يقوم مقام الامام - بأذنه - ويأخذ العهد لنفسه (٩٨) وهو قد يتحلل اسم الامام لنفسه تقية عليه أو يتخذ الامام اسمه لنفسه على سبيل التقية أيضاً ، فهل يصعب على شخص مثل ذلك أن يقتنص الامامة لنفسه وأن يكون هو عبد الله الذي تسمى باسماعيل أو هو عبد الله الذي ادعى أن أصل اسمه اسماعيل . وليس هناك من يمنعه عن القيام بذلك فلا أحد يعرف الامام المستور غيره وأحد العبدان لم يعقب وتأنيهما ترك ورثه محمداً في حد الطفولية (٩٩) أو لعله لم يكن قد ولد بعد حين توفي (١٠٠) .

إذا تجاوزنا عن كل ذلك ووصلنا إلى شخصية محمد بن اسماعيل الذي يفترض أنه ورث اسماعيل الذي تنسب إليه الاسماعيلية مهما كانت حقيقة هذا الاسم الباطنة فسوف نلاحظ أن الاسماعيلية وإن كانت تستقى اسمها من اسماعيل (١٠١) فإنها تجعل لمحمد بن اسماعيل مكانة الذروة في الحركة الاسماعيلية ، إذ أنه ليس أول الأئمة المستورين فحسب ولكنه أيضاً الامام السابع المتمم للدور (١٠٢) .

(٩٨) كتاب التراتيب ص ١٢٨ .

(٩٩) خطاب بن الحسن : غاية المواليد ( من المنتخب ) ص ٣٦ . ويحدد الداعي ادريس ( زهر المعاني ص ٤٧ ) سنة حينذاك بثلاث سنوات لكن جعفر بن منصور اليمن ( أسرار التطفاء ص ٨٢ - ٩٦ ) يجعل عمره ١٤ سنة ويصفه بأنه كان رجلاً كاملاً جائز القول مقبول الشهادة .

(١٠٠) عبد الله المرتضى : الفلك الدوار ، ص ١٢٥ .

(١٠١) يرى الفزالي ( فضائح الباطنية ص ١٦ ) أن الاسماعيلية نسبة إلى أن زعيمهم محمد بن اسماعيل .

(١٠٢) يفسر فيلسوف الاسماعيلية السجستاني ( اثبات النبوءات ، ص ١٨١ ) معنى الدور بقوله « معنى اسم الدور على نوعين : دور كبير ودور صغير فالدور الكبير يتبدى من آدم عليه السلام إلى القائم سلام الله عليه أما الدور الصغير فهو بين كل ناطق وناطق وتتخلل الدور سلسلة أئمة مستقرين إلا في الفترات التي تحدث لعلل وأسباب فمن آدم إلى نوح دوراً صغيراً ومن نوح إلى ابراهيم دوراً صغيراً ... إلى موسى ... إلى عيسى ... إلى محمد ومن محمد إلى القائم دوراً صغيراً » .

لكن شخصية محمد بن اسماعيل من أكثر الشخصيات الاسماعيلية اشارة للجدل . ففضلا عما ذكره الكتاب المنسوب الى عبيد الله المهدي من أنه في الحقيقة ليس محمد بن اسماعيل ولكنه محمد بن عبد الله فإن المصادر الأخرى الاسماعيلية لا تتفق فيما تقوله عنه في حياة أبيه ، فيذكر عبد الله المرتضى أن اسماعيل توفي قبل ولادة ابنه وزوجه حامل فيه (١٠٧) ويناقض الداعي ادريس نفسه تناقضا شديدا فيما كتبه عن ذلك ، ففي زهر المعاني يذكر أن عمره كان حين وفاة أبيه ثلاث سنوات (١٠٨) بينما يذكر في عيون الأخبار أن عمره وقتذاك كان ست وعشرون سنة (١٠٩) لكن جعفر بن منصور اليمن لا يزيد في عمره حين وفاة أبيه عن أربعة عشرة سنة يرى أنها تجعله أهلا للإمامة وتقبل بها شهادته (١١٠) .

وتصر الرواية الاسماعيلية على أن اسماعيل كان قد نص على ابنه محمد وفوض اليه أمر الإمامة من بعده (١١١) مخالفة بذلك المقولات التي لا تمل ترددها لكنها لا تتردد في أن ترمي بها عرض الحائط اذا تمارست مع أهدافها السياسية وها هي تفعل ذلك ، اذ كيف يمكن لاسماعيل أن ينص على امامة ابنه محمد والإمامة لم تصل اليه أصلا من أبيه جعفر الصادق الذي كان لا يزال على قيد الحياة حين وفاة ابنه اسماعيل ، فمن مقولات الاسماعيلية أن الامام لا يكون أماما ولا يسمى بالإمامة حتى يغيب الامام الذي أفضى اليه بالإمامة (١١٢) . ولذلك لم يكن القائم بأمر الله ثاني خلفاء الظهور العبيديين اماما في حياة أبيه عبيد الله المهدي وانما كان حجة له ولذا قال لجوذر حين وفاة المهدي : « يا جوذر لا يحل للحجة بعد الامام أن يدفن الامام حتى يقيم حجة لنفسه ولم يحل لي ذلك حتى أقيم حجتى » (١١٣) . وقياسا على ذلك لا يحل لاسماعيل أن يكون

(١٠٣) الفلك الدوار ، ص ١٢٥ .

(١٠٤) زهر المعاني ، ص ٤٧ .

(١٠٥) عيون الأخبار ، سجع ٤ ، ص ٣٥١ .

(١٠٦) أسرار النطقاء (من المنتخب) ص ٨٢ .

(١٠٧) يقول البهروزي (الازهار ص ٢٣٥) « لم يفارق اسماعيل الدنيا حتى نص على ولده محمد بن اسماعيل وفوض أمر الإمامة اليه ولاقاه مقامه باذن أبيه الامام جعفر الصادق » .

(١٠٨) محمد كامل حسين : مقدمة سيرة جوذر ، ص ٢١ .

(١٠٩) الداعي ادريس : المصدر السابق ، سجع ص

( ٢ م - التشيع في بلاد المغرب الاسلامي )

اماما في حياة أبيه جعفر الصادق ولا يحل تبعا لذلك أن ينص على ابنه أو أن يوصى اليه بشيء لم يصل اليه بعد . ويبدو أن الرواية الاسماعيلية أدركت ضعف حجيتها في هذا الموقف فأشارت الى أن اسماعيل أوصى لابنه بعد اذن أبيه جعفر في ذلك وبرضاه لكنها تناسلت أنها تدعى أن النص لابداء فيه ومن ثم فالأولى ألا يكون فيه اذن .

واذا قورن قول القائم بأمر الله العبيدي انه كان حجة لأبيه وولي عهده وورثه بما قيل عن أن عبد الله بن ميمون القداح كان حجة لاسماعيل ومحمد بن اسماعيل وسترا عليهما وهاديا اليهما ، وإذا لاحظنا أنه لم يسبق أن كان هناك حجة من غير البيت العلوي على حد ما يرويه الاسماعيلية أنفسهم أن الحسين بن علي جعل أخيه محمد بن علي ( ابن الحنفية ) سترا وحجة على ولده علي زين العابدين وجعل زين العابدين ابنه زيدا سترا وحجة على ولده محمد الباقر وجعل جعفر الصادق ابنه موسى الكاظم سترا على أخيه اسماعيل فلماذا اذن شذ اسماعيل عن سنة أسلافه واتخذ حجة من غير أبناء البيت العلوي إذ اتخذ عبد الله بن ميمون القداح حجة له ؟ ! وهل هناك ما يمنع ابن القداح - الذي تختلط شخصيته بشخصية امامه - ويتسمى كل منهما باسم الآخر - من تقديم نفسه للاسماعيلية - الذين لا يعرفون امامهم الا بواسطته - على أنه وريث الامام وحجة ويدعم موقفه بادعاء الانتساب الى البيت العلوي على اعتبار أن الحجج لم يكونوا سابقا الا من بين أبناء البيت العلوي .

وإذا أسقطنا جانب القول بأن محمد بن اسماعيل مات دون أن يعقب فس نجد فيما يروى عن أولاده أكثر من قول ، يذكر البعض أنه أعقب في رجلين فقط هما جعفر واسماعيل (١١٠) بينما يذكر الداعي ادريس أن محمد ابن اسماعيل ترك في المدينة ولدين خالين من الامامة هما اسماعيل وجعفر (١١١) وخرج الى نسايور فتزوج بها امرأة ولدت له ولدا أسماه عبد الله وجعل الامامة فيه (١١٢) ويذكر ادريس نفسه - في كتاب آخر -

(١١٠) القريري : انما ظ الحنفا ، ج ١ ص ١٥ .

(١١١) والرقاعي : صحيح الاخبار ، ص ٤٥ - ٤٦ .

Ivanow, The alleged founder of Ismailism p. 157.

(١١٢) لاحظ ايقانوف انهما لم يلعبا أي دور في الحركة الشيعية

(١١٣) زهر المغانى ( من المنتخب ) ص ٤٩ .

أن محمد بن اسماعيل أنجب عبد الله هذا من فاطمة بنت أخت اسحاق ابن عباس الفارسي (١١٣) ثم خرج الى الري ومنها الى ناحية سرحة بنهاوند فتزوج فيها سريوه بنت منصور بن جوش فرزق منها بأربعة أولاد ذكور ، أمدا الداعي الاسماعيلي ادريس بأساء ثلاثة منهم فقط هم : حسين وعلى وأحمد (١١٤) .

أدى تعدد الأقوال في أولاد محمد بن اسماعيل الى تعددها في الأئمة من بعده ومن ثم وقع الاختلاف في النسب العبيدي المنحدر عن محمد بن اسماعيل فالقريري - وهو أحد من يرى أن محمد بن اسماعيل لم يعقب الا في ولديه جعفر واسماعيل - يذكر أن الامام بعد محمد بن اسماعيل الملقب بالكنز - هو ابنه جعفر - المصدق - وبعد جعفر المصدق ابنه محمد الحبيب فولد محمد الحبيب عبيد الله المهدي أول خلفاء الظهور بالمغرب (١١٥) . غير أن الداعي ادريس يذكر أن جعفر وأخيه اسماعيل اللذين أنجبهما محمد بن اسماعيل بالمدينة كانا خاليين من الامامة دون أن يذكر سببا لذلك ويقول الداعي الاسماعيلي أن محمد بن اسماعيل تزوج في سابور من امرأة لم يسمها وإنما سمي خالها وأنجب محمد بن اسماعيل من هذه المرأة عبد الله الذي أوصى اليه بالامامة . وهكذا يخالف الاسماعيلية مرة أخرى مقولة « النص » التي طالما تشددوا بها ويرمي الداعي ادريس بها عرض الحائط ، اذ كيف يجعل محمد بن اسماعيل الامامة في ولده عبد الله الذي أنجبه بتيسابور دون ولديه اللذين تركهما في المدينة مع أن الامامة - في رأيهم - لا تصح الا في الأعقاب الأكبر فالأكبر .

واذا كانت توصية محمد بن اسماعيل بالامامة الى عبد الله تظهر عدم التزام الاسماعيلية بمقولة النص التي يجعلونها أساس وصول الامامة الي أئمتهم فإنها تظهر أيضا حرص الاسماعيلية على استمالة الفرس الى دعوتهم يجعل الامامة في امام تجرى في عروقه الدماء الفارسية من ناحية أمه « بنت أخت اسحاق بن عباس الفارسي » مما يعيد الى الذاكرة محاولة الشيعة من قبل اجتذاب الفرس الى صفوفهم بقولهم ان علي زين العابدين ولد الحسين بن علي من شهربافوه بنت كسرى يزدجرد آخر أكاسرة الفرس .

(١١٣) عيون الاخبار ، سجع ٤ ص ٣٥٣ .

(١١٤) نفس المصدر ، سجع ٤ ص ٣٥٤ - ٣٥٦ .

(١١٥) تصانيف العتقا ، ج ١ ص ١٦ .

وإذا كان لنا أن نساير الرواية الاسماعيلية حتى آخر الشوط فإنها تذكر أن عبد الله الذي أصبح اماما بعد أبيه محمد بن اسماعيل رجع الى نهاوند وتزوج فيها من ابنة حمدان ابن عم منصور بن جوش الذي كان محمد بن اسماعيل قد تزوج من ابنته سريوة وأنجب منها أربعة أخوة لعبد الله (١١٦) وكان حمدان الذي تزوج عبد الله ابنته من أهل كارزون وقد أنجبت ابنته للإمام عبد الله ولدا يدعى علي . لكن ملاحقة العباسيين لعبد الله وشدة طلبهم إياه جعلته يتخفى فاستخلف علي ولده المدعو علي وغاب حتى لم يعرفه أحد من حدوده ولا من شيعته (١١٧) ونزل عبد الله متخفيا بقرية تعرف بأشناس على مقربة من بلاد الديلم وتزوج هناك امرأة علوية أنجبت له ولدا أسماه أحمد هياة للخلافة من بعده وقلده أماتته وعهده ونص عليه (١١٨) .

وهنا يصعب علينا التغاضي عن المتناقضات العديدة التي تتخبط فيها الرواية الاسماعيلية ، فبينما يذكر الداعي ادريس أن عبد الله تخفى وغاب حتى لم يعرفه أحد من شيعته ولا من حدوده يذكر أنه نزل بأشناس وأن دعوته انتشرت وقام بها الدعاة وكثر أهل ولايته في جميع الجهات (١١٩) بل يذكر أيضا أن عبد الله فرق دعائه في نواحي الأرض وأمر الناس بطاعة أخيه الحسين بن محمد بن اسماعيل واستخلفه مكانه وخرج في اثنين وثلاثين رجلا من الدعاة الى بلاد الديلم يدعون الناس ويعرفونهم بالإمام (١٢٠) .

وفضلا عن هذه المتناقضات التي نوهنا إليها ، فقد ذكر الداعي ادريس أن الامام عبد الله تخفى ابنه الأكبر المدعو علي الذي أنجبه

---

(١١٦) يرى إيفانوف - على سبيل انكار أن يكون عبد الله بن ميمون القداح جدا للعبيديين - أن اسم عبد الله بن محمد بن اسماعيل يسهل تحويله الى عبد الله بن ميمون القداح بل يسهل ذلك أيضا مع أسماء عبد الله التي ظهرت بعد ذلك في سلسلة النسب العبيدي . انظر :

(Ivanow; the Rise of Fatimids, p. 141, 150).

(١١٧) الداعي ادريس : عيون الأخبار ، سبيع ٤ ص ٣٥٧ .

(١١٨) نفس المصدر ، سبيع ٤ ص ٣٥٨ .

(١١٩) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(١٢٠) نفس المصدر ، سبيع ٤ ص ٣٦٣ .

من ابنة حميدان - كما سبق القول - وأوصى بالامامة لابنه أحمد الذي أنجبه من امرأة علوية - هكذا - بقرية أشناس ، وبذلك يخالف عبد الله مقولة « النص » التي تشددق بها الإسماعيلية مثلما خالفها أبوه محمد بن اسماعيل من قبل مما يؤكد - مرة أخرى - أن هذه المقولة لم يكن لها وجود فعلي في أكثر الأحيان مثلما لم يكن لها وجود نظري مبكر فقد أنكر القول بها زيد بن علي ولم يلتزم بها محمد بن اسماعيل ولا ابنه عبد الله بل يمكننا القول - اعتمادا على الداعي ادريس نفسه - أن اخوة عبد الله بن محمد بن اسماعيل وأعقابهم لم يعتنوا كثيرا بقولة « النص » أو لم يكن لديهم معرفة بها فلم ينقادوا لامامة عبد الله وكان منهم من يدعو لنفسه ويجمع حوله الاتباع ولا يلتزم بالستر ولا بالتيقن ، يدل على ذلك أن علي بن محمد بن اسماعيل الملقب بعلي الليث أطاعة أهل نهاوند لقرايته من ملكهم منصور بن جوش واجتمع له منهم جيش بلغ نحو ألفين من الفرسان والرجال لكنه سرعان ما قتل بأيدي جنود العباسيين . أما الحسين بن محمد فقد اشتغل بدراسة الكتب حتى إذا بلغه خبر أخيه علي خرج خائفا إلى أخيه أحمد المقيم بخوارزم فلحق به قوم من العامة المناصبين له بالعداء فقتلوه هو وجميع من كان معه من أهله وأصحابه لم ينج منهم غير أحمد بن أخيه علي فلما شب أحمد بن علي هذا جمع من انضم إليه من الشيعة وقتل قتلة عمه الحسين بن محمد ورجع إلى مستقره في رستاق أبل في مهدي كدكاه (١٢١) .

ويذكر الداعي ادريس أن الامام عبد الله بن محمد بن اسماعيل لما سمع بما جرى على اخوته خرج من الأهواز ومعه ولده أحمد بن عبد الله إلى سامراء وأقام بها مدة وكتب إلى دعائه يخبرهم بسلامته ثم انه قصد من سامراء إلى الشام في زى التجار فنزل سلمية وأبتى بها دارا وهو في هيئة التجار وكان فيها قوم هاشميون من بني العباس وغيرهم فاتسب إليهم وأخفى اسمه واسم ولده ولم يعلم الدعاء في أي جهة هو فاجتمعوا واقتربوا في طلبه (١٢٢) .

(١٢١) عيون الأخبار ، سبج ٤ ، ص ٣٦٤ .

(١٢٢) نفس المصدر ، سبج ٤ ، ص ٣٦٥ .



على الرغم مما ذكره الداعي ادريس أن الامام كتب الى دعائه يخبرهم  
بسلامته فإن الرواية الاسماعيلية تتحدث عن فقدان الدعاة لاسماهم  
وخروجهم للبحث عنه لكن الروايات الاسماعيلية تتفاوت فيما بينها فيما  
تذكره عن كيفية بحث الدعاة عن أنفسهم ووصولهم اليه ، والداعي ادريس  
يذكر أن مهدي بن هرمز خرج للبحث عن الامام حاملا معه أربعة آلاف  
دينار من نفقات الأتباع ، فاشترى شيئا من العطر وتستر بيعة وهو  
يسأل عن صفة الامام الى أن بلغ سلمية فدل على صاحب الصفة حتى  
إذا انتهى الى باب قصر الامام أذن له بالدخول فلما حضر بين يدي الامام  
فرح به وسره قدومه وأدى مهدي بن هرمز الأمانة الى ولي أمره وامام  
عصره ورجع الى وطنه يقيم الدعوة هناك (١٢٣) .

غير النيسابوري يذكر أنه لما فقد الامام وتغير الدعاة اجتمع  
وجوهم بمدينة عسكر مكرم وهم سبعة نفر (١٢٤) واجتمعوا مع الأولياء  
والحسين فجمعوا نفقات وقالوا لهؤلاء امضوا فتفرقوا على خراسان والعراق  
وجزيرة حران واليمن والمليحة فخرجوا فخرجوا فخرجوا مع كل واحد منهم صفة  
الامام وتخفوا في هيئة الطوافين على دوابهم يبيعون الفلفل والريحان  
والمغازل والمرابا واللبان وما يصلح للنساء حتى دخلوا اقليم حصص بعمرة  
التيمان وجعلوا الميعاد بينهم في الجامع فخرج أبو غفير - أحد الدعاة -  
الى معرفة التيمان فذله صبي وامرأة على وجود الامام بدير عصفورين  
فركب حماره ومضى حتى وصل الدير وأخرج الكتاب الذي معه فيه  
الصفة والهيئة ولم تكن له معرفة به قبل ذلك ولما وقف عليه عرفه بالصفة  
فقال له يا هذا انما جئت الى هذا الموضع لأستتر نفسي فيه فجتهم  
لتكشفوني فخرج أبو غفير فاجتمع بأصحابه فمضوا بجماعتهم الى دير  
عصفورين فاجتمعوا مع الامام ورغب في تغيير المكان فداروا مدينة شيون  
ومدينة حماة وكفر طاب ثم أتوا الى سلمية وكانت مدينة جديدة بناها  
محمد بن عبد الله بن صالح العباسي فقالوا له ان هاهنا رجلا بصريا من  
التجار فاشترى له دار أبي فرحة فنزل الامام بسلمية كسائر التجار

(١٢٣) عيون الأخبار ، سبع ٤ ص ٣٦٥ .

(١٢٤) استتار الامام ، ص ٩٣ - ٩٤ .

فلما نزل بها زاد دورا كثيرة وهدم وبنى فأحدث قصرا شامخا وبث دعائه  
إلى جميع البلدان سرا وولد له بها أحمد وإبراهيم ولما توفي كانت الامامة  
لأحمد دون إبراهيم (١٢٥) \*

يوجد فيما سبق اختلاف بين ادريس والنيسابوري في كثير من  
الوقائع خاصة فيما يخص أحمد بن عبد الله الذي يذكر ادريس عنه  
أنه خرج مع أبيه من الأهواز إلى سامراء إلى سلسية بينما يذكر  
النيسابوري أنه ولد بسلسية \* وتجاوزا عن هذا التباين فقد استقر الإمام  
عبد الله في نهاية المطاف بسلسية وتوفي بها ودفنه ابنه الإمام أحمد بن  
عبد الله فيها \* ويضيف الداعي ادريس أن أحمد بن عبد الله تزوج بسلسية  
من امرأة أنجب له ولدا يدعى الحسين بن أحمد هو والد عبيد الله  
المهدي (١٢٦) \*

وواقع الأمر أن لدينا عدة قوائم لأئمة الاسماعيلية بين اسماعيل  
ابن جعفر وعبيد الله المهدي تمتدنا بها المصادر الاسماعيلية نفسها منها  
قائمة أوردها الكتاب المنسوب إلى عبيد الله المهدي على النحو التالي :

- ١ - اسماعيل بن جعفر = عبد الله بن جعفر في الحقيقة \*
  - ٢ - محمد بن اسماعيل = محمد بن عبد الله في الحقيقة \*
  - ٣ - عبد الله (الميمون) بن محمد \*
  - ٤ - أحمد بن عبد الله = ويلقب أيضا بمحمد بن عبد الله \*
  - ٥ - محمد بن أحمد = ويلقب بالحسين أو محمد بن محمد \*
  - ٦ - علي بن محمد \*
  - ٧ - محمد بن علي وهو محمد القائم وكان المهدي حجة له (١٢٧) \*
- وقائمة أخرى نستمدّها من خطاب بن الحسن على النحو التالي :

(١٢٥) استتار الإمام ، ص ٩٥ .  
(١٢٦) عيون الأخبار ، ص ٥ ، ص ٨٩ .  
(١٢٧) الهمداني : في نسب الخلفاء القاطمين ، ص ٢٢ وما بعدها .

- ١ - اسماعيل بن جعفر .
- ٢ - محمد بن اسماعيل .
- ٣ - عبد الله بن محمد .
- ٤ - أحمد بن عبد الله .
- ٥ - الحسين بن أحمد .

٦ - علي بن الحسين . والمهدي حجة له . والقائم ابن علي وليس ابنا للمهدي (١٢٨) .

أما القائمة الثالثة فقد وردت عند النيسابوري والداعي ادريس علي النحو التالي :

- ١ - اسماعيل بن جعفر .
- ٢ - محمد بن اسماعيل .
- ٣ - عبد الله بن محمد .
- ٤ - أحمد بن عبد الله .
- ٥ - الحسين بن أحمد .

٦ - عبد الله بن الحسين ( عبيد الله المهدي ) (١٢٩) .

ومن الملاحظ أنه يوجد اتفاق بين هذه القوائم الثلاثة حتى خامس الأئمة المذكورين وهو الحسين بن أحمد وإن كانت قائمة الكتاب المنسوب إلى عبيد الله المهدي تجعل الاسم الحقيقي للحسين بن أحمد هو محمد بن أحمد . وتتفق نفس القائمة مع قائمة خطاب بن الحسن حتى السادس من الأئمة المذكورين وهو علي بن الحسين لكن قائمة النيسابوري والداعي ادريس تختلف عنهما في ذلك إذ تجعل سادس المذكورين هو عبد الله بن الحسين وهو المعروف بعبيد الله المهدي وتجعل له مكانا في القائمة بينما تخرجه القائمتان السابقتان من الأئمة وتجعله مجرد حجة لعلي ابن الحسين أو لابنه القائم .

(١٢٨) غاية المواليد ( من المنتخب ) ص ٣٦ - ٣٧ .

(١٢٩) استتار الامام ، ص ٩٥ وعيون الاخبار سبع ٥ ص ٨٩ .

غير أن صاحب كتاب التراتيب يقدم لنا قائمة رابعة تختلف عن القوائم الثلاثة السابقة اختلافاً بينا اذ جاءت كالتالى :

- ١ - اسماعيل بن جعفر \*
- ٢ - انتسب الامام الحق بعد اسماعيل الى ابن أخيه وهو محمد \*
- ٣ - أحمد الرضى بن محمد ( أول المستورين ) وحجابه ميمون القداح \*
- ٤ - محمد بن أحمد وحجابه عبد الله بن ميمون القداح \*
- ٥ - أحمد بن محمد ( جعل أخاه حجاًباً لابنه محمد الملقب بالمهدى ) \*
- ٦ - محمد ( المهدى ) قام بالامامة ( وعنه قام بالخلافة ) وانتسب محمد المهدى بالبنوة لعمه \*

٧ - القائم بن محمد المهدى ( وقام مقامه عمه عبد الله بأمر محمد المهدى الذى أمر أن يقوم عبد الله مقامه وتسمى باسمه وينسب القائم اليه على أنه ولده ) ( ١٣٠ ) \*

وفضلاً عن اختلاف الروايات الاسماعيلية فيما بينها على نحو ما أسلفنا ، فإنها تختلف تماماً عن القائمة التى قدمها المقرئى - وهو من المتحمسين لاثبات صحة النسب العلوى للعبّيدىين - وقد جاءت قائمته على النحو التالى :

- ١ - اسماعيل بن جعفر الصادق \*
- ٢ - محمد المكتوم بن اسماعيل \*
- ٣ - جعفر المصدق بن محمد المكتوم \*
- ٤ - محمد الحبيب بن جعفر المصدق \*
- ٥ - عبيد الله المهدى بن محمد الحبيب ( ١٣١ ) \*

لا يقتصر الاختلاف بين قائمة المقرئى والقوائم الاسماعيلية وانما يمتد الى القروى التى تنحدر عنها الأئمة فإذا كان الكتاب المنسوب

( ١٣٠ ) التراتيب ، ص ٣٧ - ١٤٠ .

( ١٣١ ) انماظ الحنفا ، ج ١ ص ١٦ .

الى عبيد الله المهدي ينسب الأئمة الاسماعيلية الى عبد الله بن جعفر المتسنى باسماعيل وينسبهم صاحب كتاب التراتيب الى ابن أخ لاسماعيل لم يذكر اسمه فان المصادر الاسماعيلية الأخرى تنسبهم الى اسماعيل ابن جعفر نفسه لكن هذه المصادر تختلف عن المقرئ في أنها تنسب الأئمة الى عبد الله بن محمد بن اسماعيل بينما ينسبهم المقرئ الى جعفر ابن محمد بن اسماعيل وجعفر هذا ترى الاسماعيلية - أو بالأحرى الداعي ادريس - أن أبيه محمد تركه في المدينة خاليا من الإمامة دون تبرير لذلك.

ومهما كان رأينا في هذا الخلط في الرواية الاسماعيلية فانه قد يعد شيئا يسيرا اذا قورن بخلط الاسماعيلية فيما كتبه عن عبد الله المهدي . ويمكن القول ان الرواية الاسماعيلية واجهت مأزقا حقيقيا حينما أصبح لزاما عليها اثبات نسب المهدي وبيان شخصيته ، ذلك أن المهدي كان أول أئمة الظهور ولا يمكن أن تقول الرواية الاسماعيلية عنه ما اعتادت تردده عن أئمة الستر واتخاذهم لأساء حركية أو تبادلهم الاسماء مع الحجج والأبواب والدعاة على سبيل التقية والستر والكتمان تخفيا عن عيون العباسيين التي تلاحقهم وتتبع آثارهم .

وقد قيل عبيد الله المهدي منذ أول ظهوره كأول خلفاء العبيديين في أفريقية بالانكار الشديد لانتسابه الى البيت العلوي ولم يقتصر الانكار على أهل السنة وحدهم بل أنكره أيضا بعض الاسماعيلية الذين أخلصوا في خدمتها كأبي عبد الله الشيعي صاحب الفضل الأكبر في إقامة دولة العبيديين في أفريقية وأخيه أبي العباس المخطوم ، ولقد بهت المهدي بهذا الانكار لنسبه من جانب هؤلاء الاسماعيلية المقرين فلم يجد وسيلة للرد عليهم سوى الفتك بهم والخلاص منهم لكنه رغم ذلك لم يستطع إيقاف هذا الانكار أو دحض آراء المنكرين .

ولقد سكت الاسماعيلية حينما عن الخوض في نسب عبيد الله المهدي فلما منهم أن تجاهل تلك المسألة سينسى الناس الخوض فيها غير أن سياسة التجاهل العبيدية لم تجد فتىلا فما من خليفة من خلفاء العبيديين الأوائل الا واجهته هذه المشكلة وقوبل بانكار المنكرين لانتساب العبيديين الى البيت العلوي فلم يجد الاسماعيليون يدا من تسج نسب لعبيد الله المهدي يرفعونه الى البيت العلوي لكنهم لما كانوا يبنون على غير أساس فقد

تخطيطوا وتباينت أقوالهم على النحو الذي انعكس على كتبهم التي عجزت عن رتق الفتوق على الرغم من توفر الفرصة أمامها لتصوغ نسياً محكماً لكنها لما كانت لا تستند إلى أساس متين ولا صحيح فقد ذهبت محاولاتها سدى وفشلت في نسج نسب علوي محبوبك لعبيد الله المهدي \*

لقد اختلفت أقوال الاسماعيلية فيمن هو المهدي ؟ وفيمن هو أبيه ؟ وفي تحديد علاقته بالقائم بأمر الله الذي خلفه على الخلافة العبيدية في الخيرية ، وتتخط تلك الأقوال جميعها في عبارات غامضة متداخلة تهدف إلى التعمية والتضليل أكثر مما تهدف إلى الإبارة والتنوير إذ يختلف ما يذكره الكاتب الاسماعيلي الواحد عن المهدي من كتاب لآخر بل من فقرة لأخرى في بعض الأحيان \*

فالقاضي النعمان بن جيون المغربي - قاضي قضاء العبيديين وداعي دعائهم - يقول « ولما انتهت الامامة إلى المهدي وقبض الامام قبله الذي كان عهد فيها إليه ..... وخالف المهدي بنى العباس على نفسه ... فخرج بنفسه وبالامام ابنه - القائم من بعده - معه ، وهو يؤمذ غلام حدث السن والمهدي شاب عندما كمل حتى انتهى إلى مصر » (١٣٣) \* ويضيف القاضي النعمان « ... إلى أن خرج من مصر ومعه ابنه » (١٣٣) ويضيف أيضاً « عهد - أي المهدي - إلى محمد أبي القاسم ابنه القائم » (١٣٤) \*

وهكذا يثبت القاضي النعمان - مراراً - بشوة القائم للمهدي دون أن يفصح عن صلة المهدي بالامام الذي كان قبله والذي عهد إليه بالامامة ، لكنه القاضي النعمان نفسه في كتاب آخر يروي على لسان المعز لدين الله رابع خلفاء العبيديين ما يفيد أن قصر المهدي غير قصر القائم ونساء المهدي وأهل بيته غير نساء القائم وذريته بمعنى أنه كانت توجد فروق وحدود بينهما وأن القائم لم يكن ابناً للمهدي ولا امتداداً له (١٣٥) \* ويذكر القاضي

(١٣٢) افتتاح الدعوة ، ص ١٥٨ \*

(١٣٣) نفس المصدر ، ص ١٦١ \*

(١٣٤) نفس المصدر ، ص ٣٢٤ \*

(١٣٥) المجالي والمسائرات ، ج ٨ ص ٥٤٢ - ٥٤٣ \*

التعمان أيضا أن المهدي أراد أن يصرف الامامة عن القائم ويؤثر بها من قرب منه ممن لم يجعله الله عز وجل له فكلما نصب لذلك واحدا مات الى أن ذهب أقاربه وأقام صاحب الحق ضرورة إذ لم يجد غيره فقال القائم الآن يا عم بعد أن فعلت ما فعلت فردها الله عز وجل الي صاحبها المستقرة فيه وأخرجها من يد من كانت مستودعة عنده بعد أن جهد في صرفها الى من قرب منه جهده فليس المستقر كالمستودع ولا التوكيل كالموكل ولا الوصي كالموصى عليه (١٣٦) .

والداعي المطلق ادريس يناقض نفسه هو الآخر من كتاب، لآخر فيذكر ان المهدي بالله هو أبو محمد عبد الله بن الحسين بن أحمد وان آباءه استكمل له عمه آبا على الحكيم محمد بن أحمد المكنى بسعيد الخير (١٣٧) لكنه يذكر في موضع آخر أن المهدي لم يكن الا سعيد الخير نفسه وأنه كان « الحجاب الأعظم والباب الأشرف الأكرم حامل أمانة الله ووديعته ومسلمها الى القائم بأمر الله ولده المنتسب اليه بتعليقه وإخافته وهو تخليفته القائم منه » (١٣٨) ويضيف أن « الامام صاحب الزمان تقدم للهجرة الى المغرب والمهدي في كنفه فأظهر الثقله في سفره وأوصى الي أخيه سعيد الخير واستكفله واستودعه لولده وكفله سعيد الخير وتسمى بالامامة بأمر الناصر عليه ستر على ولي الله وإخفاء لمقامه عند أهل دعوته حتى يكون أوان ظهوره وأمر الصدود بذلك وأن يكونه بالشمس الطالعة ستر على ولي الله القائم من بعده ..... فظهر من سجلنامه ومعه الامام القائم بأمر الله محمد بن عبد الله المستحق بعده للخلافة والذي اليه دعوة الاولياء كافة والمهدي بالله كافل له في كفالاته ويشير بعالي مقامه الي دعوته » (١٣٩) ومعنى هذا أن المهدي سواء كان سعيد الخير أو شخص آخر كان في كنف الامام « صاحب الزمان » لم يكن والد القائم وإنما كان

(١٣٦) نفس المصدر ج ١٩ ص ٤١٠ - ٤١١ .  
يلزم التيساري شيئا مشابها لذلك عن وصول الامامة للمهدي نفسه سنورد ذكره لاحقا .

(١٣٧) عيون الاخبار ، سبع ٤ ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(١٣٨) زهر المعاني ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(١٣٩) نفس المصدر ، ص ٦٦ .



والد القائم هو الامام المكنى عنه بصاحب الزمان (١٤) . ولعلنا نلاحظ أن كلا من القاضي النعمان والداعي ادريس يظهران في كتب الظاهر أن القائم بأمر الله ابن للمهدي لكنهما يطنان في كتب الباطن أن القائم بأمر الله لم يكن ولدا للمهدي من صلبه وإنما هو على الأكثر ابنه المتبني المنتسب اليه بتعليقه وافادته ولا تعدو أبوة المهدي له الا الأبوة الروحية .

أما الداعي الاسماعيلي خطاب بن الحسن فيذكر أن الامامة انتهت الى علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل وأن عليا هذا هو الذي أرسل ابن حوشب الى اليمن وأبا عبد الله الشيعي الى المغرب فلما مكنا له في تلك النواحي خرج يريد بلاد المغرب « حتى كان في بعض طريقه فأظهر الغيبة واستخلف حجه سعيد الملقب بالمهدي سلام الله عليه فثبت قواعد الدعوة ... فلما حضرت المهدي ثقله سلام الوديعه الى مستقرها وتسلمها محمد بن علي القائم بأمر الله تعالى وجرت الامامة في عقبه سلام الله عليه » (١٥) ولا يعني ذلك الا أن القائم بأمر الله لم يكن ابنا للمهدي بل كان ابنا لعلي بن الحسين .

أما النيسابوري فيذكر أن المهدي كان ابنا للحسين بن أحمد وأن سعيد الخير كان أخا لوالد المهدي أي أنه سعيد بن أحمد ، وقد ولد للحسين بن أحمد ولد هو المهدي فاستودع له حين نقلته أخاه سعيد بن الحسين - سعيد الخير - اذ كان ولده - المهدي - يومئذ في حال الطفولية لكن سعيد الخير استبد بالامامة وأراد أن ينقلها لأولاده فهلكوا جميعا فعلم سعيد الخير حينذاك أن الحق لا يفارق أهله فتاب وأتاب وجمع دعائه وأعلمهم أنه مستودع للمهدي واعترف له بالوديعه وصارت الامامة

(١٤٠) يرى الدرور - وهم اسماعيلية حاكمة يعتقدون في الحاكم بأمر الله اعتقادا خاصا - أن المهدي آخر الائمة المستودعين ( لدور السر ) وأنه من نسل الامام المستودع الاول عبد الله بن ميمون القداح الاهوازي بينما كان أبو القاسم محمد ( القائم بأمر الله ) آخر الائمة المستقرين ( في دور السر ) الذين ينتسبون الى الامام اسماعيل بن جعفر الصادق أي انه لم يكن ابنا لعبيد الله المهدي .

- يوسف سليم الديبسي : اهل التوحيد « الدرور » لبنان ١٩٩٢ ج ١ ص ٢٥٢ .  
(١٤١) غاية المواليد ( من المنتخب ) ص ٣٦ - ٣٧ .

الى المهدي الذي رحل آخذاً معه أبا القاسم ولده وجعفر الحاجب (١٤٢) \*  
ومعنى هذا أن النيسابوري ينفي أن يكون المهدي هو سعيد الخير ويثبت  
بنوة القائم بأمر الله للمهدي \*

ويذكر جعفر الحاجب أن القائم بأمر الله ابن للمهدي أنجب من  
ابنة عمه (١٤٣) ويوضح البهروزي شخصية عم المهدي الذي زوجه ابنته  
بأنه أبو علي الحكيم محمد بن أحمد الملقب بسعيد الخير (١٤٤) \*

على هذا النحو تتخبط الروايات الاسماعيلية وتضطرب قائمة حيناً ان  
المهدي والد القائم وحيناً آخر انه ليس بأبيه ، وتذكر حيناً ان سعيد الخير  
هو عم المهدي وتذكر حيناً آخر ان سعيد الخير هو المهدي نفسه ، ويرجع  
هذا التخبط والاضطراب الذي يعتري الروايات الاسماعيلية الى اصرارها  
على اختلاق نسب علوي لعبيد الله المهدي دون سند أو دليل (١٤٥) \*

ويبدو أن الاسماعيلية قد أدركوا جسامه التخبط الذي وقعوا فيه  
واضطراب تسلسل الأئمة الذي ابتدعوه فحاولوا تبرير ذلك بالتنقص  
بمقولات أخذوا في اشاعتها والترويج لها كالتبني الروحي والامامة المستقرة  
والمستودعة (١٤٦) وتعدد أسماء الأمام الواحد حتى أنهم جعلوا للأمام  
الواحد سبعة أسماء : اسم جسماني واسم نفسي واسم روحاني واسم  
طبيعي واسم حقيقي واسم ظاهري واسم باطني (١٤٧) \*

وقضوا عن هذا قائم يميزون بين الامامة والخلافة فلا يقصدون  
بالخلافة خلفاء الظهور وإنما يقصد بها من يقوم بالأمر نيابة عن الامام  
المستور ، يقول صاحب كتاب التراتيب « فقام محمد المهدي بالامامة وقام  
عنه بالخلافة » وهو في هذا يتحدث عن دور المستر (١٤٨) ويذكر أيضاً

(١٤٢) استنار الامام ، ص ٩٥ - ٩٦ .

(١٤٣) سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٠٨ .

(١٤٤) الأزهار ، ص ٢٣٦ .

(١٤٥) احسان الله يظهر : الاسماعيلية ، ص ٢٢٨ وما بعدها .

(١٤٦) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، ج ١٩ ص ٤١٠  
وكتاب التراتيب ص ١٣٨ وخطاب بن الحسن : غاية المواليد ص ٣٦ والدامي  
أدريس : زهر المعاني ص ٦٦ - ٦٧ .

(١٤٧) احسان الله يظهر : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

(١٤٨) كتاب التراتيب ، ص ١٣٨ .

أن القائم بأمر الله قام بصورة الجود الكلى والفيض الالهى - يقصد الامامة - وقام عنه عبد الله بالخلافة والنبابة (١٤٩) فهو بذلك يميز بين الامامة والخلافة جاعلا اياهما أثب ما يكون بالامامة المستقرة والامامة المستودعة. وجدير بالذكر أن الداعى الاسماعيلى حسن بن نوح البهروذى يميز بين الأئمة والخلفاء على نحو آخر ، اذ يجعل الأئمة سبعة نفر من الحسين بن على بن أبى طالب حتى محمد بن اسماعيل بن جعفر ويجعل الخلفاء سبعة أيضاً من عبد الله بن محمد بن اسماعيل حتى المزمز لدين الله العبيدى ، بل يقسم الخلفاء الى قسمين : ثلاثة مستورين وأربعة ظاهرين دون أن يذكر سببا لهذا التقسيم .

وقد انساق بعض الدارسين وراء تلك المقولات التي برعت الدعاية الاسماعيلية في ابتداعها وترويجها واعتقدوا أن فيها التفسير الصحيح للتحط والاضطراب الذى يمتري سلاسل نسب الأئمة العبيديين ، فأخذ ماسينيون بفكرة التبنى الروحى بمعنى أن التلميذ يعتبر ابن روحى لمعلمه ، ويرى أن هذه البنية الروحية كانت عند الاسماعيلية أهم من البنية الجسدية ويموجها كان عبد الله بن ميمون القداح الابن الروحى لمحمد ابن اسماعيل . وعلى الرغم من أن هذه الفكرة قد قادت ماسينيون الى القول بأن الأئمة الذين جاءوا بعد محمد بن اسماعيل كانوا قداحيين غير علويين الا أنه ينتقص من هذه الفكرة أن المصادر الاسماعيلية أشارت الى أن عبد الله بن ميمون القداح كان استاذاً لمحمد بن اسماعيل ووصياً له فيكون بذلك - وفقاً للتبنى الروحى - أباً روحياً لمحمد بن اسماعيل وليس ابناً روحياً له .

ويأخذ برنارد لويس بفكرة التبنى الروحى كما انتهى اليها ماسينيون ، لكنه يرى (١٥٠) ، أن الأئمة المستورين لم يكونوا جميعاً

(١٤٩) نفس المصدر ، ص ١٣٩ .

(١٥٠) استند لويس - رآيه هذا الى مصادر درزية خاصة رسالة لاسماعيل التميمى وهو الحد الثانى من حدود الدعوة الدرزية أو ما يسمونه النفس الكلية وعنوان تلك الرسالة « كتاب فيه تقسيم العلوم واثبات الحق وكشف المكنون » وهى من رسائل الكتاب الثانى من الكتب الدرزية الستة المعروفة بكتب الحكمة الستة . وقد قابل لويس بين ما جاء فى تلك الرسالة وما جاء فى كتاب غاية المواليد للداعى الاسماعيلى خطاب بن الحسن .

- من الدرور وعقيدتهم وآرائهم النظر :

يوسف سليم الديبسى : أهل التوحيد « الدرور » لبنان / ١٩٩٢ .

قداحين وأن المهدي كان قداحيا إلا أن القائم بأمر الله كان علويا ، ولكن يدلل لويس على صحة رأيه يضيف إلى فكرة التبنّي الروحي فكرة أخرى هي الإمامة المستقرة والإمامة المستودعة وتعني عنده أن الإمام المستودع هو الإمام الحفيظ الذي يحفظ الإمام المستقر ويستتره في الشدائد والأوقات العصيبة . ومزج لويس فكرة التبنّي الروحي بالإمامة المستقرة والمستودعة وانتهى إلى القول بأن « أبناء الأئمة الروحانيين ولا سيما القداحين منهم قد مثلوا دور الإمام المستودع أو الإمام الحفيظ ، وعلى ذلك فالأسماء التي جاءت في قائمة الدروز معلية بـ « من ولد القداح » إنما تشير إلى الأئمة المستودعين وسائرهما من الأئمة المستقرين ... وكان سعيد عبيد الله وهو آخر إمام في دور الحفظ آخر القداحين ثم خلفه بعد وفاته أبو القاسم محمد القائم ولم يكن ولده ولكنه كان الإمام المستقر الذي كان يعمل من أجله سعيد » (١٥١) .

وجدير بالذكر أن برنارد لويس لم يكن أول من مزج فكرتي التبنّي الروحي بالإمامة المستقرة والمستودعة وإنما سبقه إلى ذلك الداعي إدريس، إذ قال عن عبيد الله المهدي « الحجاب الأعظم والباب الأشرف الأكرم حامل أمانة الله ووديعته وسلمها إلى القائم بأمر الله ولده المنتسب إليه بتعليمه وأفادته » (١٥٢) . فعبارة الداعي إدريس تفيد أن المهدي كان أماما مستودعا وفي نفس الوقت الأب الروحي لتلميذه القائم بأمر الله .

غير أن المستشرق الروسي إيفانوف - وهو ذو باع طويل في الدراسات الاسماعيلية - يرى أن المصادر الاسماعيلية قبل نهاية القرن الرابع هـ / العاشر الميلادي لم تذكر شيئا عن ميمون القداح وابنه عبد الله ومن ثم فإنه يرى أن ما قيل عن تأسيس عبيد الله بن ميمون القداح للحركة الاسماعيلية مجرد أسطورة ويرى عدم الأخذ بفكرة التبنّي الروحي التي قال بها ماسينيون وفكرة الإمامة المستقرة والمستودعة التي قال بها لويس كامطار للعلاقة التي كانت تربط عبد الله بن ميمون القداح بـ محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق (١٥٣) .

(١٥١) أصول الاسماعيلية ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(١٥٢) زهر المعاني ، ص ٧١ .

(١٥٣) The Alleged Founder of Ismailism pp. 161-162. (١٥٣)

ومع أننا نميل إلى رأى إيفانوف بشأن التبنى الروحي والامامة المستقرة والمستودعة ونرى أنهما من ابتداعات الاسماعيلية المتأخرة مثلها في ذلك مثل المقولات الاسماعيلية الأخرى مثل مقولة « النص » التي ينكرها أوائل العلويين والشيعة مثل زيد بن علي زين العابدين كما سبق أن أثرنا فإن هذا الرأى لا يروق لبعض الاسماعيلية المحدثين ممن يرجعون أن تلك الفكرة كانت موجودة منذ القدم كنظرية أساسية تتعلق بالأصول العقائدية للاسماعيلية وبصلب التنظيمات السرية (١٥٤) .

ويبدو أن اعتراض الاسماعيلية المحدثين على موقف إيفانوف من التبنى الروحي والامامة المستودعة - على الرغم من اثباته لصحة انتساب أئمة الاسماعيلية للبيت العلوى من ناحية وجهوده في خدمة الدراسات الاسماعيلية من ناحية أخرى - يرجع إلى أنهم يرون في فكرة الامامة المستقرة والمستودعة خروجاً من المأزق الخطير الذى يواجهونه في مسألة نسب الأئمة عموماً ونسب عبيد الله المهدي على وجه الخصوص ، فالمهدي - كما سبق القول - كان أول من قوبل بإنكار نسبه العلوى وكان ذلك الإنكار علنياً منذ أول خلافته أو ظهوره في افريقية حتى أن هارون بن يونس المسالتي - الملقب عند الاسماعيلية وقتذاك بشيخ الشيوخ - قال للمهدي مواجهة « انا قد شككنا في أمرك فائتنا بآية ان كنت أنت المهدي كما قلت ؟ » ولم يجد المهدي ما يجيب به غير أن قال : « ويحك . انكم كنتم أيقنتم واليقين لا يزله الشك » (١٥٥) . وكان الأولى بالمهدي بدلاً من هذه العبارة الجذلية أن يسرد على سائله شجرة النسب العلوى التي أنشأه وانتسب إليها لكنه لم يفعل وكذلك لم يفعل من خلفه من خلفاء الظهور . وفضلاً عن هذا فإن كتاب الاسماعيلية المتقدمين مثل القاضي النعمان بن حيون وجعفر الحاجب وجوذر العريزي لم يذكروا شيئاً عن أسماء آباء المهدي وغاية ما يقولونه « الامام قبل المهدي » دون تصريح باسمه أو نسبه مما دعا بعض الباحثين إلى القول

(١٥٤) مصطفى غالب : الحركات الباطنية ، ص ٨٩ - ٩٠ .  
(١٥٥) القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .  
والداعي ادريس : عيون الأخبار ، ص ٥ ، ص ١١٨ - ١١٩ .  
( ٤ - ٤ ) - التشيع في بلاد المغرب الاسلامي (

بأن سبب تلك السرية وقتذاك هو الخوف من افتراسهم وأكتشاف حقيقة ادعائهم الكاذبة (١٥٦) .

ولم يتوقف الشك في نسب المهدي عند حد بلاد المغرب وإنما امتد هذا الشك إلى سائر أرجاء العالم الإسلامي ، وحاول الكتاب الاسماعيليون الإجابة عما عجز عنه المهدي والعبيديون الأوائل فנסجوا نسبا - أو أنسابا - للمهدي ، لكن نسيجهم جاء باليا كثير الثقوب ، ولم تكن إجاباتهم شافية ولا كافية لاقناع المتساقلين المتشككين في ادعاء العبديين انتسابهم للبيت العلوي ، ويرجع عجز الاسماعيلية هذا في تقديرنا إلى العوامل الآتية :

١ - كثرة الخلط والاضطراب والتناقض التي يعتري الروايات الاسماعيلية إلى حد تناقض الكاتب الواحد مع نفسه واختلاف ما يكتبه في كتب الظاهر عما يكتبه في كتب الباطن .

٢ - اختراع الاسماعيلية لمقولات يبررون بها تقلات الإمامة وسوقهم إياها إلى شخص معين ، وادعاهم أن هاتيك المقولات مبادئ أساسية من أصول عقيدتهم لا تتبدل ولا تتغير لكنهم يتخلون عمليا عن تلك المقولات كلما تعارضت أحداها مع ثقلة من تقلات الإمامة دون أن يفصحوا عن تخليهم عن تلك المقولات وإنما يستمر تشديقهم بها غير مباليين بأن الوقائع التي يسجلونها بأنفسهم تكذب تلك المقولات وتثبت عدم التزامهم بها .

٣ - مخالفة كثير من عقائد الاسماعيلية لعقائد أهل السنة لا سيما رأيهم في الإمامة وإتيانهم من الأعمال ما لم يقبله أهل السنة وإنما يرفضونه ويعتبرونه دليلا على زندقة الاسماعيلية من ناحية ومن ناحية أخرى يرون استحالة صدور تلك العقائد عن أناس ينتمون إلى أهل البيت الذين لم يهملوا في أحدهم الخروج على تعاليم الدين الحنيف .

٤ - تصدى العلماء والفقهاء والمؤرخون والنسابة من أهل السنة - وغيرهم - للكشف عن حقيقة النسب العبدي وقد أجمع عدد كبير من ثقافة أهل السنة على انكار انتساب العبديين للبيت العلوي نخص بالذكر منهم ابن حزم الأندلسي وابن رزام الكوفي والشريف أخا محسن

---

(١٥٦) أحسان المني ظهير ؟ الاسماعيلية ، تاريخ وعقائد ، ص ٢٥٧ .

العلوى والقاضى أبا بكر الباقلاني والامام أبا حامد الغزالي والقاضى  
عبد الجبار الهمداني وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين ممن كانت لهم مكانة  
كبيرة في نفوس المسلمين على اختلاف فرقهم أو مذاهبهم .

• - إذا كان نثر من الكتاب السنين قد قالو بصحة انتساب  
العبيديين الى البيت العلوى مثل ابن الاثير وابن خلدون والمقرئى ، فقد  
قند كتاب آخرون هذه الافوال وردوها واتهموا قائلها بالليل والهوى ،  
مثلما اتهم كل من ابن حجر العسقلاني والسخاوى ابن خلدون بأنه  
أثبت صحة انتساب العبيديين الى البيت العلوى فكأية في العلويين لما  
اشتهر عن سوء معتقد العبيديين واتهام بعضهم بالزندقة وادعاء الألوهية  
وتصريحهم بسب الصحابة في جوامعهم ومجامعهم . أما المقرئى فقد  
اتهم بالانسياق وراء استاذة ابن خلدون من ناحية ولرغته في ايجاد  
صلة نسب بينه وبين خلفاء المصريين من ناحية أخرى . وكان ابن الاثير  
يظن السخط على العباسيين على الرغم من وصفه الدولة العباسية أول  
حديثه عنها بالدولة المباركة اذ لم يكن ذلك الا على سبيل التعمية واخفاء  
مشاعره الحقيقية ولعله وجد في اثبات صحة انتساب العبيديين الى البيت  
العلوى والاشادة بالدولة العبيدية فرصة للنكأية في العباسيين الذين  
لم يكن يستطيع المجاهرة بسخطه عليهم .

هكذا يتضح لنا أن انتساب العبيديين للبيت العلوى مشكوك في  
صحته ولم تستطع الرواية الاسماعيلية نفسها أن تذهب عنا هذا الشك  
بل اذ خلطها واضطرابها وتناقضها أدعى لزيادة الشك وعدم تقصاته (١٥٧) .

(١٥٧) يذهب صديقى د. ايمن فؤاد سيد الى أنه يستخلص من رسالة  
المهدى الى ناحية اليمن امورا ثلاثة : ان عيد الله وليس اسماعيل هــو  
الذى عينه جعفر الصادق ليكون وريثا له وأن المهدى من آل البيت وأنه  
ابن عم في الباطن للرجل الذى كان في زمنه وريثا للامامة وأن المهدى ربما كان  
مستودعا للقاسم ابن القاسم محمدا الذى يبدأ به دور الظهور الحقيقى  
لأنه هو محمد بن عيد الله الذى أشارت اليه الدعوة وزالت به التقية ( الدولة  
الفاطمية ، ص ٣٩ ) ومع أننا نرى ان هذه الرسالة لا تحتل كل هذه  
التفريجات فإنه لا يصح - خاصة في مثل هذا الموضوع الشائك ان نجزم  
بأحكام قاطعة استنادا الى كتاب واحد مشكوك في نسبته الى المهدى من  
ناحية ويتناقض مع كافة كتب الاسماعيلية من ناحية أخرى ولكن ينظر  
اليه كاحدى الروايات الاسماعيلية المتناقضة .



وأخيرا ، فإن قضية النسب العبيدي قضية شائكة لا يستطيع دارس أن يدعي أنه توصل الى رأى حاسم فيها ولا نعتقد أننا أيضا قد جسدنا فيها الرأى ، ولكننا نيل بعد طول بحث وتقصى الى عدم الاقتناع بصحة ادعاء العبيدين اقتسابهم الى البيت العلوى ونشك فيه بعد أن رأينا عجز المصادر الاسماعيلية نفسها عن تبديد هذا الشك ومن ثم فافتنا لا نزيد على القول بأن الدولة التى أقامها الاسماعيلية فى افريقية وامتدت منها الى مصر كانت دولة عبيدية نسبة الى أول خلفائها المشهور بعبيد الله المهدي \* .

**التشيع في بلاد المغرب  
قبل قيام الدولة العبيدية**



### التشيع في المغرب قبل قيام الدولة العبيدية

لم يعرف التشيع طريقة الى بلاد المغرب مبكرا ، فقد كان المشرق هو ساحة النشاط الشيعي الاولى ، خاضوا عليها معاركهم الاولى بهدف اقتناص الخلافة من الأمويين ثم من العباسيين ، فلما لم تفلح جهودهم في المشرق تحولوا الى المغرب أملا في تحقيق حلمهم المنشود وتمويض ما فاتهم ادراكه في المشرق .

وجدير بالملاحظة أن القوى المعارضة لحكومة الخلافة كانت تنطلق عادة الى المشرق في بداية نشاطها المعارض لسلطان الخلافة فاذا أصابها القتل ، لسبب أو لآخر ، تحولت أنظارها الى المغرب تشد فيها تحقيق ما فشلت في تحقيقه على ساحة المشرق . يصدق هذا على الخوارج الذين ابتدأوا ثورتهم في المشرق فلما فشلوا في تحقيق نتائج تذكر هناك تحولوا الى المغرب وأدركوا فيه بعض ما عجزوا عن تحقيقه في المشرق .

ويصدق هذا أيضا على العلويين الذين تحالفوا مع العباسيين ذات يوم لمناهضة الخلافة الأموية ودعوا وقتذاك للرضا من آل محمد ، لكن العباسيين تمكنوا من تحويل الدعوة لصالحهم وقطف ثمارها وحدهم واقتنصوا الخلافة لأنفسهم فدخل العلويون في زمرة المعارضين للخلافة العباسية ، ولما فشلت ثورتهم في المشرق اتجهوا كغيرهم الى المغرب فلاحقوا بالخوارج وحققوا مثلهم على ساحة بلاد المغرب ما عجزوا عن تحقيقه في المشرق .

كما يصدق هذا أيضا على الشيعة الذين توجهوا الى المغرب بعد فشلهم في المشرق كما أسلفنا ، لكن الشيعة كانوا أكثر طموحا ممن سبقهم من الفرق المعارضة الى بلاد المغرب ، وتفوقوا على الجميع في ضخامة إنجازاتهم السياسية حتى أنهم قضوا على دول الخوارج والعلويين وضموها الى مملكتهم محققين أول وحدة مغربية مستقلة عن دولة الخلافة في المشرق .

لم يكن التطلع الى المشرق قبل المغرب مجرد فكرة ساحرة كالتى عبر عنها محمد بن علي العباسي حينما وجه دعائه الى خراسان قائلا لهم انه يتطلع الى مطلع سراج الدنيا ، ولكن كان الاتجاه الى الشرق قبل المغرب

ظاهرة لافتة للنظر تستند الى كثير من الدوافع والأسباب وهي ظاهرة تحتاج الى مزيد من البحث والتقصي ولكن يكفينا فيما نحن بصدد القول بأن طريق المعارضين الى المغرب كان يمر عادة على أشلاء تجاريهم الفاشلة في المشرق ، لكن هذه التجارب الفاشلة أكسبتهم خبرات أفادوا منها في الميدان المغربي وكان ذلك من عوامل نجاحهم على الساحة المغربية \*

على الرغم من بعد الشقة بين العلويين والشيعة إلا أن بعض المؤرخين يخلط بين العلوية والتشييع في بلاد المغرب من ذلك ما يراه بعضهم من أن ثورة خريش بن عبيد الله الكندي في تونس على إبراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأمالية هي ثورة علوية (١) بينما يرى البعض الآخر أنها ثورة شيعية (٢) ، بل يذهب البعض الى أن الدعاية الشيعية بدأت في المغرب قبل ثورة خريش بوقت طويل ربما يرجع الى وقت ابتداء الدعاية الخارجية في المغرب (٣) وأن فكرة المهدي التي ترددت في أقوال بعض فقهاء السنة كعبد الرحمن بن زياد بن أنعم حوالي منتصف القرن الثاني الهجري كانت انعكاس لفكرة المهدي الشيعية (٤) \*

وفي اعتقادنا أن تسلل العلويين الى المغرب لم يبدأ إلا بعد قيام الدولة العباسية التي ضيقت على العلويين في المشرق تضيقا شديدا ، ولذلك فإن أول إشارة تصل إلينا عن علوي في المغرب هي إشارة المسعودي الى قتل الأمير الأغلب لجعفر بن اسماعيل بن موسى بن جعفر ، ويؤكد محمد الطالبي أن الأمير المشار اليه هو إبراهيم الأول مؤسس دولة الأغالبة ، وأن جعفر المذكور هو ابن حفيد جعفر الصادق وأن قتله لم يكن لنشأة شيعي اثنا عشري بل كان نتيجة لتشكك الأمير الأغلب في العلويين بعد انتفاضة خريش (٥) \*

(١) محمد الطالبي : الدولة الأغلبية ، ص ١٥٨ ، ١٦٥ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٣٥ .

(٣) عبد الله العروي : تاريخ المغرب ، محاولة في التركيب ، ص ١٣٠ .

(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

٥٣٣ - ٥٣٤ .

(٥) الدولة الأغلبية ، ص ٢٢٥ .

ومن الملاحظ أن أكثر العلويين النازحين إلى بلاد المغرب كانوا من الفرع الحسني وربما يرجع ذلك إلى أن الحسين كانوا أكثر ميلا إلى الثورات المعلقة بينما ركن لفرع الحسيني إلى الهدوء بعد ما نزل به في كربلاء وفي ثورة زيد بن علي فلم يقاتر الحسينيون فيما يبدو بثورة علنية أخرى بينما كان الفرع الحسني أكثر اعتدالا للثورات ومن ثم كان أفرادهم أكثر نزوحا إلى المغرب فرارا من الاضطهادات خصوصا من الاضطهاد العباسي الذي بز العباسيون فيه بنى أمية فكانوا أشد قسوة منهم على الخارجيين عليهم من العلويين \*

وقد وصلت إلينا اشارات عديدة عن كثير من العلويين الذين نزحوا إلى بلاد المغرب واستوطنوها ومنهم من أقام له حكما فيها ، فقد ذكر ابن زرع أن محمد النفس الزكية كان له ستة أخوة هم : يحيى وسليمان وإبراهيم وموسى وعيسى وأدريس فبعث أربعة منهم يدعون له في الأمصار وبعث عيسى منهم خاصة إلى إفريقية فأجابه بها خلق كثير من البربر وبقي هناك إلى أن توفي ولم يتم الأمر (٦) .

وكانت كثير من المدن والمراكز في المغرب الأوسط والأقصى تنسب إلى نفر من العلويين ممن أسسوها أو حكموها وتنتد من حد إقليم الزاب حتى المغرب الأقصى ، وقد أشار إلى هذه المراكز بعض الجغرافيين والمؤرخين مثل اليعقوبي الذي يعد أقدم رحالة وقد إلى هذه المناطق من المشرق في القرن الثالث الهجري \* وقد أشار اليعقوبي إلى حكم حسن ابن سليمان العلوي في هاز التي كان يسكنها خليط من زفانة وصنهاجة وزواوة ، وحكم بنو محمد بن جعفر الحسني العلوي بناحية فييج وحكم محمد بن سليمان بن عبد الله الحسني وذريته في مليانة والخضراء ومدن أخرى : في وادي شليف وسوق إبراهيم الواقعة على الساحل عند مصب وادي سلى وتلمسان وضواحيها ونمالته وأسسوا مدينة صيرة التي عرفت حينئذ بمدينة العلويين \* وأشار البكري إلى مواضع أخرى للعلويين مثل تنس التي كان أصحابها من ولد إبراهيم بن محمد بن سليمان العلوي الحسني (٧) ومدينة حمزة - وهي غير سوق حمزة - التي بناها حمزة بن

(٦) الانيس المطرب بروفس القرطاس ، ص ٧ .

(٧) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٦١ .

الحسن بن سليمان الحسني<sup>(٨)</sup> وبني عيسى أبو العيش من ولد محمد بن سليمان مدينة جراوة وحكمها حتى توفي ونزل بعض العلويين أرشقول والجزيرة المقابلة لها في البحر والمسماة باسمها<sup>(٩)</sup> وغير ذلك من مدن مثل ترنافا<sup>(١٠)</sup> ونقيس<sup>(١١)</sup> .

وأشهر العلويين قاطبة وأهمهم في تاريخ المغرب الأقصى أدريس بن عبد الله الحسني العلوي الذي نجا من مذبحة فح ١٦٩ هـ / ٨٧٦ م وتكن من الهرب إلى المغرب بمعونة مولاه راشد فنزل مدينة ويلي على ساحل بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ، وكانت أوربة حينذاك من أعظم قبائل المغرب<sup>(١٢)</sup> فتسكن أدريس بن عبد الله بمعونته من إقامة دولة علوية في ويلي هي المعروفة بدولة الأدارسة قبل أن يقتال على يد رجل زيدي يدعى سليمان بن جرير ، دسه الرشيد للخلاص من أدريس<sup>(١٣)</sup> ، لكن جارية لأدريس بن عبد الله تدعى كنزة<sup>(١٤)</sup> وضعت له مولودا بعد موته قام راشد على تنشئته وأسماه أدريس وأخذ له البيعة من البربر ، وأدريس الثاني هذا هو الذي اختط مدينة فاس وأرسى دعائم الدولة الأدرسية<sup>(١٥)</sup> .

ولحق بأدريس الأول بن عبد الله عدد من العلويين ممن نجا من مذبحة فح المذكورة ، فقد تزح في أثره إلى المغرب أخوه سليمان بن عبد الله ، ونزل سليمان بنواحي تاهرت بعد مقتل أخيه أدريس ، لكنه

(٨) البكري : المصدر السابق ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٩) نفس المصدر ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٨٠ .

(١١) نفس المصدر ، ص ١٦٠ .

(١٢) الاستبصار ، ص ٩١٤ - ٩١٥ .

(١٣) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢١٠ - ويسمى

سليمان بن جرير أيضا بالشماع .

(١٤) يسميها الرقيق القيرواني كثيرة ( تاريخ أفريقية والمغرب .

ص ٢١٦ ) ولعله تصحيف .

(١٥) المكتاسي : جذوة الاقتباس ، ص ٢٤ وما بعدها .



لم يستقر فيها لملاحقة الأغالبة له فلهن بتلسان ونزل بها وملكها وأذعنت له زفاته وسائر قبائل البربر هناك (١٦) . وأقلت أيضا من مذبحة فخ داود ابن القاسم بن اسحاق بن عبد الله الحسنى ، ولحق ببني عسومته بالمغرب (١٧) وغيره آخرون .

وبلاحظ بعض المؤرخين أن مراكز العلويين فى نطاق المغرب الأوسط لم تقتصر على مجالات البئر فقط بل كانت أيضا بين مضارب البرانس وأن كان أكثر نزول العلويين على فروع زفاته التى سيكون عداؤها شديدا لحركة التوسع الشيعى فى بلاد المغرب (١٨) .

ويمكننا أن نلاحظ أن غالبية العلويين النازحين الى بلاد المغرب قبل التوسع الشيعى كانوا من الحسينيين ولا تكاد نعثر بينهم على حسيبى الا نادرا وذلك لأن الفرع الحسنى كان هو الأميل الى الثورات المعلنه التى تتعرض لانتقام العباسيين بينما كان الفرع الحسينى - كما سبق أن ذكرنا - أميل الى الدعة والسكينة وأن كانت له مطامح سياسية فقد عمل على تحقيقها سرا فى طى الكتمان والتخفى .

يرى نفر من المؤرخين أن العلويين الذى نزحوا الى بلاد المغرب مهدوا السبيل أمام الدعوة الاسماعيلية الشيعية (١٩) بل منهم من يذهب الى أن الدولة الادريسية كانت شيعية زيدية (٢٠) ولا يوجد ما يؤيد هذا الزعم ، فليس معنى أن يكون سليمان بن جرير زيدا وأنه تقرب من ادريس الأول بدعوى حبه لآل البيت ، وترجيح ادريس الأول به (٢١) أن يكون ادريس نفسه زيدا ، وليس معنى أن يلقى ادريس فى قراره معونة من بعض المتشيعين أن يكون لذلك زيدا ، ثم لماذا يكون زيدا على وجه الخصوص ؟ لأنه حسنى والزيدية تجيز أن تكون الامامة فى

(١٦) الميلى : تاريخ الجزائر ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

(١٧) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

(١٨) موسى لقبال : دور كثرامة ، ص ٢٠٩ .

(٢٠) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

وموسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٢٢) الاستبصار ، ص ١٩٥ .

الحسينيين مثلما تجيزها في الحسينيين ؟ أم لأن ادريس نزل على اسحاق  
ابن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي فيكون لذلك زيديا ؟

أغلب الظن أن ادريس بن عبد الله لم يكن إلا علويا سنيا ، فكثير  
من العلويين - أن لم يكن معظمهم - كانوا من أهل السنة والجماعة ،  
ولم تكن ثورتهم في الحجاز - والتي هرب ادريس بعد فشل أحداها -  
ذات صبغة شيعية ، إلا لما لقيت تمضيذا من أهل الحرمين الشرقيين في  
مكة والمدينة ، وهناك من القرائن ما يشير إلى أن ادريس الأول لم يكن  
زيديا ، فالروايات تشير إلى أن اسحاق الأوربي المعتزلي لم يتبع مذهب  
ادريس ولكن ادريس هو الذي وافقه على مذهبه (٢٢) ومعنى هذا أن  
ادريس لم يكن معتزليا أصلا وإنما سار اسحاق الأوربي لفرض سياسى  
طلبا لتأييده ومعوثته ، ويذكر ابن الأبار أن سليمان بن جرير الزيدى  
ناظر ادريس يوما في شيء فقال له (٢٣) ومعنى هذا أنه لم يكن على مذهبه ،  
ويذكر الجزائى أن الثورة التي نشبت في الحجاز والتي انتهت ببذبحه  
فتح كان الناس فيها يبايعون الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب  
وهو جالس على المنبر عليه عمامة بيضاء وكانوا يبايعونه على كتاب الله  
وسنة رسوله (٢٤) ومعنى هذا أنها لم تكن ثورة شيعية تتخذ الخضار  
شعارا لها ولم تكن البيعة على طاعة الأئمة وإنما كانت على كتاب الله  
وسنة رسوله . ولقد دعا ادريس الثانى حين بناء مدينة فاس أن يجعلها  
الله دار علم يتلى بها كتاب الله وتقام بها سنته وحدوده وأن يجعل الله  
أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقاها (٢٥) .

وقضلا عما سبق ، ما الذى يجعل الإدارة - أن كانوا زيدية في  
الأصل - يتخلون عن مذهبهم الشيعى بهذه السرعة لاسيما وأن المغرب  
الأقصى كان لا يزال مجالا مفتوحا أمام الدعوات المذهبية ونشاطات  
الفرق الاسلامية ، ففيه اندلعت أول ثورة خارجية في بلاد المغرب ، وأثبتت

(٢٢) الاستبصار ، ص ١٩٥ .

(٢٣) الحلة السرياء ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٢٤) جنى زهرة الاس وبناء مدينة فاس ، ص ١٠ .

(٢٥) نفس المصدر ، ص ٢٢ .

الوقائع والحوادث أن الدعوات المذهبية كانت تلقى قبولا في كثير من نواحي المغرب إذا أحسنت اتخاذ الشعارات المناسبة التي تنادي بها يحقق الطموحات السياسية للبربر \*

كانت الدولة الإدريسية اذن سنية منذ بدايتها ، لكن لعل تحديد مذهبها السني وأخذها بالمذهب المالكي دون غيره هي الخطوة التي تمت رسميا على عهد ادريس الثاني ، ولم يكن اتخاذ الأدراسة من المذهب المالكي مذهبيا رسميا لدولتهم العلوية لأن مالك كان امام دار الهجرة ولتأييده ثورة محمد النفس الزكية فحسب ، وانما أيضا لأن اتخاذ المذهب المالكي مذهبيا رسميا كان يؤكد استقلالية الدولة العلوية الناشئة عن الخلافة العباسية الحنفية ، ويستميل إليها أفئدة البربر الذين تملقت قلوبهم بالمالكية \*

وعلى الرغم مما سبق فلا ضرر من القول بأن نزوح العلويين الى المغرب وقيام الدولة الإدريسية العلوية قد هيأ أذهان البربر للاستماع الى الدعوة التي تدعو لآل البيت والتي نادى بها فيما بعد أبو عبد الله الشيعي داعية العبيدين والذي التزم في البداية بأفكار تعظيم آل البيت دون التصريح بحقيقة معتقداته الشيعية \*

ويبدو أن نواحي قسطنطية وبلاد الجريد كانت منطقة التشيع الأولى في بلاد المغرب قبل زمن العبيدين \* وقد كانت محلة هامة على طريق نشر التشيع في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي (٣١) بل يرجع البعض دخول التشيع نواحي قسطنطية الى منتصف القرن الثاني الهجري (٣٢) استنادا الى الروايات الاسماعيلية التي تشير الى قدوم داعين أوفدهما جعفر الصادق الى المغرب سنة ١٤٥ هـ فاستقر أحدهما ويدعى أبو سفيان بنالا قرب مرماجة ، ونزل الآخر ويدعى الحلواني بسوقجمار بموضع يقال له النافور ، وكان أبو سفيان سبب تشيع أهل مرماجة والأربس وأهل نقطة من نواحي قسطنطية (٣٣) \*

(٣٦) الطالبي : الدولة الأغلبيّة ، ص ٦٢٧ .

(٣٧) وداد القاضي : الشيعة الباطنية ، ص ١٧٢ .

(٣٨) القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ٢٦ - ٢٩ .

وعلى الرغم من أن القول بأن جعفر الصادق هو الذي أرسل أبا سفيان والحلواني لا يسلم من الشك ، وأن هناك من يرى أن منصور اليمن أبا القاسم بن حوشب هو الذي أرسل الداعين أبا سفيان والحلواني إلى المغرب وأنهما كانا يدعوان إلى محمد الحبيب (٢٩) غير أن هذا لا ينفي دخول التشيع قبل ذلك إلى بلاد المغرب ، فقد أشار البغدادي إلى أن ميمون بن ديسان القداح رحل إلى المغرب وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرضا ادعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل (٣٠) كما أشار نظام الملك الطوسي إلى أن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح سار إلى المغرب ولما لم يلق فيها آذا صاغية عاد إلى الشام (٣١) .

وعلى الرغم من أن المصادر الاسماعيلية لا تشير إلى قدوم هذين القداحيين اللذين ذكرهما البغدادي ونظام الملك وإنما تشير فقط إلى قدوم أبي سفيان والحلواني إلى المغرب ، وسواء صحت روايتا البغدادي ونظام الملك أم لم تصح ، فإنها تشير إلى أن التشيع قد عرف طريقه إلى بلاد المغرب قبل أبي عبد الله الشيعي بوقت طويل ، ولم تكن المهمة التي قام بها في بلاد المغرب إلا تنويعا لجهود سابقة وعمل متصل بحكم التخطيط (٣٢) وأنه لم يكن إلا صاحب البذر بينما كان من سبقه من الدعاة هم الحراث الذين حرثوا له بلاد المغرب ومهدوها له ليذر فيها الدعوة الاسماعيلية (٣٣) .

ويشترط بعض الدارسين - وهو فرض جائز - أن الداعين أبا سفيان والحلواني لم يدعيا لدعوة اسماعيلية (٣٤) وإنما كانا يدعوان إلى الامام الرضا من آل محمد ويشران بقرب ظهوره ذاعتين إياه بأنه المهدي

(٢٩) حسين بن فضل الله الهمداني : الصليحيون ، ص ٢٨ .

(٣٠) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ والطالبي : المرجع السابق ، ص ٦٩٢ .

(٣١) سياست نامه ، ص ٢٦٨ .

(٣٢) الطالبي : المرجع السابق ، ص ٦٣٣ .

(٣٣) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(٣٤) الطالبي : المرجع السابق ، ص ٦٣٤ .

المنتظر (٣٥) ، ولعل ذلك كان سببا في معرفة المغاربة لفكرة المهدي المنتظر التي جاءت في أقوال بعض فقهاء السنة المغاربة مثل عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم . ومهما يكن من أمر فإن دعوة أبي سفيان والحلواني كانت تمهيد أو ارهاصة بالدعوة التي قام بها أبو عبد الله الشيعي داعي الاسماعيلية .

كانت نواحي قسطنطينية التي نزل فيها أبو سفيان بناحية تالا ونواحي سوفجمار التي نزل بها الحلواني على هامش أرض كتامة ، مناطق تقع خارج نطاق النفوذ الأغلب (٣٦) مما يدل على أن هذه النواحي قد اختيرت بدقة وعناية تنبئ عن خطة اسماعيلية مؤكدة للتسلل إلى بلاد المغرب . وكانت قفظة على وجه الخصوص أكثر تلك النواحي تشييعا حتى كانت تسمى الكوفة الصغرى واليهما ينتسب كثير من الشيعة الذين خدموا العبيدين فيها بعد ، مثل محمد بن عمران النبطي الذي ولاه عبيد الله المهدي قضاء القيروان ومحمد بن رمضان النبطي الذي ولاه المهدي قضاء ميلة (٣٧) وكان من قفظة أيضا محمد بن ورستد ( ورستد ) مؤسس الشيعة البجلية في المغرب الأقصى (٣٨) .

ولعل ظهور الشيعة البجلية يدل على أن التشيع في المغرب قبل قدوم أبي عبد الله الشيعي لم يكن تشييعا اسماعيليا على وجه التحديد ، فقد اختار محمد بن ورستد ( ورستد ) مؤسس هذه الجماعة الشيعة نهجا شيعيا قريدا خاصا به وبجساعته (٣٩) قام بنشره بين بربر بني لماس وكان مذهبه من مذاهب الغلاة ، يقول عنه البكري « فدعاهم إلى سب الصحابة رضوان الله عليهم وأحل لهم المحرمات ، وزعم أن الربا من البيوع وزادهم في الأذان بعد أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا خير البشر ثم بعد حي على الفلاح حي على خير العمل ، محمد خير البرية وأن الامامة في ولد الحسن لا في ولد الحسين » (٣٩) .

(٣٥) سهيل زكار : الفكر الاسماعيلي ص ٣٧ .

(٣٦) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٢١٦ ، ص ٢٠٢ .

(٣٧) وداد القاضي : المرجع السابق ، ص ١٧١ . وسعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٣٨) وداد القاضي : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٣٩) المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب ، ص ١٦١ .

هكذا كان التشيع البجلي نهجا فريدا في التشيع يخلط بين عقائد الاسماعيلية والغلاة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا يجعل الامامة في أولاد الحسين كما تقول الشيعة الامامية ولكنه يقول بأن الامامة في الحسين . ولعله لم يقل ذلك فقط لأن الحسين كانوا أكثر عددا ونفوذاً في بلاد المغرب ، ولكنه أيضا كان يريد أن يجتذب لدعوته أهل المغرب الأقصى الذين قامت بينهم وقتذاك أول دولة علوية حسنية هي دولة الإدارة .

غير أن وجود الشيعة البجلية في طرف منعزل من المغرب الأقصى ووجود التشيع في نواحي قسطنطينية الداخلية على أطراف افريقية ( تونس ) لايعنى أن التشيع كان قد وطد أقدامه في بلاد المغرب أو أصبح واسع التأثير فلا ينبغي إذن أن يعطى حججا أكبر من حجمه الحقيقي إذ كان التشيع لا يزال محدودا لاجئا في الأطراف والمناطق المنعزلة البعيدة أو يتستر خفية وخيفة بين دوائر أهل السنة (٤٠) .

غير أنه من الممكن اعتبار هذا التشيع المحدد بمثابة تهديد للدعوة الاسماعيلية التي جاء بها أبو عبد الله الشيعي والتي اختار لها في البداية نواحي بعيدة عن متناول الأغلبية ولا يهتم بها فقهاء السنة القرويين اهتماما كبيرا لتوغلها في الداخل الذي لم يكن محفوقا بالمخاطر التي كانت تتعرض لها الجهات الساحلية ، ولذلك كانت المراقبة والجهاد في الربط الواقعة على الساحل ، أما الداخل فلم يكن يخشى منه أو عليه فكانوا أقل اهتماما به ومن ثم سنحت الفرصة أمام أبي عبد الله الشيعي ليتخذ من الجهات الداخلية البعيدة عن قبضة الأغلبية واهتمام الفقهاء مجالا لنشر دعوته التي بدأها في اعتدال وبشعارات أقرب ما تكون إلى أهل السنة انتظارا للحظة مواتية يذّر فيها مبادئ التشيع الاسماعيلي تدريجيا .

(٤٠) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٥٣٦ .

### أبو عبد الله الشيعي وقيام الدولة العبيدية

كان أبو عبد الله الشيعي صاحب الفضل الأكبر في قيام الدولة العبيدية في بلاد المغرب ، ويشبه دوره في خدمة العبيديين دور أبي مسلم الخراساني في خدمة العباسيين التي حد بعيد<sup>(٤١)</sup> بل ويتشابهان أيضا فيما لقيه كل منهما من تكران وجود للخدمات التي أدائها ونال كل منهما جزاء سنسار وكوفيء بالقتل على ما بذل من جهد ، وأكثر من هذا يتشابهان في أن مصرع كل منهما أثار ردود فعل عنيفة وثورات كادت تعصف بالدولة ، فقد تهددت الثورات التي نشبت انتقاما لمقتل أبي عبد الله دولة العبيديين مثلما تهددت الثورات التي نشبت انتقاما لمقتل أبي مسلم دولة العباسيين .

وأبو عبد الله الشيعي هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا كان عراقيا كوفيا وإن اشتهر في بلاد المغرب أحيانا باسم الصنعاني لقدومه إليها من صنعاء<sup>(٤٢)</sup> ولقد عرف أبو عبد الله الشيعي بعدة ألقاب تدل على شهرته وتنوع نشاطه من ناحية<sup>(٤٣)</sup> وتدلل على أبعاد أساليب الاسماعيلية في التخفي من ناحية أخرى حيث كان الدعاة يتخذون أكثر من اسم أو لقب ومن ثم كان أبو عبد الله الشيعي يلقب بالمتحجب لاشتغاله بالحسبة في البصرة<sup>(٤٤)</sup> ويلقب بالمعلم لأنه كان يعلم مذهب الامامية<sup>(٤٥)</sup> والأهوازي لأنه ولد في الأهواز والمشرقي صاحب البغلة الشهباء أو البلقاء<sup>(٤٦)</sup> .

(٤١) المقرئ : الملقى الكبير ، ص ٩٤ .

(٤٢) يبدو أن تلقيبه بالصنعاني جعل البعض يمدونه بمنيا من صنعاء مع أنه لم يملك بها الاقترعة وجيزة وعرف بهذا اللقب لأنه قدم على حجاج كتامة من صنعاء ( ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٧ ، وسعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٤ وإبراهيم العلوي : بلاد الجزائر ، ص ٢٥٤ ) .

(٤٣) موسى لفيال : دور كتامة ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٤٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣١ ، محمد الطالبي : الدولة

الأغلبية ، ص ٦٣٨ .

(٤٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢ .

(٤٦) موسى لفيال : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

( م ٥ - التشيع في بلاد المغرب الاسلامي )



وتشيد الرواية الاسماعيلية بمكانة أبي عبد الله الشيعي في المذهب الاسماعيلي وأنه « كان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة وزهارة وكان أكثر علمه الباطن » (١٧) . وإذا كنا لانعرف كثيرا عن حياته الأولى (١٨) فإن الرواية الاسماعيلية تذكر أن الامام الاسماعيلي (١٩) أرسله الى منصور اليمن أبي القاسم بن حوشب الذي غدا بعد نجاحه في اليمن صاحب مدرسة لاعداد الدعاة الاسماعيليين وتدريبهم (٢٠) وفرق الدعاة في نواحي اليمن والى سائر البلدان الى اليمامة والبحرين والسند والهند وناحية مصر والمغرب (٢١) لذا فقد وجه الامام الاسماعيلي أبا عبد الله الشيعي الى ابن حوشب ليلقنه ويرشده « وقيل لأبي عبد الله الشيعي امتثل سيرته وانظر الى مخارج أعماله ومجاري أفعاله فاحتذها وامثلها واعمل عليها » (٢٢) .

مكث أبو عبد الله الشيعي عند منصور اليمن أقل من عام من وقت انصراف الحجيج من مكة الى اليمن الى وقت الخروج للحج في الموسم الثاني ، ورغم قصر المدة التي مكثها أبو عبد الله الشيعي فقد استكمل - فيما يبدو - تدريبه مما يدل على سابق اعداده قبل قدومه الى اليمن اذ لا تكفي هذه المدة القصيرة التي قضاها عند ابن حوشب لاعداده اعدادا كاملا ، وأغلب الظن أن المدة التي مكثها في اليمن كانت للاعداد النهائي واللمسات الأخيرة والتدريب الراقى لهذا الداعية الاسماعيلي الخطير . ولعل هذا ما يمكن فهمه من عبارة القاضي النعمان التي يذكر

(٢٧) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٣٠

(٢٨) لايعرف عنه أكثر من أنه عمل محتسبا بالبصرة وأنه اتصل بالامام الاسماعيلي عن طريق فيروز داعي الدعاة وباب الابواب حينئذ .  
(٢٩) صحت القاضي النعمان وجعفر الحاجب عن ذكر اسم الامام ، ولكن بقية الرواة الاسماعيلية تتناقض أقوالهم حول اسم هذا الامام فبينما يذكر خطاب بن الحسن أن الامام علي بن أحمد بن عبد الله بن محمد ابن اسماعيل وأنه أرسل أبا عبد الله الشيعي الى المغرب ومن قبله أرسل ابن حوشب الى اليمن ( غاية الموائيد ، ص ٣٦ ) ويذكر الداعي ادريس أن أحمد المكشي بسعيد الخير عم المهدي هو الذي اتفد ابن حوشب الى اليمن ( عيون الاخبار ، ٥ / ص ٨٨ ) لكن ابن خلدون يرى أن الامام الذي اتصل به أبو عبد الله الشيعي هو محمد الحبيب ( الغير ، ج ٤ ص ٣٢ ) .

(٣٠) سهيل زكار : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٣١) القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ١٨ .

(٣٢) نفس المصدر ، ص ٣١ .

فيها أن ابن حوشب أدنى أبا عبد الله من مكانه « ورفع من قدره وقد كان يعرفه » (٥٢) .

خرج أبو عبد الله الشيعي مع حجاج اليمن إلى مكة (٥٤) وأخرج معه ابن حوشب رجلا يمتنا يصحبه ويقارزه بحسب ما جرت به السيرة في الدعاة ، فلقد كان من أساليب الدعوة الاسماعيلية توجيه داعيا احتياطيا أو بديلا مع الداعي الأصلي « لئلا يحدث به حدث فيكون معه من يخلقه إلى أن يأتي أمر الامام » (٥٥) وهذا ما حدث من قبل حينما أرسل الاسماعيلية الداعيين أبا سفيان والحلواني إلى المغرب ، وحينما أرسلوا أبا القاسم بن حوشب إلى اليمن ومعه علي بن الفضل ، أما أبو عبد الله الشيعي فقد أرسل معه إلى المغرب عبد الله بن أبي الملاحف (٥٦)

(٥٣) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٥٤) يفهم من الرواية الاسماعيلية أن أبا عبد الله الشيعي خرج إلى اليمن ومنها إلى المغرب بأمر الامام الاسماعيلي ولكن ابن الاثير ( الكامل ج ٦ ص ١٢٧ ) والمقرئزي ( انقاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٥٥ ) يذكوران أن ابن حوشب هو الذي وجه أبا عبد الله الشيعي إلى المغرب بعد أن بلغه موت الحلواني وأبي سفيان وهذا لا يمكن قبوله في ضوء الرواية الاسماعيلية التي ترى أن أبا سفيان والحلواني وجههما إلى المغرب جعفر الصادق وانهما ماتا قبل أن يتوجه ابن حوشب إلى اليمن بكثير .

(٥٥) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٣١ والداعي ادريس :

المصدر السابق ، سجع ٥ / ص ٤٤ .

(٥٦) يجعل المقرئزي في الملفي الكبير ( ص ٢٣ من عبد الله بن أبي الملاحف اخا لأبي عبد الله الشيعي مسميا أياه « الحسن بن أحمد بن زكريا ويذكر أنه خرج مع أخويه أبي عبد الله وأبي العباس وصار من جملة الشيعة ثم توجه مع أخيه عبد الله إلى بلاد المغرب وأقام بها إلى قبيل مسير عبد الله الشيعي إلى المغرب بيسير ، لكن المقرئزي يذكر في موضع آخر ( ص ٣٦ ) أن أبا العباس المخطوم هو الذي يعرف بأبي الملاحف مسج أنه كان يذكر قبلا ( ص ٣٥ ) اسم عبد الله بن أبي ملاحف دون إشارة لتأخيه مع أبي عبد الله الشيعي .

ويرى محمد الطائبي ( الدولة الاغلبية ص ٦٥٦ - ٦٥٧ ) أن ابن أبي الملاحف استخدم كدليل لأبي عبد الله الشيعي ليمده بكل أنواع الأخبار من البلاد والعياد في الطريق لكننا لا نوافق الطائبي على ذلك فكيف يستخدم ابن أبي الملاحف كدليل ومصدر للأخبار وهو الذي لم تسبق له زيارة بلاد المغرب من قبل ولا دراية له بأحوالها ، وأغلب الظن أن ابن أبي الملاحف كان البديل الذي يحل محل أبي عبد الله الشيعي أو يكمل مهمته إذا أصابه مكروه .

وقد وصل ابن أبي الملاحف الى بلاد كتامة لكنه مالبث أن أعيد الى اليمن واستبدل بإبراهيم بن اسحاق الزبيدي . ومع أن الرواية الاسماعيلية ترجع هذا الاستبدال الى أن والدته ابن أبي الملاحف لم تصبر على فراقه - وكان وحيدها - والتاعت لغيبه حتى فقدت عقلها فاستدعى ابنها الى اليمن اشفاقا عليها (٥٧) . غير أنه لا يستبعد وجود أسباب أخرى لهذا الاستبدال لم تفصح عنها الرواية الاسماعيلية ، فلقد سعى إبراهيم الزبيدي بالسيد الصغير ولم يكن محسود الفعل بل لعله لم يكن مخلصا للدعوة الاسماعيلية حتى انه انشق عليها بعد عودته الى اليمن (٥٨) ومثل هذا الرجل يصبح ضرره للدعوة الاسماعيلية في المغرب أكثر من نفعه ولذا فقد أعيد الى اليمن واستبدل بآخر لم يكن بأحسن منه .

وصل أبو عبد الله الشيعي مع حجيج اليمن الى مكة عازما على الاتصال بحجيج المغرب ، فقد كانت بلاد المغرب وجهته التي أخرج من أجلها (٥٩) والتقى بمنى بجماعة من كتامة وتذكر الرواية الاسماعيلية أنه كان فيهم رجلان من الشيعة ممن تشبهوا بأسباب الحلواني هما حرث الجبيلي وموسى بن مكارم (٦٠) فسمعهما أبو عبد الله يذكران لأصحابهما فضائل علي فجلس اليهما يذكر شيئا من ذلك معهما فأقبل عليه جميعهم (٦١) غير أن ابن عذارى يذكر أن شيخ هذه الجماعة التي التقى بها أبو عبد الله الشيعي « كان يميل الى مذهب الأباضية النكار فدخل عليه أبو عبد الله من هذه الثلة » (٦٢) .

(٥٧) القاضي النعمان : المصدر السابق ص ٣٢ ، والداعي ادريس : المصدر السابق ، السبع ٥ ص ٤٥ .

(٥٨) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٥٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٤ .

(٦٠) جاء اسميهما في المقفى الكبير ص ٢٥ ، الحرث الجبيلي وموسى ابن مكاد ويبدو أنه مجرد تصحيف .

(٦١) القاضي النعمان : المصدر السابق ص ٣٤ والداعي ادريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ص ٢٥ .

(٦٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

لعلنا نتساءل : هل كان هناك اعداد لاتصال أبي عبد الله بالكثامين، يرى موسى لقبال أن الرواية الاسماعيلية تدعى أن أرض كتامة كانت ممهدة موطاة ، مهدها أبو سفيان والحلواني ولذلك يبدو تصرف أبي عبد الله الشيعي في الاتصال بالكثامين غريبا لأنه لم يقصد مجلسهم مباشرة وإنما احتال للاتصال بهم ، ولذلك يرى لقبال أن قصة تعرف أبي عبد الله الشيعي بحجاج كتامة في مكة قد تكون مختلفة أو تغلغلها مبالغات كثيرة لأن تفاصيل الحوار يبدو من خالائها وكان الشيعي يجهل كل شيء عن الأوضاع السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب وفي أرض كتامة خاصة مع أنه سبق إيقاد أبي سفيان والحلواني إليها وسبق اعتراف ابن حوشب للداعي أبي عبد الله بأن الأرض ممهدة موطاة من أثر جهود الداعيين (٦٣) . وعلى الرغم من أن لقبال قد أصاب في تشكيكه إلا أنه لم يلتفت إلى أن الرواية الاسماعيلية الموالية لأئمة الاسماعيلية قبل الدعاة كان يهمها أن تغض ما استطاعت من قدر جهود أبي عبد الله الشيعي حتى لا ينسب إليه كل فضل في نجاح الدعوة الاسماعيلية في المغرب واقامة دولة العبيديين لذلك ادعت أن المغرب كانت ممهدة موطاة بفضل أبي سفيان والحلواني حتى تظهر أبا عبد الله الشيعي وكأنه جنى ثمار غرسهما ، لكن الرواية الاسماعيلية لم تمنح إلى أن الحوار الذي جرى بين أبي عبد الله والكثامين يظهر أن المغرب لم تكن ممهدة ومن ثم جاء التناقض الذي لاحظته لقبال فعزاه إلى أن كتاب المناقب الاسماعيلية نسبوا إلى أبي عبد الله الشيعي ما يدل على مهارته وحذقه .

ينفرد صاحب كتاب الاستبصار برواية عن قدوم أبي عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب (٦٤) ، ويأخذ بها محقق ذلك الكتاب (٦٥) ، وجاء فيها أن أبا عبد الله الشيعي خرج يوما إلى شاطئ دجلة ليفرج عن نفسه فجلس على صفة النهر يقرأ سورة الكهف فحضر شيخ مهيب الطلعة ومعه غلام كرش له صفة النهر فجلس الشيخ وأبو عبد الله يقرأ حتى انتهى إلى قوله تعالى « حتى إذا لقيا غلاما فقتله » فدار حوار

(٦٣) دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، ص ٢٣٥ - ٢٣٩ .

(٦٤) الاستبصار : ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٦٥) تاريخ المغرب العربي ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ .

بين الشيخ وأبي عبد الله استطاع الشيخ من خلاله أن يملك على أبي عبد الله له ثم تركه وانصرف بعد أن أثار شغفه فسأل أبو عبد الله الغلام عن يكون الشيخ فقال له هو محمد بن اسماعيل بن الحسن بن علي بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر الصادق ، فتعلق أبو عبد الله بركاب الشيخ وشرع اليه أن يعلمه السبيل إلى الامام فاصطحبه إلى منزله فادخله فيه فوجد أبو عبد الله ولد الشيخ ومعه أحد عشر رجلاً فقال لهم هذا ثاني عشرتكم ورفع من قدر أبي عبد الله وقال له قد حان وقت ظهور الامام ووجهه إلى المغرب .

غير أننا لا نميل إلى الاخذ برواية صاحب كتاب الاستبصار ، فمن الواضح أنها تخلط بين أبي عبد الله الشيعي وأبي القاسم بن حوشب الذي تنسب اليه كتب الاسماعيلية هذه القصة (٦٦) ويبدو أن صاحب كتاب الاستبصار أطلع على الرواية الاسماعيلية لكنه اختلط عليه فهمها أو أنها وصلت اليه مضطربة فتوهم أن أبا القاسم بن حوشب هو أبا عبد الله الشيعي ، فضلاً عن أن صاحب كتاب الاستبصار قد ذكر أن أبا عبد الله الشيعي لقي على ضفة النهر محمد بن اسماعيل وأورد نسبته على أنه من أحفاد موسى بن جعفر وهو بذلك يكون موسوى اثنا عشرى فكيف يكون موسوى واسماعيلي في آن واحد ، ويبدو أن الدكتور سعد زغلول عبد الحميد - محقق كتاب الاستبصار - قد فطن إلى هذا الخلط فذكر نسب محمد بن اسماعيل هذا ميتوراً وسماه « الطالب » تجنباً لهذا الخلط الذي وقع فيه صاحب كتاب الاستبصار . ولعل صاحب كتاب الاستبصار قرأ ما جاء في الرواية الاسماعيلية عن ابن حوشب من أنه كان أول أمره من الامامية الاثنا عشرية من أصحاب محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر (٦٧) فتوهم أن محمد هذا من أئمة الاسماعيلية - وهو لم يكن كذلك - ولعله قرأ

(٦٦) القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ٥ .

محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ، ص ٢٢ .

(٦٧) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٤ .

وقد أشار عطا ملك الجويني ( تاريخ جهانكشاي ، ص ١٥١ ) إلى أن ابن حوشب لقي رجلاً من أصحاب عبد الله بن ميمون القداح وكان معه طفل .

كلمة الاثنا عشرية على أن أبا عبد الله الشيعي كان متما لعدد الدعاة اثنا عشر داعيا ، ولكنه كما أشرنا لم يكن أبا عبد الله الشيعي صاحب القصة وإنما كان صاحبها - وفقا للرواية الاسماعيلية - هو أبو القاسم ابن حوشب \*

ويذهب صاحب كتاب الاستبصار أيضا الى أن الامام محمد بن اسماعيل - المشار اليه - هو الذي وجه أبا عبد الله الشيعي الى المغرب <sup>(٦٨)</sup> غير أن ابن الأثير يرى أن ابن حوشب هو الذي عين لأبي عبد الله الشيعي وجهته <sup>(٦٩)</sup> وهناك من يرى مثل رأي ابن الأثير <sup>(٧٠)</sup> إلا أن القاضي النعمان يذكر أن أبا عبد الله الشيعي أرسل الى اليمن بتعليمات فيها قولان : قيل أنه سمح له أن يختار بنفسه الجهة التي يذهب إليها ، وقيل أيضا أنه حددت له المغرب وبلد كرامة ، ويرى القاضي النعمان أن القول الثاني أثبت القولين وأرجحهما <sup>(٧١)</sup> \*

ومهما يكن من أمر فقد كانت عين أبي عبد الله الشيعي على الكتامين فوفق صلته بهم في منى وبإدلائهم الحديث فأعجبوا به وأقبلوا عليه حتى أن الرحيل فسألوه عن وجهته فقال الى مصر فاصطحبوه في رحلته وازدادوا له تعظيما كمادتهم في تعظيم كل من كان عنده شيء من العلم وإن كان لا يحسن غير قراءة القرآن <sup>(٧٢)</sup> واستقى أبو عبد الله الشيعي من الكتامين معلومات عن بلادهم وموقعها من افريقية وأحوالهم فيها وأدرك زعمتهم الاستقلالية واعتزازهم بأنفسهم ومطاعتهم الشكلية للأغلبية ومكانة المعلمين لديهم حتى إذا وصل الركب الى مصر أظهر لهم أنه يريد المقام فيها مخفيا غرضه الحقيقي ومختبرا نواياهم فأغتموا لفرارهم وسألوه

(٦٨) الاستبصار ، ص ٢٠٣ .

(٦٩) الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٢ ، حوادث سنة ١٢٦ .

(٧٠) عطا ملة الجويني : المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

والهمداني : الصليحيون ، ص ٣٨ وسعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٥٤٧ .

(٧١) افتتاح الدعوة ، ص ٣١ .

(٧٢) نفس المصدر ، ص ٣٦ .

عما يدعو للمقام في مصر فلاهي بلده ولا معه تجارة يبيعها فيها ، ولما كان قد عرف الكثير عنهم وأدرك تقديرهم للمعلمين أعلن أنه يطلب فيها التعليم فالحوا عليه بأن يتوجه معهم وممارسة مهنته في بلدهم فقبل طلبهم بعد أن تظاهر بالمناعة وخرج معهم من مصر فساروا على جادة الطريق عبر طرابلس إلى قسطنطينية (٧٣) .

ولدينا بعد ذلك روايتان عن الطريق التي سلكها أبو عبد الله الشيعي إلى بلاد كنامة ، أحدهما يرويها ابن عذارى عن الوراق وفيها أن أبا عبد الله الشيعي « أقام بالقيروان يتعرف أخبار القبائل حتى صح عنده أنه ليس من قبائل أفريقية أكثر عددا ولا أشد شوكة ولا أصعب مراما على السلطان من كنامة » (٧٤) . أما الرواية الأخرى فقد ذكرها القاضي النعمان وفيها « فكانت طريقهم من طرابلس إلى قسطنطينية لأنها الجادة فلم يدخلوا أفريقية حتى إذا ساروا إلى سوجمار من أرض سبته تلقاهم أهل الموضع فأزولهم عندهم » (٧٥) ومع أن رواية ابن خلدون تتفق مع رواية القاضي النعمان (٧٦) فإن الدكتور سعد زغلول عبد الحميد يأخذ برواية ابن عذارى عن الوراق ، يدعو ما فيها من الاحتياط في التصرف (٧٧) إلا أن ابن عذارى لم يذكر شيئا عن التحوط وإنما علل نزول أبي عبد الله الداعي القيرواني لجمع المعلومات وهو الأمر الذي يتفق مع اغفال ابن عذارى لذكر قدوم أبي سفيان والحلواني إلى بلاد المغرب من ناحية وعدم توافر معلومات عن بلاد المغرب لدى مركز الدعوة الاسماعيلية من ناحية أخرى . غير أننا نعرف أن مركز الدعوة الاسماعيلية في كل من سلمية واليمن كانا على دراية كافية بأحوال بلاد المغرب وكنامة وأن اختيار أبي عبد الله الشيعي لحجيج كنامة دون غيرهم كان اختيار مدروسا فضلا عما توافر لأبي عبد الله الشيعي من معلومات وافية عن

(٧٣) نفس المصدر ، ص ٣٧ - ٤٠ والداعي إدريس ، عيون الاخبار ، سبج ٥ ص ٤٦ ، والمقريري : انماط الحنفا ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(٧٤) البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٣٥ .

(٧٥) افتتاح الدعوة ، ص ٤٠ ، والداعي إدريس ، المصدر السابق ، سبج ٥ ص ٤٦ .

(٧٦) المعبر ، ج ٤ ، ص ٣٢ .

(٧٧) تاريخ المغرب العربي ، ج ٢ ، ص ٥٤٩ .



كتامة استقافها من حجيجهم أثناء الرحلة من مكة حتى مشارف افريقية ومن ثم لم يكن في حاجة للذهاب الى القيروان ليستقي فيها معلومات متوافرة لديه ، لذلك فالأرجح أن أبا عبد الله لم يدخل قلب افريقية ولم يتوجه الى القيروان وإنما توجه مباشرة الى بلاد كتامة عبر طريق مختصر فتوجه من قسطنطينية الى سوجمار من أرض سماته (٧٨) في منطقة لم يكن التسبيح غريبا عليها لذا فهي أكثر أمانا له من داخل افريقية ، ثم توجه من سوجمار الى أرض كتامة فوصل الى أحد بلدانها في تاريخ غير متفق عليه (٧٩) ثم طلب أبو عبد الله الشيعي منطقة كثر أمنا وبعدا عن سلطة الأغالة ففر الى الناحية الاخرى من الجبل من ممر جبلي أسماه قيج الأخيار ، معلنا الكتامين أنهم الأخيار ليذهب حناهم ويجذب اليه قلوبهم (٨٠) ثم حل بعد عبوره هذا الفج بوضع يدعو صاحب كتاب الاستبصار جبل بنى زلدوى (٨١) ويسميه القاضي النعمان إيكجان (٨٢) . ويوفق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد بين القولين فيرى أنه لا بأس من أن يكون جبل بنى زلدوى واحدا من جبال هضبة إيكجان الكبيرة (٨٣) .

- (٧٨) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٠ وابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٣٦ .  
 (٧٩) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٧ والداعي ادريس : المصدر السابق ، ص ٤٦ .  
 — يجعل القريري هذا التاريخ يوم الخميس النصف من ربيع الاول سنة ٢٨٨ هـ (المقفى الكبير ص ٢٧) .  
 (٨٠) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٨ .  
 (٨١) الاستبصار ، ص ٢٠٣ .  
 (٨٢) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٩ .  
 — إيكجان : يرى الحميري (الروض المعطار ، ص ٧١) أنه جبل بين سطيف وقسنطينية فيه قبائل كتامة . ويدعوها ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٧٣) إيكجان ولو أنه ذكر أنه سمع بعضهم يقول إيكجان . أما المحدثين ففر متفتحين على تحديد موقعها ويخصص رشيد بوزويه (الجزائر في عهد الفاطميين والزيديين ، ص ١٣٨) هذا الخلاف في أن البعض يضعها في منطقة سطيف على مسافة ميلين من قرية بنى عزيز (شقرول سابقا) ويضعها البعض الآخر قرب ميله ثم يوفق بين الرايين بأنها كانت أقرب مسافة الى سطيف لكن اتصالها بعلمه كان أسهل منه بسطيف .  
 (٨٣) تاريخ المغرب العربي ، ج ٢ ، ص ٥٥٠ .

نزل أبو عبد الله الشيعي بنوحي إيكجان في حماية بني سكتان من كنامة واتسست اقامته في إيكجان في أولها بالهدوء التام الذي مكنه من الانصراف الى الدعوة في سرية وستر ثم ما لبث أن تعرض وجوده في إيكجان للخطر واقتد فيها الأمان التام بعد أن ثار بعض رؤساء المدن وشيوخ القبائل خوفا على زعاماتهم من تزايد نفوذ الداعي الشيعي كتحالفه ضده أصحاب ميله وسطيف وبلزمه وعاونهم شيوخ بعض بطون كنامة مثل شيوخ لهيصه وأجانه ولطايه ومديوسة ، فانتقل أبو عبد الله الشيعي الى تاروزت عند بني غشمان واتخذ منها مركزا للدعوة الاسماعيلية ودار هجرة لاتباعه في بلاد المغرب (٨٤) .

يحلل بعض المؤرخين أن يقارنوا بين مرحلتى إيكجان وتاروزت بالنسبة لجهود الداعي الشيعي في كل منهما فبينما يشبه بعضهم مرحلة إيكجان بالدور المكى ومرحلة تاروزت بالدور المدني من الدعوة الاسلامية في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨٥) فإن البعض الآخر يرى أن مرحلة إيكجان كانت تمثل دور الاستتار بينما تمثل مرحلة تاروزت دور الظهور وأن الداعي الشيعي كان يقلد في ذلك أئمة الاسماعيلية في دورى الستر والظهور (٨٦) ومع نحفظنا على هذه المقارنات فإن مرحلة إيكجان كانت تتميز فعلا عن مرحلة تاروزت ، فبينما كانت جهود الداعي الشيعي في إيكجان تقوم على السرية التامة وستر حقيقة أهدافه ومراميها فانه قد أبان في تاروزت عن هويته ومذهبه الاسماعيلي بعد أن تهيأ لمواجهة أعدائه ومخالفيه .

نظم أبو عبد الله الشيعي الدعوة الاسماعيلية في بلاد المغرب تنظيما دقيقا واتخذ لها من الوسائل ما يجذب اليها نفوس الكتائب (٨٧) فقامت الدعوة أولا على السرية والتدرج في اظهار عقائد الاسماعيلية حتى لا يصطدم بها الاهالي وتلقى مقاومة عنيفة قبل أن يشتد عودها ، واستخدم الداعي الشيعي الصيغ الخطابية والعبارة المؤثرة التي ترضى نفوس الاتباع وتجذبهم الى الدعوة الاسماعيلية مثل تسميته الممر الذي مر فيه

(٨٤) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٧٩ وما بعدها .

(٨٥) محمد الطالبي : الدولة الاغلبية ، ص ٦٥٦ .

(٨٦) موسى لقبان : المصدر السابق ، ص ٦٥٦ .

(٨٧) نفس المرجع ، ص ٢٤٣ .

بنجح الأخير قاتلا للكتامين ان الاخيار قوم مشتق اسمهم من الكتمان فهم كلمة (٨٨) كما سمي تارزوت بدار الهجرة تشبها لها بدار هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم (٨٩) وتشبها لاتباعه من أهله بالانصار واتباعه الوافدين اليها بالمهاجرين ايماء على أنه واتباعه سينتصرون على أعدائهم مثلما انتصر الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار على الكافرين . ولذا فقد لقب أبو عبد الله الشيعي أتباعه بالمؤمنين بينما كان المغاربة ممن لم يدخلوا في دعوة الشيعي يدعونهم المشارقة نسبة اليه اذ كان الداعي الشيعي يعرف بالشرقي لقدمه من المشرق ويقال لمن دخل في دعوته أنه تشرق (٩٠) .

نظم ابو عبد الله الشيعي أتباعه - « المؤمنين » - تنظيما يتفق وعقائد الاسماعيلية وان كان قد راعى فيه ظروف البيئة المغربية ، وقد وضع أساس هذا التنظيم في ايكجان وطوره في تاروزت بسبب الظروف الخاص ثم في ايكجان بعد عودته اليها مرة أخرى (٩١) .

كان تنظيم أبو عبد الله لأتباعه وفقا للنظام السباعي الاسماعيلي (٩٢)

(٨٨) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٢٨ ، والمقريزي : المقفى الكبير ، ص ٢٧ .

(٨٩) محمد الطالبي : المرجع السابق ، ص ٦٥٦ .

(٩٠) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٧٩ ، والمقريزي : المقفى الكبير ص ٢٧ .

(٩١) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٩٢) كانت الاسماعيلية تأخذ بالنظام السباعي وعرفت بالسبعية ليس فقط لان عدد الائمة لديهم في دور الستر كانوا سبعة ائمة ولكن ايضا لقولهم ان تاريخ الخليفة من لدن آدم حتى القائم منهم ينقسم الى سبعة ادوار كبار تسمى ادوار النطقاء وبينها سبعة ادوار صغار يقع كل منها بين ناطقين والدور الصغير سبعة ائمة مستقرين الا في الفترات التي تحدث لمثل واسباب والقائم عندهم هو صاحب الكشف الذي يكشف ما استتر من ادوار النطقاء ويربطون بين هذه الادوار السبعة وهيئة الكون ونواميسه فيرون ان الاسابيع متناهية الى السابغ مثل الكواكب السيارة السبعة وكذلك الاقاليم المعمورة سبعة . ويدعون ان لكل قائم ايليا او شيطانا يعاذه ويغفل امته عن الصراط المستقيم . انظر :

- السجستاني : اثبات النبوءات ، ص ١٨١ - ١٩٢ .

- الداعي شهاب الدين ابو فراس : كتاب الايضاح ، ص ٣ - ٧ .  
- يحيى بن حمزة العلوي : الافحام ، ص ٦٠ .

والاسماعيلية يجعلون مراتب الدعوة سبعة وقسم القاضي النعمان العبارات الى سبع منها يدل على أهمية رقم ٧ عندهم .

فقد قسم قبائل كتامة سبعة أقسام وجعل لكل سبع منها عسكريا من القادرين على الحرب إذ كانت جماعة المؤمنين بالدعوة تنقسم إلى قسمين : من لا يقدرون على الحرب وهم ضعاف المؤمنين والقادرون على الحرب الذين يتكون منهم عسكري كل سبع وهؤلاء المحاربون ينقسمون ثلاث : مراتب الأولياء الذين أسكنهم الداعي الشيعي حول قصره في تارزوت والدعاة فالشايخ وهم مقدموا العسكري في أقسام كتامة السبعة ، وقد روعي في اختيارهم الاخلاص للدعوة الاسماعيلية دون اعتبار للسن ، وجعل لهؤلاء الشيوخ رئيسا يلقب شيخ الشيوخ ، وكانت هذه المرتبة لهارون بن يونس المسالتي (٩٦) \* وراعي الداعي الشيعي ميل البربر إلى المساواة فجعل من اتباعه اخوانا وكل مستجيب للدعوة هو أخ بين الاخوان وما الداعي أبو عبد الله إلا بمثابة الأخ الأكبر لهم ، وكان الخطاب بينهم بكلمة يا أخانا والتحية بينهم عند اللقاء تكون بالمعانقة (٩٧) \*

كان من الطبيعي \* أن يعمل أبو عبد الله الشيعي على نشر دعوته في كتامة أولا وبسط سلطانه عليها وضمان طاعتها له حتى تكون أدواته في بسط سلطانه على افريقية وغيرها من فواحي المغرب \* ولعله في الامكان أن ندعوا هذه المرحلة من الدعوة في كتامة بمرحلة العمل الداخلي التي يسكن تسميتها أيضا إلى مرحلتين : مرحلة ايكجان ومرحلة تارزوت \*

مرحلة ايكجان : قامت خطة أين عبد الله الشيعي على السرية والتقية والتدرج في بث اسرار الدعوة فلم يفصح أول الامر عن حقيقة دعواه (٩٨) وتسامع الناس بأنه يدعو إلى أمر مكتوم لا يعلمونه « فإذا سأله أخص الناس به وأقربهم إليه وأعزهم عليه عما دخل فيه وما قيل له ، قال أبلغ توقن وكانت كلمة عليهم أياها أبو عبد الله فكانت هجيراهم عند السؤال » (٩٩) \*

(٩٣) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ، ص ١٠٩ ، ص ١٠٠ وسعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٧ - ٥٥٨ .

(٩٤) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

(٩٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢٧ والمقريري والمفتي الكبير ص ٢٧ .

(٩٦) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

وموسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

ولقد نهج أبو عبد الله الشيعي في البداية نهجا قويا يتشمل في الاقبال على الصلاة والصيام وأعمال الخير وأفعال البر وتجنب المعاصي وصلاح الأحوال<sup>(٩٧)</sup> وكان لذلك أحسن الاثر في نفوس الكتاميين الذين مالوا اليه وأقبلوا على دعوته \*

وأمر أبو عبد الله الشيعي من دخل في دعوته أن يؤدوا الصدقات اليه فصاروا يحملونها اليه<sup>(٩٨)</sup> لكنه أظهر الزهد في تلك الصدقات - أو النفقات على مسمى الاسماعيلية - وجعلها في أيدي المتأيخ استمالة لهم واكتساباً لمحبة الكتاميين الذين سرهم أن يروه غير مبال بمرض الدنيا<sup>(٩٩)</sup> \*

تزايد نفوذ أبي عبد الله الشيعي في كنانة حتى خشي منه رؤساء المذنب وشيوخ القبائل على زعاماتهم فتحالفوا على التصدي له وكادت كنانة أن تنقسم على نفسها الى فريقين أحدهما مع أبي عبد الله الشيعي والآخر ضده ، فلما أدرك أبو عبد الله خطورة الموقف تخفى حتى لم يعرف مكانه الا أتباعه<sup>(١٠٠)</sup> ، ثم قرر الداعي الشيعي الهجرة من إيكجان الي تارزوت التي كانت مسكناً لواحد من أتباعه يدعى الحسن بن هارون الغشمي واعتبر أبو عبد الله تارزوت دار هجرة ودعا أتباعه الي الهجرة اليها \*

مرحلة تارزوت :

استخدمت تارزوت كدار هجرة وملجأ لجميع أنصار أبي عبد الله الداعي الذين اتجهوا اليها لرغبتهم في الالتفاف حول الداعي الشيعي أو للخطر المحدق بهم داخل قبائلهم لاتباعه واعتناق معتقدهاته<sup>(١٠١)</sup> \* واستكمل أبو عبد الله تنظيماته التي كان قد بدأها في إيكجان وابتنى له

(٩٧) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٥٣ \*

(٩٨) نفس المصدر ، ص ٥٣ \*

(٩٩) نفس المصدر ، ص ١٢٥ \*

ومحمد الطالبي : المرجع السابق ص ٦٧٨ \*

(١٠٠) القاضي النعمان : المصدر السابق ص ٨٠ - ٨٤ \*

والمقريري : اتعاط الحنفيا ، ج ١ ص ٥٨ \*

(١٠١) محمد الطالبي : المرجع السابق ، ص ٦٧٤ \*

في تارزوت قصرا ( قلعة ) يحيط به أولياؤه (١٠٢) واشتد ساعده وعظم أمره بتارزوت التي ما لبثت أن أصبحت قاعدة لحملات عديدة لآظهار قوة الجماعة الجديدة وتوسيع رقعتها (١٠٣) . وجاهر أبو عبد الله بمذهبه وأعلن أمامة أهل البيت لكنه ظل يخفى حقيقة الإمام المدعو له معلنا الدعوة للرضا من آل محمد (١٠٤) .

حاول المخالفون الذين تحالفوا ضد الداعي الشيعي في إيكجان أن يلاحقوه في تارزوت وبث القرقة في بني غشمان حتى يسهل عليهم القضاء على الداعي الشيعي تمكن من إفساد محاولاتهم واتبه بنو غشمان متحدين تحت أمرة الحسن بن هارون الغنشي وأحسن أبو عبد الله قوة على الظهور فظهر بعد استتار وأخذ يباشر الحرب بنفسه .

تحول أبو عبد الله الشيعي من مجرد داعٍ معلم إلى قائم يقود الجيوش ويخوض المعارك ونم عن مهارة في القيادة لا تقل عن مهارته في الدعوة ، وكانت الجولة التالية ضد لهيضة التي ما لبثت أن انصاعت له وصالت غشمان وانضوت تحت أمرة أبي عبد الله فقوى ساعده واشتد ثم دارت عدة معارك بين أتباعه ومخالفيه انتهت بانصياع بطون كتامة للداعي الشيعي واستأمنه المخالفون ودخل كثير منهم في دعوته ورغبة أو رهبة « واستولت أمور أبي عبد الله على عامة بلد كتامة وظهرت دعائه في كل ناحية منها وغلب أمره عليها واستحكم فيها ولم يبق فيها إلا من دخل دعوته إما راغبا وإما راهبا أو مخذولا قد أنكرها بقلبه » (١٠٥) .

غير أن الكتامين لم يدخلوا جميعا في الدعوة الشيعية وإنما شد عن ذلك عدد من أهل المدن وأمرائها وطوائف من القبائل القريبة من تلك المدن من عاشر وأهلها واستمالهم أمراؤها (١٠٦) . وأغلب الظن أن هؤلاء

(١٠٢) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(١٠٣) محمد الطائي : المرجع السابق ، ص ٦٧٤ .

(١٠٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ٣٢ .

(١٠٥) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(١٠٦) نفس المصدر ، ص ١١٦-١١٧ .

الكتامين الذين استمعوا على الدعوة الشيعية هم الذين أشعلوا عددا من الثورات ضد العبيدين في فترات لاحقة \*

لم يطمئن أبو عبد الله أول الأمر لانصياع الكتامين له فبث عيونهم يرصدون أفعالهم وأقوالهم فإذا اطلع على ما ينكره من أحدهم عاقبه بقدر ما يقتدر من ذنب ويرتكب من خطيئة فخشي الناس أبا عبد الله ووزنوا أعمالهم وحاسبوا أنفسهم وعلّموا أنه لا يغفل عنهم ولا يتجاوز لهم فاستقامت أمورهم وصلحت أحوالهم (١٠٧) « وتحامى الناس المغائب وتركوا الاختلاف في المذاهب وصاروا على أمر واحد يتسمون أخوانا » (١٠٨) \*

على هذا النحو استكمل أبو عبد الله الشيعي مرحلة العمل الداخلي وخضعت له كتامة وأصبح مهياً للمرحلة التالية والاستيلاء على إفريقية \*

#### الزحف الشيعي إلى إفريقية :

بعد أن أخضع أبو عبد الله الشيعي كتامة لأمره وأذل المعارضين منهم وأتم المرحلة الأولى التي أسمىها مرحلة العمل الداخلي رأى أن ينطلق لاستكمال جهوده بالاستيلاء على إفريقية وابتدأ خطته بالاستيلاء على المدن القريبة توسيعاً لرقعة نفوذه وتأميناً لمركزه في تارزوت فابتدأ بالتوجه في جمع من الكتامين إلى مدينة ميله وكان قد عرف أسرارها من حسن بن أحمد بن أبي خنزير الذي كان يأتيه سرا ، واستسلمت له ميله بعد قتال شديد وولى عليها أبا يوسف مكيون بن ضبارة الأجنبي (١٠٩) \* وكان الاستيلاء على ميله نقطة تحول هامة في جهود أبي عبد الله الشيعي ليس فقط لأنه بدأ بها العمل خارج حدود كتامة ولكن أيضاً لتزايد حماس أتباعه وثقتهم فيه بعد انتصارهم الذي حقق صدق ما وعدهم الداعي الشيعي من النصر \*

كان الأغلبية حكام إفريقية يشكلون العقبة الرئيسية في طريق الداعي الشيعي للسيطرة على إفريقية وبلاد المغرب ، وقد فطنوا مؤخراً

(١٠٧) القاضى التعمان : المصدر السابق ص ١٢٠ \*

(١٠٨) نفس المصدر ، ص ١٢٢ \*

(١٠٩) نفس المصدر ، ص ١٢٥ - ١٢٧ \*



لخطورة المشرقى الذى فى كنامة قاعد أمير الأغالبة وقتئذ - أبو العباس إبراهيم بن أحمد - جيشا بقيادة ابنه محمد المعروف بأبى حوال (الأحول) لقتال أبى عبد الله الشيعى ، وانضم إلى جيش أبى حوال جماعات من كنامة ممن لم يتشرفوا ولم يدخلوا فى دعوة الشيعى كما انضم إليه نفر من القبائل التى مر عليها فى طريقه مثل بنى عسلوجه أصحاب سطيف وبنو تميم أصحاب بلزمة (١١٢) فازداد جيشه عددا وقوة وتوجه إلى تارزوت لملاقاة الداعى الشيعى فتصدى له أبو عبد الله وأتباعه والتقى الفريقان عند بلدة ملوسة ودارت بينهما رحى حرب شديدة أسفرت عن هزيمة أبى عبد الله الشيعى فانسحب بجيشه إلى تارزوت التى لم تكن تصلح لمداخلة أبى حوال لقلة حصانتها فتحول عنها أبو عبد الله الشيعى عائدا إلى إيكجان فدخل أبو حوال تارزوت فخرّبها وأحرقها وهدم قصر أبى عبد الله الذى ابتناه بها (١١٣) .

اتخذ أبو عبد الله الشيعى إيكجان قاعدة له مرة أخرى وابتنى بها قصرا وتجمع أتباعه حوله فيها وصارت إيكجان دار هجرة ثانية بعد خراب تارزوت ، واهتم الداعى الشيعى بتنشيط الدعوة حتى يعيد الثقة إلى نفوس أتباعه ويستص ردود الفعل الناجمة عن هزيمته أمام أبى حوال وتخريب دار الهجرة ، لذلك « فرق أبو عبد الله الدعاة فى القبائل وتجرد بنفسه للمجالس وكان يجلس فى كل يوم للمؤمنين يحدثهم ويشرح لهم وأمر الدعاة بذلك فحسنت نيات المؤمنين وزادت بصائرهم وصلحت أخبارهم » (١١٣) .

واهتم أبو عبد الله الشيعى باستطلاع أخبار الأغالبة انتظارا لفرصة موافقه لاستئناف جهوده للاستيلاء على إفريقية فكان يرسل إلى إفريقية قوما يأتونه بالأخبار لا يقطع ذلك فليل كان لا يمر يوم الا وعنده منها خير فجاءه الخير بموت إبراهيم بن أحمد (١١٣) .

(١١٠) القاضى النعمان : المصدر السابق ص ١٣٨ - ١٤٠ .

(١١١) نفس المصدر ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

والقريزى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٨ .

(١١٢) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(١١٣) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

يرى ابن مقدارى ( البيان المغرب ج ١ ص ١٢٣ ) ان إيقاع إبراهيم

تولى بعد ابراهيم بن أحمد ابنه أبو العباس الذي كانت ولايته بداية انهيار دولة الأغلبية وسوء أحوالها الداخلية التي لم تمكن من استثمار نتائج الانتصار أبي حوال على الداعي الشيعي عند بلدة ملوسة ، بل شغلها عن الاجهاز عليه والقضاء على دعوته قبل استفحالها وكانت هذه الظروف السيئة التي تمر بالأغلبية ملائمة تماما للداعي الشيعي الذي أقلقه أن يتخلى أبو العباس بن ابراهيم بن أحمد الاغلبى عن سياسة الجور ويعمل على استرضاء رعيته والتقرب من العامة وافتخاره بالتكشف ومجالسة أهل العلم ومشاورتهم (١١٤) لكن الداعي الشيعي لم يطل قلقه وما لبث أن هذا باله بعد أن جاءه الخبر بقتل أبي العباس على يد ابنه زيادة الله الثالث .

يختلف المؤرخون في تقييم زيادة الله الثالث ، فبينما يراه البعض عريدا مستهترا أذهب بفساده الدولة الأغلبية ، فإن البعض الآخر يرى أنه قد أدى واجبه إلا أنه جاء متأخرا بعد أن تقرر مصير الدولة وفات أوان اصلاحها فلم يستطع أن يقلبها من عثرتها ويمنع سقوطها المحتوم ، وكبلا تسرع بترديد رأى أى من الفريقين سنترك الأحداث تكشف لنا عن معلن آخر أمراء الأغلبية .

ابتدأ زيادة الله الثالث امارته بداية سيئة فبعد أن وثب الى الحكم على جثة أبيه المقتول استدعى أخاه أباحوال وأمره أن يعود بجيشه الى افريقية وترك مواجهة الداعي الشيعي ، فلما رجع أبو حوال الى افريقية قتله أخوه زيادة الله وقتل معه كثير من عموته وأخوته في رمضان سنة ٣٩١ هـ (١١٥) وأدى هذا الى اضعاف البيت الاغلبى لكن زيادة الله أراد تقوية مركزه باستمالة العامة فقام لذلك بعزل القاضى الجنبى محمد بن أسود الصدينى وولى القضاء بدلا منه حماس بن مروان الفقيه المالكي (١١٦)

==  
ابن أحمد الاغلبى برجال يلزمه سنة ٢٨٠ هـ الذين كانوا يدلون كرامة كان سببا في استمالة كرامة وجرى السبيل للقيام مع الشيعي على ابن الاغلب .

(١١٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(١١٥) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٣٥ .

(١١٦) نفس المصدر ، ص ١٣٦ .

( م ٦ - التشيع في بلاد المغرب الاسلامى )

بل انه جمع اليه الفقهاء مستظهرا بهم على أبي عبد الله الشيعي فأخبرهم أن « هذا الصنعاني الخارج علينا مع كتامة يلعن أبا بكر وعمر - رضهما - ويرغم أن أصحاب النبي - صلعم - ارتدوا بعده ويسمي أصحابه المؤمنين ومن يخالفه في مذهبه الكافرين ويبيع دم من خالف رأيه ، فأظهر الفقهاء لعنه والبراءة منه وحرضوا الناس على قتاله وأفتوهم بسجاده » (١١٧) .

وكان يمكن لزيادة الله أن يعيئ الشعور العام في أفريقية ضد الداعي الشيعي لولا أن عبث واستهتاره ولهوه أسد خطته فلم تستجب له العامة مما أخلقه وجعله يتحول عن مدينة رقادة الى مدينة تونس (١١٨) .

أتاحت الظروف السيئة التي مر بها البيت الأغلب فرصة عظيمة أمام الداعي الشيعي ليستأنف عملياته العسكرية التي كانت هزيمته عند بلدة ملوسة عد حدث من ثباتها ، وقد أدى قتل أبي حوال الى فقدان الأغلبية للقائد الكفء الذي تسكن من هزيمة الداعي الشيعي وقد صدق المقرئى إذ قال : « قتل الاحول فانتشرت حينئذ جنود أبي عبد الله في البلاد » (١١٩) ، فقد أغار أبو عبد الله الشيعي على سطيف واستولى عليها من يد بني علوجة ، ووجه زيادة الله جيشا بقيادة ابراهيم بن حبشى التميمي - من أبناء عمومته - لقتال الداعي الشيعي ، ورغم فخامة الجيش الأغلبى الا أن قائده ابراهيم بن حبشى كان قليل الخبرة بالمعارك فلم يادر الى تنظيم صفوفه ومهاجمة الداعي الشيعي وانما أقام بقسنطينة ستة أشهر دون قتال مما أضر جنوده وأفقدتهم الحساس فصاروا تواقين للعودة الى ديارهم ، وأعطى ابن حبشى الفرصة لأبي عبد الله الشيعي لتجميع قواته وتنظيم صفوفه ثم مفاجأة الجيش الأغلبى عند كيوته فانهمز الجيش الأغلبى هزيمة ساحقة وقتل منه الكثير واضطر ابراهيم بن حبشى الى الانسحاب الى باغاية كاتبا الى زيادة الله الثالث بهزيمته (١٢٠) .

(١١٧) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٧

(١١٨) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

(١١٩) اتعاذ الحق ، ج ١ ، ص ٥٩ .

(١٢٠) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ١٦٩ - ١٧٢ .

كانت لهزيمة كبوة عواقب وخيمة على الأغلبية لم يتمكنوا من تلافيها (١٢١) بينما كان نتائجها عظيمة بالنسبة للداعى الشيعى ، فقد علت معنويات أتباعه « فشرفت نفوسهم وتحققت آمالهم وصح عندهم ما كان الشيعى يعدمهم به من النصر » (١٢٢) ، وفتح انتصار الداعى الشيعى فى كبوة الطريق لاحتراز انتصارات أخرى لم تكن فى حجم انتصاره فى كبوة ولكنها كانت استكمالاً له وتمهيداً للجولة الحاسمة ، فاستولى أبو عبد الله الشيعى على مدينة طينة ومدينة بلزمة ثم مدينة تيجس .

كان على كل من الداعى الشيعى والأمير الأغلبى أن يعد عدته للجولة الحاسمة فأخذ أبو عبد الله يدعم قواته بمن انضم إليها من أهل المدن التى استولى عليها كما أنه عمل على تحسين صورته عند أهل افرقية بحسن معاملته لأهل هذه المدن ، ففى طينة أخذ من الجاية ما يتوافق وأحكام الشريعة الإسلامية ورد ما خالف ذلك على أهلها « فلما نظر أهل طينة الى قمله سروا به ورجوا أن يستعمل فيهم الكتاب والسنة وانتشر فعله فى جميع نواحي افرقية » (١٢٣) . وفى تيجس لم يتعرض بأذى لرابطة كان تربط فيها وتركهم يغادرون الى افرقية فى أمان « وشاع ذلك فى أهل افرقية وقد كان تنسج عندهم على أبى عبد الله وأصحابه الفرور والقتل وأنهم يؤمنون الناس ثم يقتلون ويعطوهم اليهود ثم يخفروهم فأكذب ما كان من فعلهم فى الرابطة الذين كانوا يتنجس ما شنع من ذلك عليهم وأخبروا بذلك من أذاعوه فكانت من ذلك عن أبى عبد الله وأصحابه عند العامة بافرقية أخبار مبالحة » (١٢٤) .

أما زيادة الله الثالث فقد عمل على استمالة أهل افرقية وتحريضهم ضد الدعوة الشيعية ، فأمر بكتاب قرىء على منابر افرقية شنع فيه على الداعى الشيعى ووصفه فيه « الكافر الصنعانى المبدل لدين الله المحرف

(١٢١) محمد الطالبي : المرجع السابق ، ص ٧١٨ .

(١٢٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٣٨ .

(١٢٣) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٤٣ .

(١٢٤) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

لكتابه المستحل لدماء المسلمين بغير حقها المبيح للفروج بخلاف حلها مرتكبا للمحارم فيها ، الأكل أموالهم مستلبا لها » (١٢٥) . « ... ومن أسير ما ظهر من كفره وانتشر من قبيح اتعاليه وأمره وفشا عنه وعرف وأطبق على من اتبعه اظهار لعنه أبى بكر وعمر صاحبي رسول الله - صلعم - وصهره وخليفتيه وضجيعيه وعثمان ذى النورين زوج ابنتيه وطلحة والزبير حواريه وجماعة من أخيار صحابته » (١٢٦) . « ... ثم شرع شرعة غير شرعة الاسلام وأسسن سنة غير سنة محمد كتنها وأسر أمرها وأخذ اليهود والمواثيق على من أطلعه عليها في كتاباتها وترك التفوه بها وما يدل عليها لئلا تظهر الى المسلمين فيستحلوا جهادهم عليها واقترض الله على كل امرئ دخل في أمره دينارا أسباه دينار الجهرة ودرهما زعم أنه درهم الفطرة وقطع الصلاة واستخف بحرمة الدين وإن من جماعة المسلمين » (١٢٧) .

وأخذ زيادة الله يلوح لأهل افریقیة بأن المدد قادم اليهم من الخليفة العباسي المكتفي بالله وأخذ يمثيهم بالنصر بعد الهزيمة ويحثهم على مجاهدة الداعي الشيعي « وانفروا اليه خفافا وثقالا كما أمركم الله وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم كما افترض عليكم وادفعوا عن اباحة مهجكم وانتهاك حريمكم وأن لا تفتنوا في دينكم وكافحوا عنه من بدله وتبرءوا ممن أحدث فيه وغيره » (١٢٨) .

غير أن كتاب زيادة الله لم يؤت ثماره وأتت دعايته ضد الداعي الشيعي بعكس ما أريد منها ، وأثار كتاب زادة الله سخرية أهل افریقیة لذكره مفايد الداعي (١٢٩) فقارن الناس بين مفايد زيادة الله وما ينسب اليه الداعي في كتابه فتعاضت أهل افریقیة عن اجابة زيادة الله الي ما يريد (١٣٠) . فرأى زيادة الله أن يشير حساس الناس بالتصدي بنفسه للقتال فخرج في

(١٢٥) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(١٢٦) نفس المصدر ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(١٢٧) نفس المصدر ، ص ١٨٩ .

(١٢٨) نفس المصدر ، ص ١٩١ .

(١٢٩) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٥٦٨ .

(١٣٠) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

وأيضا مقداري ( المصدر السابق ، ج ١ ص ١٤٠ ) .

سنة ٢٣٩ هـ إلى مدينة الأريس فنزل بقربها واجتمعت إليه عساكر كثيرة وأغدى الأموال ووسع العطاء لاستمالة الناس وأكثر من العتاد والميرة (١٣١) لكنه ما لبث أن أساء التصرف حينما أشرك محمد بن جيمال الحنفى في القضاء مع حماس بن مروان (١٣٢) ، فأدى هذا إلى نفور العامة من زيادة الله الذى ما لبث أن جبن عن مباشرة القتال بنفسه فقدم على الجند إبراهيم ابن أحمد بن أبى عقال ورجل عن الأريس عائداً في حاصته إلى رقادة (١٣٣) وزاد نفور العامة منه لانغماسه في اللهو واتباعه اللذات ومتادمته العياريين والزمامرة واستغفاء حماس بن مروان عن القضاء وانفراد ابن جيمال الحنفى بالقضاء (١٣٤) مما أثار ضده مشاعر المالكية . ويبدو أن زيادة الله أحس بمرج موقفه فخرج في المحرم سنة ٢٩٥ هـ إلى مدينة تونس (١٣٥) .

وبينما كانت أحوال زيادة الله الثالث على هذا النحو من الاضطراب كان الداعى الشيعى يستولى على المدن والقلاع واحدة تلو الأخرى ، فاستولى على باغاية ومجانة وقصر الافريقى وتيفاش وبوغه قسطنطينة وقصبة وتقوى مركزه كثيراً قبل الجولة الحاسمة .

ثم جاءت الجولة الحاسمة عند الأريس في جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ هـ فانهزم فيها الجيش الأغلبى هزيمة ساحقة لم تقم له بعدها قائمة (١٣٦) وانهار زيادة الله انهياراً تاماً حتى أنه فر من افريقية إلى القسرق تاركاً الداعى الشيعى يستولى على رقادة والقبروان وسائر افريقية ، ويجهز اجهازاً تاماً على الدولة الأغلبية . ولم تفلح محاولات إبراهيم بن أحمد المهزوم في الأريس أن يجمع حوله أهل القيروان ليتقوى بهم على التصدى للداعى الشيعى ، فلقد آيس القرويون من الأغلبية

(١٣١) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

وابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(١٣٢) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

وابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(١٣٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥ .

(١٣٤) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(١٣٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

(١٣٦) البكرى : المغرب في ذكر افريقية والمغرب ، ص ٤٦ .

وطلبوا من ابراهيم بن أحمد الأعلى أن يخرج عنهم حتى لا يتلوا من أجله وينتقم منهم الداعي الشيعي بسببه وتحرش العامة بابراهيم بن أحمد حتى اضطرروه للهرب هو الآخر فلحق بزيادة الله وأصبحت القيروان مهابة ليدخلها الداعي الشيعي بلا مقاومة (١٣٧) .

لم يجد أهل القيروان بدا من الانصياع لأبي عبد الله الشيعي بعد أن خلت له الساحة تقريبا بسقوط دولة الأغالية ، وبدوا أن شيوخ القيروان خافوا من انتقام الداعي الشيعي لسابق موقفهم المعارض للدعوة الشيعية واعلانهم البراءة من الداعي الشيعي ولعنه وتحريضهم الناس على قتاله وقتلهم بسجائده ، لذلك فقد بادر الفقهاء بالكتابة الى أبي عبد الله الشيعي يعتذرون اليه ويسألونه أن يعين لهم موقعا يلتقونه فيه فواعدهم ساقية مس يوم السبت غرة رجب سنة ٣٩٦ هـ (١٣٨) فخرج اليه فقهاء القيروان وأعيانها ووجهائها فالتقوا به عند ساقية مس وأظهروا له استعدادهم للطاعة وسألوه الأمان فأمنهم ووعدهم خيرا فعادوا الى قيروانهم ونزل هو برقادة (١٣٩) .

أقدم الداعي الشيعي على عدة اجراءات ادارية ومذهبية أرسى بها دعائم الدولة الشيعية الناشئة استغرقت منه أكثر من شهرين من غرة رجب حتى منتصف رمضان سنة ٣٩٦ هـ قبل أن يخرج الى سجناسية لتخليص الامام الاسماعيلي من سجنه في سجناسية (١٤٠) .

وكان من هذه الاجراءات الادارية اعلانه الأمان التام والعفو العام لأهل القيروان ورقادة ولئن بقي بافريقية من الأغالية ومن عمل في خدمتهم أو اتصل بأسابهم لم يستثن من ذلك الا ابراهيم التميمي المعروف بالقوس وموالي الأغالية السودان لما هموا به من الوثوب عليه وتأمرهم للاطاحة به (١٤١) وأمر أبو عبد الله الشيعي بجعل ما اتهم من الاموال

(١٣٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٤٨ .

(١٣٨) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٣٧ .

(١٣٩) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ص ٢٤٣ - ٢٤٥ .

(١٤٠) موسى قتيبي : المرجع السابق ، ص ٣١٢ ، وسعد زقزلو عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ص ٥٨١ - ٥٨٢ .

(١٤١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٥٠ .



بمدينة رقاده وختم عيه زيادة الله ووقفه جواريه وولى النظر في ذلك أحمد بن فروخ الطيني الأحديب ، وولى على السكة أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودي ونقش فيها : الحمد لله رب العالمين وسميت بالعملة السيدية » (١٤٢) . واهتم الداعي الشيعي بإحلال العناصر الشيعية في المناصب الادارية والمذهبية فولى على القيروان حسن بن أحمد بن أبي خنزير وولى على قضائها محمد بن عمر المروزي الذي أصبح قاضيا للقضاة والحكام بسائر بلدان الدولة الشيعية الناشئة (١٤٣) .

ومن الاجراءات المذهبية أنه عين خطباء الجوامع من الشيعة وأمر في الخطبة بالصلاة على محمد وعلى آله وعلى أمير المؤمنين على وعلى الحسن والحسين وعلى فاطمة الزهراء وأمر يوم دخل بالأذان يحيى على خير العمل ونقش على السكة من وجه : « بلغت حجة الله » ومن الوجه الآخر « تفرق أعداء الله » ونقش على السلاح « عدة في سبيل الله » ووسم الخيل « الملك لله » (١٤٤) وأسقط من أذان الفجر « الصلاة خير من النوم » (١٤٥) وأوعز الى محمد بن عمر المروزي قاضي قضاة الشيعة أن يأمر بإسقاط صلاة الأشفاع ( التراويح ) (١٤٦) .

والواقع أن الداعي الشيعي كان ينتهج سياسة التغير التدريجي المعتدل كيلا يصدم أهل افرقية أو يشيروهم فيثورون عليه والدولة لا تزال غضة في مهدها ، ولم يتغير ايقاع التغير من الرفق الى العنف الا على يد أبي العباس المخطوم أخى أبي عبد الله الشيعي وعاونته على ذلك القاضي محمد بن عمر المروزي ، وقد ظهر ميل أبي العباس المخطوم الى انتهاج سياسة العنف منذ قدومه الى القيروان ، فقد اقترح أن ينفي من القيروان

(١٤٢) ابن عداري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥١ .

(١٤٣) القاضي التعمان : المصدر السابق ، صص ٢٤٥ - ٢٤٧ .  
وابن عداري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥١ .

(١٤٤) القاضي التعمان : المصدر السابق ، صص ٢٤٩ - ٢٥١ .  
والمقريزي : أمثال الحنفاء ، ج ١ ، صص ٦٣ - ٦٤ . والمقفي الكبير ، ص ٣١ .

(١٤٥) ابن عداري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥١ .

(١٤٦) نفس المصدر ، نفس الصفحة .



كل فقهاء المالكية لولا اعتدال أخيه أبي عبد الله ورفضه لمقترحات أخيه المخطوم (١٤٧) .

ولقد أدت الاجراءات المذهبية التي أقدم عليها الشيعة خاصة ما اقترفه أبو العباس المخطوم والقاضي المروزي الى تخلي فقهاء المالكية عن سياسة المهادنة التي انتهجوها لأول قدوم أبي عبد الله الشيعي الى أفريقيا ، وتصدوا لتلك التغيرات المذهبية التي اعتبروها كفرا ومروقا عن الدين فاشتعل الصراع المذهبي من جديد على أعنف ما يكون وفي صورة مختلفة عن الصراع المذهبي على عهد الأغالية إذ لم يعد صراعا بين المالكية والأحناف أو بعبارة أخرى بين السنة وبعض وانما أصبح صراعا بين أهل السنة والشيعة أو بالأحرى صراعا بين المالكية والاسماعيلية .

وكان مما أفسح المجال أمام أبي العباس المخطوم والقاضي المروزي لتنفيذ مخططهما واتتهاج سبيل التطرف خروج أبي عبد الله الشيعي الى سجلماسة لتخليص الامام الاسماعيلي من يد أميرها اليسع بن مدرار بعد أن كانت رحلة الامام الاسماعيلي من المشرق الى المغرب قد انتهت اليها وحط فيها رحاله .

#### عبيد الله المهدي ورحلته الى بلاد المغرب

تختلف المصادر - السنية منها والاسماعيلية على حد سواء - اختلافًا شديدًا حول شخصية المهدي ونسبه ورحلته الى بلاد المغرب • وإذا كانت المصادر الاسماعيلية نفسها لا تستطيع تعيين شخصية المهدي في دقه ولا الجزم بنسبه في وضوح ، فيكفي إذن القول بأنه كان أول العبيد بين الذين حكموا الدولة التي أقامها أبو عبد الله الشيعي في بلاد المغرب •

لقد كان من منهجنا في هذه الدراسة الرجوع الى المصادر الاسماعيلية والاعتماد عليها اعتمادا أساسيا باعتبارها أولى من غيرها بالاهتمام بموضوع الدراسة لكنه تبين لنا في كثير من المواضع تناقض المصادر الاسماعيلية وتفاوتها فيما بينها ليس فقط بين كتب الظاهر وكتب الباطن ولكن أيضا بين كتب الظاهر بعضها وبعض وبين كتب الباطن بعضها بعض ، وفضلا عن هذا كان يوجد التناقض أحيانا كثيرة في كتابات الكتاب الاسماعيلي الواحد ليس قط من كتاب لآخر ولكن أيضا من فقرة لأخرى في الكتاب الواحد على نحو يدعو بالحاح الى الشك ويجعل الاقتناع وهما يصعب على العقل تقبله أو تصديقه •

ولم تنمذ المصادر الاسماعيلية عن هذا التناقض فيما كتبه عن شخصية المهدي ونسبه ورحلته بل لعل تناقضها في ذلك أوضح وأظهر عما في غيره على الرغم من أن هذه المصادر قد تم التصرف فيها وصيغت على النحو الذي يخدم الدعاية الاسماعيلية في زمن العبيدين بهدف تجميل صورتهم وتحسين رأى الناس فيهم •

فمع أن سيرة جعفر الحاجب تكاد أن تكون أهم مصادرها عن رحلة المهدي الى بلاد المغرب على اعتبار أن جعفر الحاجب كان أحد رفاق المهدي في تلك الرحلة وعاش بنفسه أحداثها وروى ما عاينه منها كشاهد عيان ، غير أن النص الذي وصل الينا عن تلك الرحلة ليس هو نصها الأصلي الذي كتبه أو أملاه جعفر الحاجب وإنما هو نص تمت صياغته بتصريف من محمد بن محمد اليماني كاتب تلك السيرة ، يتضح ذلك من بعض الزلات التي وقع فيها مثل قوله مشيرا الى رحلة أبي عبد الله الشيعي رفقة الكتامين : « وكانت له معهم أخبار في طريقه الى المغرب

يطول شرحها قد ذكرها القاضي النعمان بن محمد في كتابه الذي ألفه في ابتداء الدولة الطالبية » (١٤٨) . فكيف تأتي الإشارة الى تأليف القاضي النعمان في النص الأصلي لسيرة جعفر الا اذا كان النص قد أعيدت صياغته على يد محمد بن محمد اليماني (١٤٩) وفضلا عن هذا فان ذلك اليماني يعترف في نهاية تلك السيرة بأنه كتب ما سمعه من جعفر « بعد أن نسي أكثره لبعده المدة وتواتر المحن » (١٥٠) . وسواء كان قد نسي أو تناسى فان النص الذي كتبه لم يكن اذن هو النص الأصلي بأى حال من الأحوال .

وتتناقض المصادر الاسماعيلية فيما بينها حول الامام الذي كان قبل المهدي في سلمية وحول الامام المرتحل من سلمية وموعد رحيله منها ، واذا كانت تتفق على أن الامام الذي ظهر في بلاد المغرب وناوله أبو عبد الله الشيعي الحكم هو عبيد الله المهدي ، فهي لا تتفق على من هو هذا المهدي ، هل هو عبيد الله بن الحسين أم هو سعيد الخير ؟ وهل هو والد القائم بأمر الله الذي تولى من بعده ؟ وهل أبوته له بالجسد أم هي فقط أبوه روحية ؟ كل هذه النقاط تختلف فيها المصادر الاسماعيلية وهي صاحبة المصلحة والصلاحية في بيان هذه القضية وتوضيحها ، ولكنها رغم ذلك عاجزة عن حسم القول فيها أو القطع فيها برأي .

يفهم من المصادر الاسماعيلية أن الامام الاسماعيلي في أواخر دور الستر كان يعيش مستترا في سلمية (١٥١) معاشرًا قوما من الهاشميين من ولد عبد الله بن عباس - رضهما - ، وكان الامام الاسماعيلي المستتر

(١٤٨) سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٢٥ .

(١٤٩) كتب القاضي النعمان افتتاح الدعوة في خلافة المعز لدين الله فيما يبدو أن روى الداعي المطلق ادريس على لسانه امرئ أمير المؤمنين - المعز - بجميع اخبار الدولة في كتاب ومناقب بني هاشم ومثالب بني عبد شمس في كتاب ففعلت وجمعت في كل من هذين الفنين كتابا جامعاً ضخماً يشتمل على أجزاء كثيرة على ما رتبته لي واقفانية ورفعتهما اليه فاستحسنهما وارتضاهما واستجاد معناهما ( الداعي ادريس : عيسون الاخبار ، ص ٦٠ من ٢٢ ) .

(١٥٠) سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٢٢ .

(١٥١) تجاهل كتاب افتتاح الدعوة ذكر سلمية قلم يشر اليها على الإطلاق .

« يظهر لهم أنه عباسي » على حد قول جعفر الحاجب (١٥٢) ولا يصح فهم هذه العبارة على أنه تظاهر بأنه من ولد العباس ، فأغلب الظن أنه تظاهر بأنه عباسي الولاء والميل (١٥٣) كان هذا الولاء للعباسيين - فيما يبدو - متميزاً بين أهل الشام الذين اجتمعوا على النفور من العباسيين والحنين إلى أيام الأمويين الذين تمتعوا في أيامهم بنفوذ عظيم حرمهم منه العباسيون . فكان تظاهر الامام الاسماعيلي المستتر بأنه عباسي الهوى كفيلاً بارتياح العباسيين الهاشميين في سلمية له وامعاً في التستر والخفاء حقيقة أمره ، بل بالغ في تقريه وتودده إلى العباسيين أن كان ياملق عمال سلمية من قبلهم ويدعو الهاشميين فيها إلى ولائهم الفاخرة التي كان يندق عليها في سخطه حتى خروجه عن سلمية إلى بلاد المغرب . ومع أن سيرة جعفر الحاجب تخطت فيما تذكره - في هذا الموضع - بين الامام السابق على المهدي وبين المهدي نفسه إلا أنه يفهم منها أن ذلك كان نهج أئمة الاسماعيلية الذين سكنوا سلمية بصفة عامة .

تختلف المصادر الاسماعيلية فيما بينها حول الامام السابق على المهدي اختلافاً شديداً . فإذا قلنا في كتب الظاهر وجدنا كل من سيرة جعفر الحاجب وافتتاح الدعوة تتجاهل ذكر اسم هذا الامام تجاهلاً تاماً غير أن جعفر الحاجب يذكر أن هذا الامام - الذي لم يسمه - زوج قبيل وفاته المهدي من ابنة عمه التي هي أم ولده القائم (١٥٤) . لكن الداعي ادريس يذكر في عيون الأخبار - وهو من كتب الظاهر - أن والد المهدي هو الحسين بن أحمد وأنه توفي والمهدي لا يزال بعد في الثامنة من عمره وأن الامام الذي زوج المهدي هو عمه أبا علي الحكيم محمد بن أحمد المكنى سعيد الخير ، ثم ينقل الداعي ادريس عن سيرة جعفر أن الامام توفي بعد زواج المهدي بآيام قليلة (١٥٥) .

أما كتب الباطن فتذكر خلاف ما جاء في كتب الظاهر ، فالداعي ادريس نفسه يذكر في كتاب باطنى له أن الامام صاحب الزمان تقدم للهجرة إلى

(١٥٢) سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٠٨ .

(١٥٣) يعميل جعفر الحاجب ( سيرته ، ص ١٠٨ ) بين هاشميين من ولد عبد الله بن عباس ، وبين من يظهر لهم أنه عباسي « ولم يقتل : يظهر لهم أنه منهم أو يظهر لهم أنه من ولد العباس على سبيل المثال .

(١٥٤) سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(١٥٥) عيون الأخبار ، سبج ٥ ، ص ٨٩ .

المغرب والمهدي في كنفه فأظهر الثقل في سفره وأوصى إلى أخيه سعيد الخير واستكفله واستودعه لولده القائم فكفله سعيد الخير وتسمى بالامامة سترًا على ولي الله واختفاء لمقامه عن أهل دعوته حتى يكون أو أن ظهوره (١٥٦) ومعنى ذلك أن المهدي الذي رحل إلى المغرب وتسلم الحكم من أبي عبد الله الداعي هو سعيد الخير وأن الامام السابق عليه لم يكن أباه وإنما كان أخاه وأنه افتحل لنفسه اسم المهدي الذي كان القائم أحق به منه وأن القائم لم يكن ولده من صلبه وإنما هو ابنه الذي تبناه وكفله حتى سلم إليه الامامة المستودعة عنده .

أما الداعي الاسماعيلي خطاب بن الحسن ، فيذكر أن الامام الذي كان سلمية هو علي بن الحسين وأنه خرج من سلمية يريد بلاد المغرب حتى إذا كان في بعض طريقه أظهر الفرية واستخلف حجة سعيد الملقب بالمهدي فثبت الدعوة حتى إذا حضرته النقلة سلم الوديعه إلى مستقرها وتسليمها محمد بن علي القائم بأمر الله (١٥٧) .

على هذا النحو ، لم تتفق المصادر الاسماعيلية فيما بينها على شخصية الامام الاسماعيلي الذي رحل عن سلمية ، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المصادر الاسماعيلية هي ركيزة البحث عن هذه الرحلة ومراحلها وسوف نعتد عليها في تتبع تلك الرحلة مع الاستفادة مما جاء بصددتها في المصادر الأخرى .

تنقسم رحلة المهدي - في تقديرنا - إلى مرحلتين رئيسيتين ، تبدأ أولاهما بخروجه من سلمية وتمتد حتى دخوله إلى مصر وتبدأ أخراهما بخروجه من مصر وتنتهي بظهوره من سجن لاساءة وتخليصه من قبضة بني مدرار على يد الداعي أبي عبد الله الشيعي .

#### المرحلة الأولى : من سلمية إلى مصر :

أشارت رواية القاضي النعمان في افتتاح الدعوة - الرواية الرسمية - إلى تلك المرحلة في اقتضاب شديد لم تتجاوز قول « فخرج بنفسه - المهدي - وبالإمام ابنه - القائم من بعده معه وهو يومئذ غلام حدث السن والمهدي شاب عندما كمل حتى انتهى إلى مصر » (١٥٨) .

(١٥٦) زهر المعالي ، ص ٦٦ - ٦٧ ، ص ٧١ .

(١٥٧) غابة المواليد ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(١٥٨) افتتاح الدعوة ، ص ١٥٨ .

وعلى الرغم من أن المصادر الاسماعيلية الأخرى تعوض اقتضاب افتتاح الدعوة بكثير من تفاصيل الرحلة إلا أننا لا نستطيع الاكتفاء بها والاعتماد عليها وحدها لما شابها من اضطراب وتناقض فيما بينها حول عدد من وقائع الرحلة وعدم تدقيقها في تحديد التواريخ أحيانا كثيرة ومن ثم لزم الرجوع إلى المصادر السننية في بعض الأحيان \*

يصعب تحديد موعد خروج المهدي عن سلمية في دقة تامة ، فافتتاح الدعوة لا يحدد تاريخا لذلك الخروج ، لكن جعفر الحاجب يجعل هذا الخروج في سنة ٢٨٩ هـ قبل شهر رجب من هذه السنة (١٥٩) بينما يجعل الداعي ادريس في سنة ٢٨٦ هـ (١٦٠) وهو أمر يصعب قبوله إذ يجعل الرحلة تستغرق سنوات طويلة لا يستغرقها المرتحل الآمن المتجه فكيف بالمرتحل الخائف المسرع خشية الوقوع في قبضة رجال الأخبار أو العمال العباسيين فضلا عن هذا فإن وقائع الرحلة تشير إلى سرعة إبقاعها وأن المهدي كان مسرعا في تنقلاته من بلد لآخر لا يمكن في أي منها إلا مدة وجيزة ، ففيما عدا ما ذكره النيسابوري عن بقاء المهدي في الرملة أكثر من سنة ونصف لا نجد رواية أخرى تشير إلى بقاءه في أي مدينة أخرى أكثر من أيام معدودة \*

ويشير ابن خلدون في معرض اثباته لصحة نسب العبيديين العلوي إلى أن المعتضد بالله العباسي وجه كتابا إلى ابن الأغلب وآخر إلى ابن مدرار بسجل ماسة يفرجها بالقبض على المهدي حين سار إلى المغرب ، ويتخذ ابن خلدون من ذلك قرينة على قبوله بصحة نسب العبيديين العلوي (١٦١) ومع أننا نجد اشارات إلى كتابي المعتضد في مصادر أخرى ومن بينها كتب اسماعيلية (١٦٢) إلا أن ما يذهب إليه ابن خلدون يجعلنا أمام أمرين : أولهما التسليم بصحة كتاب المعتضد ويترتب على ذلك ضرورة أن يكون خروج المهدي عن سلمية قبل وفاة المعتضد في ربيع الثاني ٢٨٩ هـ / مارس ٩٠٢ م ، وقد حدثت وفاة المعتضد على ذلك

(١٥٩) سيرة جعفر ، ص ١١٢ .

(١٦٠) عيون الأخبار ، سجع ٥ ، ص ٩٠ .

وكان يمكن اعتبار ذلك التاريخ نوعا من التصحيف لولا ورود كتابته بالأحرف على النحو التالي « ست وثمانين ومائتين »

(١٦١) العبر ، ج ٤ ، ص ٣١ .

(١٦٢) النيسابوري : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

قبل وصول المهدي الى الرملة التي كان فيها في رجب من خس العام أى قبل أن تتحدد وجهته بعد الى المغرب أو الى غيره ، فكيف يكتب المعتضد اذن الى ابن الأغلب وكيف علم بعزم المهدي على الاتجاه الى المغرب قبل أن يفصح المهدي عن ذلك لأحد من رفاقه .

أما الأمر الآخر ، فانه اذا لم تصح نسبة الكتاب المنسار اليه الى المعتضد الذي لم يعرف بوجه المهدي الحقيقية في حياته ولا يعقل أن يصدر عنه كتاب بذلك بعد وفاته فيصبح الكتاب بذلك محض ادعاء لا أساس له من الصحة تسقط بذلك واحدة من القرائن التي يستدل بها ابن خلدون في قوله بصحة نسب العبيدين العلوي . وفضلا عن هذا فان كلا من ابن سعيد الأندلسي (١١٣) والمقرئ (١١٤) يذكران أن خبر المهدي شاع لدى العباسيين أيام المكتنفي فطلب فخرج من سلميه ومعه ولده أبو القاسم ، ويمكن القول أن ذلك قد حدث عقب وفاة المعتضد وتولى ابنه المكتنفي خلافة العباسيين مباشرة في شهر ربيع الثاني ٢٨٩ هـ الذي توفي فيه الأول وتولى فيه الثاني الخلافة لولا أن خط سير الرحلة الذي سلكه المهدي من سلمية الى الرملة كما ذكره كل من النيسابوري وجعفر الحاجب لم يستغرق الا أقل من شهر ، فيذكر جعفر الحاجب أن المهدي سار من سلمية الى دمشق في سرعة وأنه لم يمكث في دمشق الا قليلا ثم غادرها الى طبرية فوصل الى مشارفها بعد ثلاثة أيام فقط ولم يعرج عليها ولم ينزل بها وإنما رحل مباشرة الى الرملة فنزل عند عاملها في رجب ٢٨٩ هـ (١١٥) . أما النيسابوري فيذكر أن المهدي خرج بمن معه وقت صلاة العصر الى ظاهر سلمية ثم قطع الليل كله في الانتقال منها الى حمص في حراسة ثلاثين فارسا من قبيلة رياح يقودهم غيلان الرياحي فوصلوا الى حمص غداة اليوم التالي وعاد غيلان وفرسان رياح بينما واصل المهدي المسير حتى وصل الى طرابلس الشام ثم توجه منها الى الرملة (١١٦) وعلى ذلك ، فأغلب الظن أن المهدي خرج من سلمية حوالي جمادى الآخرة سنة ٢٨٩ هـ .

(١١٣) النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، ص ٣٥ .

(١١٤) كتاب المغنى الكبير ، تراجم منشورة بتحقيق محمد يعلاوى ،

ص ٨١ .

(١١٥) سيرة جعفر ، ص ص ١١١ - ١١٢ .

(١١٦) استنار الامام ، ص ٩٧ .



أقام المهدي بالرملة - وفقاً لرواية النيسابوري مدة طويلة تمتد حتى سنة ٣٩١ هـ / ٩٠٤ م ، إذ لم يخرج عنها إلا بعد فشل الثورة القرمطية في بلاد الشام ووقوع أبي مهزول القرمطي في يد العباسيين في تلك السنة (١٦٣) ويبدو أن النيسابوري قد أصاب فيما ذهب إليه إذ يذكر المسيحي فيما نقله عنه المقرئ أن المهدي قدم إلى مصر في سنة ٣٩١ هـ (١٦٤) ولعل المهدي قد مكث في الرملة هذه المدة الطويلة لانتقال العباسيين عنه بثورة القرامطة فلما قضى على تلك الثورة رحل من قوره إلى مصر (١٦٥) .

أما عن سبب فرار المهدي فقد أرجعه القاضي النعمان إلى خوفه من العباسيين (١٦٦) ويريد المقرئ ذلك توضيحاً فيذكر أنه لما استقام أمر أبي عبد الله الشيعي ببلاد المغرب أنهز رجالاً من كتامه يثق بهم إلى عبيد الله المهدي ليخبروه بما حققه من انجازات وبأهم ينتظروته في الوقت الذي شاع فيه خبر المهدي عند العباسيين فطلب فخاف على نفسه فخرج عن سلمية (١٦٧) بينما يرجع كل من جعفر الحاجب (١٧٢) والنيسابوري (١٧٣) شيوع خبره إلى ثورة القرامطة في الشام فيما بين سنتي ٣٨٩ - ٣٩١ هـ .

لا تتفق المصادر الاسماعيلية على من صاحب المهدي في رحلته من سلمية فينبغي أن يذكر جعفر الحاجب أن المهدي وابنه القائم قد رافقهما خمسة هم : فيروز داعي الدعوة باب الأبواب ، ومليح حاضن القائم المعروف حينئذ باسم بركا ، وأبو العباس محمد بن أحمد بن زكريا أخو أبي عبد الله الشيعي وأبو يعقوب القهرمان ومحمد بن عزيزة ابن خالة جعفر الحاجب (١٧٤) أما النيسابوري فيذكر أن المهدي وابنه صاحباه معهما

- (١٦٧) استتار الامام ، ص ١٠٦ .
- (١٦٨) الملقى الكبير ، ص ٨٢ .
- (١٦٩) النيسابوري : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
- (١٧٠) افتتاح الدعوة ص ١٥٨ .
- (١٧١) الملقى الكبير ص ٨١ .
- وابن سعيد الأندلسي : المصدر السابق ، ص ١٣٥ .
- (١٧٢) سيرة جعفر ، ص ١٠٩ .
- (١٧٣) استتار الامام ص ٩٦ .
- (١٧٤) سيرة جعفر ، ص ١١٠ .



جعفر الحاجب وابن بركة لا غير (١٧٥) لكننا نفهم من جعفر الحاجب نفسه (١٧٦) ومن المقرري (١٧٧) أن رفقة المهدي كانت أكثر عددا من ذلك ، فقد صحبه أيضا عدد من الكتائب الذين حملوا اليه رسائل أبي عبد الله الشيعي .

وعلى أي حال فقد وصل المهدي وصحبه الى مصر في زى التجار تخفيا من عيون العباسيين وعمالهم منهيًا بذلك المرحلة الأولى من تلك الرحلة المشهورة .

#### المرحلة الثانية : من مصر الى سجلماسة :

وصل المهدي الى مصر في تاريخ غير متفق عليه ، فالمصادر الاسماعيلية لا تحدد ذلك التاريخ وانما تحدد المصاد السنية على وجه التقريب ، فبينما يذكر ابن عذارى أن المهدي وصل الى مصر في زى التجار سنة ٢٨٩ هـ (١٧٨) الا أن مسار الرحلة وتوقيتاتها من سلمية الى مصر - كما أوضحنا - يجعل من الصعوبة إسكان تقبل ما ذكره ابن عذارى . ويذكر المسيحي أن المهدي قدم الى مصر سنة ٢٩١ هـ (١٧٩) . أما عريب ابن سعد فيشير الى أنه وصل الى مصر ابان تواجد محمد بن سليمان الكاتب بها وأنه قبض عليه ثم أطلقه بقليل مبلغ من المال (١٨٠) بينما يذكر آخرون أنه مر بمصر في ولاية عيسى النوشري (١٨١) . ويذهب الدكتور سعد زغلول عبد الحميد الى أن مرور المهدي بمصر قد يكون ابان ثورة محمد بن علي الخليجي التي وقعت فيما بين ٢٦ ذي القعدة سنة ٢٩٢ هـ و٨ رجب سنة ٢٩٣ هـ / ٣٠ سبتمبر ٩٠٥ الى ٦ مايو سنة ٩٠٦ م (١٨٢) وكان يمكن قبول هذا الرأي لولا أن ابن عذارى يذكر أن عبيد الله المهدي جاءه كتاب أبي عبد الله الشيعي باقتصاره في كيوته سنة ٢٩٢ هـ

(١٧٥) استنار الامام ، ص ٩٧ .

(١٧٦) سيرة جعفر ، ص ١١٥ .

(١٧٧) المقتى الكبير ، ص ٣٦ .

(١٧٨) البيان المقرب ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ .

(١٧٩) المقرري : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(١٨٠) صلة تاريخ الطري ، ص ٥١ .

(١٨١) المقرري : امتداد الحنقا ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(١٨٢) تاريخ المغرب العربي ، ج ٢ ، ص ٥٨٦ .

والمهدي يومئذ بسجلماسة (١٨٣) ولذلك فإن مرور المهدي بمصر كان قبل ثورة الخليجي في ولاية عيسى النوشري أو قبيلها .

اتهم عيسى النوشري بأنه تغاضى عن الامساك بالمهدي الذى رشاه بمبلغ من المال (١٨٤) ومع أنه ليس من المعقول أن يتهم النوشري بشيل هذه الرشوة ثم يقيه الخليفة العباسى على ولاية مصر حتى وفاته في سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م ، فإن سيرة جعفر الحاجب لم تشر الى أن المهدي قبض عليه في مصر على الاطلاق ، وانما تشير الى أنه تخفى عند رجل مصرى غير شيعى يدعى ابن عياش (١٨٥) يبدو أنه ساعد المهدي بكافة في العباسيين الذين أسقطوا الدولة الطولونية لا لتشيع فيه ، يدعم هذا قول ابن شداد الصنهاجي أن الكتب أتت الى عيسى النوشري بالقبض على المهدي بعد خروج المهدي من مصر وأنه لم يعرف حقيقته لتتكرر المهدي في هيئة التجار (١٨٦) .

ويمكن القول ان اضطراب الأحوال مصر في تلك الفترة التي شهدت سقوط الدولة الطولونية واستعادة العباسيين ولاية مصر وتعاقب العمال على مصر في تلك الفترة الوجيزة هو الذى أوقع المؤرخين في هذا الخلط واللبس ، واذا كان لنا أن نرتب الأحداث فأغلب الظن أن المهدي كان في مصر أبان وجود محمد بن سليمان الكاتب عقب سقوط الدولة الطولونية ولكن المهدي لم يخرج من مصر بسرعة وانما مكث فيها مدة متخفيا في دار أحد المصريين (١٨٧) حتى تولى عيسى النوشري مصر قبل ثورة محمد ابن على الخليج وجاءته الكتب بالقبض على المهدي فأخذ في البحث عنه لكن المهدي أسرع بالخروج من مصر قبل أن تصل اليه يد الوالى العباسي .

(١٨٣) البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٣٩

(١٨٤) المقرئى : المصدر السابق ، ١ ص ٦٠

(١٨٥) سيرة جعفر ، ص ١١٥

(١٨٦) المقرئى : المقفى الكبير ، صص ٨٣ - ٨٤ .

(١٨٧) يدعوه جعفر الحاجب ابن عباس ويدعوه المقرئى ابن طلحة

كانت دار بعقبة بنى فليح ( م ٧ - التشيع في بلاد المغرب الاسلامى )

لكن ركب المهدي كان قد تعرض قبل خروجه من مصر لانشقاق خطير ، وقد يرجع هذا الانشقاق الى قبيل دخوله اليها ، فقد أشارت المصادر الاسماعيلية الى انشقاق فيروز داعي الدعوة باب الأبواب وخروجه على طاعة الامام الاسماعيلي وتمرده على فكرة التوجه الى المغرب دون اليمن . واذا كان جعفر الحاجب يجعل وقوع هذا الانشقاق في مصر ويرجمه الى أن فيروز قد فوجئ باعلان المهدي عن وجهته الى المغرب بينما كان رفاق رحلته يعتقدون أنه ستوجه الى اليمن (١٨٨) فان القاضي النعمان - رغم تجاهله لاسم فيروز - يشير الى أن أحد الدعاة كان قد سبق الى اليمن قبل دخول المهدي مصر وأنه أقسده على بن الفضل الجيشاني وأغواه وحرضه على الانشقاق على المهدي ، فلما بلغ المهدي ذلك كره الذهاب الى اليمن وأقام بمصر مدة في زى التجار ثم توجه منها الى المغرب (١٨٩) . أما الداعي ادريس فيذكر أن فيروز أحزنه سير الامام الى المغرب واستبعد المسافة فتخلف في مصر وسار الى اليمن (١٩٠) .

إذا ناقشنا الروايات الثلاثة السابقة وجدنا أن جعفر الحاجب يجعل انشقاق فيروز على المهدي قد حدث في مصر بعد اعلان المهدي عن وجهته الى المغرب وهذا قول يصعب تصديقه ، فكيف يخفى المهدي عن داعي دعائه وباب أبوابه حقيقة وجهته طوال هذه المدة الا اذا كانت ثقته به مهزوزة ؟ وكيف لا يظن فيروز - وله في الدعوة تلك المكانة التي تدل على قدرته على التهم - الى مغزى وجود الكنايين في رفقة المهدي ؟ وحتى اذا خفي عليه ذلك ، ألم يظن الى أن الدخول الى مصر بمثابة الخروج عن الطريق المؤدى الى اليمن ؟ .

أما قول الداعي ادريس ان فيروز استبعد المسافة الى المغرب فتخلف بمصر وسار الى اليمن بعد خروج المهدي الى المغرب فلا يعتد به كثيرا لأن المسافة من مصر الى بلاد كتامة ليست بأطول من المسافة من مصر الى اليمن فضلا عن أن سيرة جعفر واقتناع الدعوة وهما أكثر أصالة وأسبق من عيون الاخبار قد أجمعا على أن خروج المهدي الى المغرب كان بعد

(١٨٨) سيرة جعفر ، ص ١١٤ - ١١٥

(١٨٩) افتتاح الدعوة ، ص ١٥٩

(١٩٠) عيون الاخبار ، سبج ٥ ص ٩٥

انتشاق فيروز ، بل أرجع القاضي النعمان كراهية المهدي للذهاب الى اليمن الى هذا الانتشاق .

خرج المهدي من مصر حوالي منتصف سنة ٢٩٢ هـ في زى التجار واتجه منها الى طرابلس الغرب ضمن قافلة من التجار العراقيين (١٩١) لكنهم تعرضوا في الطريق اليها وعند موضع يسمى الطاحونه لغارة شنها عليهم بعض قطاع الطرق الذين سلبوهم بعض متاعهم ، وتعرض عبيد الله المهدي لمثل ما تعرض له التجار الآخريين من أذى الا أن الدعاية الاسماعيليه لا تنسى الافادة من هذا الحادث فتشير الى أن اللصوص ذهبوا كتباً للمهدي كان فيها علوم آياته فكان أسف المهدي عليها أشد من أسفه على غيرها مما ضاع له (١٩٢) . لكننا تتساءل ما الذي يجعل قطاع طرق من اليرير يهتمون بسلب كتب لا يعرفون ما فيها ويجهلون شخصية صاحبها وهويته السياسية ! وما الداعي لاحتفاظهم بهذه الكتب وحفاظهم عليها حتى وجدها اتقائم بأمر الله العبيدي في أولى حملاته على مصر واستردها دون أن ي تلف منها شيء .

وصل عبيد الله المهدي الى طرابلس فأرسل منها أبا العباس أخا أبي عبد الله الشيعي - والذي لقب حينئذ بالخطوم لجرح أصابه يوم الطاحونه - أرسله الى القيروان مع بعض الكتاميين ليصل معهم الى أخيه ببلدة كتامة ويعرفه بقرب المهدي منه (١٩٣) .

لكننا تتساءل : لماذا أرسل المهدي أبا العباس الى أخيه عن طريق القيروان فيعرضه للوقوع في أيدي الأغالية ؟ قد يتبادر الى الذهن أنه لم يكن يدرك طبيعة المنطقة وكيفية الوصول الى بلاد كتامة دون المرور بالقيروان ، غير أن هذا لا يصح اقتراضه مع وجود جماعة الكتاميين الذين صحبوا المهدي في رحلته وأرسلهم مع أبي العباس الخطوم ليصلوا الى الداعي أبي عبد الله عبر طريق القيروان .

(١٩١) التيسابوري : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(١٩٢) سيرة جعفر ، ص ١١٥ واقتتاح الدعوة ص ١٦١

واين الاثير ، ج ٦ ص ١٢٩ والقريزي : انفاذ الحنفا ، ج ١ ص ٦١

(١٩٣) سيرة جعفر ، ص ١١٥ واقتتاح الدعوة ص ١٦٢

أغلب الظن أن أبا عبيد الله المهدي رسم خطة ذكية للتصويه على الأغلبية وتحويل أقطارهم عنه فقام بتقسيم رفاقه إلى جبايتين ، تكونت أحدهما من أبي العباس المخطوم والكنامييين وطريقها إلى بلاد كتامة مرورا بالقيروان لتشتغل الأغلبية وتحويل انتباههم عن الجماعة الثانية التي تلتف حول المهدي وتنسب معه خفية عبر الطريق المباشر من طرابلس إلى قسطنطينية ومنها إلى بلاد كتامة وهي نفس الطريق التي سلكها أبو عبد الله الشيعي من قبل إلى بلاد المغرب .

خرج أبو العباس المخطوم من طرابلس إلى القيروان حيث وقع في يد الأغلبية (١٩٤) بينما انسل المهدي بعده إلى قسطنطينية ليتوجه منها إلى سوماته ووصل المهدي إلى توزر بنواحي قسطنطينية في سهل يدل على أمانه وثقلته بنجاح خطته حتى أنه أقام ومن معه بثوزر عدة أيام إلى أن عيّدوا فيها عيد الأضحى من سنة ٢٩٣ هـ (١٨٥) لكن المهدي قرر فجأة - عقب صلاة العيد مباشرة - أن يرحل عن توزر وحول خط سيره إلى سجلماسة (١٩٦) إذ أخبرته عيونه المبسوطة على طريق الرحلة بخير القبض على أبي العباس المخطوم رغم انكاره وجود صلة بينه وبين المهدي أو بينه وبين الداعي الشيعي في بلاد كتامة مدعياً أنه مجرد تاجر ، وأدرك المهدي خطورة الذهاب إلى بلاد كتامة مرورا بسوماته بعد أن تنسب الأغلبية في طلبه وخشى من الوقوع في أيديهم إذا خاطر بالمرور في منطقة كانت لا تزال وقتئذ خاضعة لنفوذهم فقرر تحويل وجهته عن بلاد كتامة إلى سجلماسة ليكون ينأى عن الوقوع في أيدي الأغلبية (١٩٧) . وبعد أن كان المهدي يسير من طرابلس متمهلاً مطمئناً فقد سار من توزر إلى سجلماسة في سرعة فائقة حتى أنه قطع في يوم واحد من خروجه من توزر أربعة مراحل دفعة

(١٩٤) القرطبي : المعقّى الكبير ، ص ٨٥

(١٩٥) لم تسم المصادر هذا العيد الذي لم يكن محلياً لادائهم صلاة العيد ، ولعله لم يكن عيد الفطر لعدم وجود إشارة لصيام رمضان قبل هذا التمدد رغم أهمية رمضان وصومه لدى المسلمين

(١٩٦) سيرة جعفر ، ص ١١٦ - ١١٨

(١٩٧) يبرر القاضي التميمي (انتهاج الدعوة ، ص ١٦٣) توجه المهدي إلى سجلماسة خوفاً على حياة أبي العباس المخطوم ، ويذهب إلى مثل ذلك كل من ابن الأثير (الكامل ، ج ٦ ص ١٣٠) والقرطبي (انصاف الحنفاء، ج ١ ، ص ٦١) .

واحدة (١٩٨) ويمكن تتبع المراحل الرئيسية التي قطعها المهدي من توزر الى سجلماسة ، فيبدو أنه سار من توزر مرحلتان الى قبطون بياضة ، وهي مفترق طرق يقع ما بين بلاد قسطنطين وأول بلاد سوماته ، تنفرع عنه الطرق الى بلاد السودان وإلى طرابلس وإلى القيروان (١٩٩) ولم يتوقف المهدي عند قبطون بياضة بل توغل مرحلتين أخريين في الطريق الى بلاد السودان حتى يكون بعيدا عن متناول المطاردين الذين سيصعب عليهم الاهتداء الى أى الطرق سلكها المهدي بعد مفترق طرق قبطون بياضة . ومع أن الرواية الاسماعيلية تتحدث عن وصول المهدي الى سجلماسة مباشرة ، فإن الرواية الإباضية تشير الى مروره بوارجلان (٢٠٠) ومهما كانت حقيقة ذلك فإن المهدي قد وصل الى سجلماسة قبل نهاية ذي الحجة سنة ٢٩٢ هـ ، ولابد أن للداعي الشيعي قد علم فوراً بوضوئه اليها إذ أرسل اليه يخبره بانتصاره على الأغالية في كيوته (٢٠١) وكان ذلك - على حد قول القاضي النعمان - أول فتح قدم على المهدي في سجلماسة (٢٠٢) .

#### عيد الله المهدي في سجلماسة :

على الرغم من طول الفترة التي مكثها عيد الله في سجلماسة والتي تمتد لنحو أربعة أعوام من دخوله اليها قبل نهاية ذي الحجة سنة ٢٩٢ هـ حتى أظهره أبو عبد الله الشيعي في سنة ٢٩٦ هـ ، فإن الرواية الاسماعيلية لا تمدنا بتفاصيل كثيرة عن هذه الفترة فيما عدا التصف الأخير من سنة ٢٩٦ هـ حينما قدم أبو عبد الله الشيعي للقاء عيد الله المهدي في سجلماسة . ولنا أن نقاسم لماذا تنكتم الرواية الاسماعيلية تفاصيل هذه الفترة الهامة ؟ وماذا تحرص على إخفاؤه ؟

(١٩٨) سيرة جعفر ، ص ١١٩ .  
وبهذا المعدل يكون المهدي قد قطع الطريق من توزر الى سجلماسة في حوالي عشرة أيام إذ ذكر أن الطريق بين القيروان وسجلماسة ٤٦ مرحلة فإذا قدرنا أن توزر تقع على التي عشر مرحلة تقريبا من القيروان - كما يستقى من تقديرات البكري - فإن المسافة المتبقية يمكن قطعها على هذا النحو من السرعة في حوالي عشرة أيام على الأكثر ( البكري ، ص ٤٧ ) ، ص ١٥٢ .

(١٩٩) البكري : المغرب ، ص ٧٤ .

(٢٠٠) أبو زكريا : ص ٢٥ .

(٢٠١) ابن عذارى : ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٢٠٢) افتتاح الدعوة ، ص ١٧٢ .

تشير الرواية الاسماعيلية الى أن المهدي ضم الى رفقته قبل دخوله سجناسا رجلا لم يكن من رفاق الرحلة من قبل ، ويذكر النيسابوري (٢٠٣) أن هذا الرجل كان يدعى أبو القاسم بن حسان وأنه دخل معه قسطنطينية ثم سجناسا ، بينما يقول جعفر الحاجب أن المهدي « لقي قبل دخولنا سجناسا رجلا سميّا حسن الهيئة ومعه ولد له وهو يريد اليها بتجارة معه فسأله المهدي وقد جمعهما الطريق عن اسمه ونسبه وبلده فعرفه أنه مطلبى وبلده القيروان فحادثه المهدي وآنس به ولما لقه فوجده متشيعا ففتش عقله فلما رضى أخذ عليه » (٢٠٤) ويضيف جعفر الحاجب « وكان المطلبى يكثر الوقوف عند المهدي ويأنس به ويأكل معه ولطف به وتحقق به فلما فرغ المطلبى من تجارته استأذن المهدي في الرجوع الى القيروان فقال له المهدي ... اذهب في حفظ الله وفي أي وقت رأيت الداعي ببلدة كتامة فتجأ افريقية وملك القيروان ونزل مدينة رقادة فاخرج اليه وسلم عليه وعرفه بنفسك فسأكتب اليه وأعرفه بك وأتقدم اليه بما تقف عليه فاذا رأيت قد عزم على الخروج الى سجناسا فاخرج معه وأخذ الى ابنك هذا معه وكان حينئذ معه وهو شاب قد اخضر شاربه ، قال جعفر وإنما أراد المهدي باقفا المطلبى ليعرف أبا عبد الله الشيعي بالمهدي لأن الداعي الشيعي ببلدة كتامة لم يكن رأى المهدي ... فودع المطلبى المهدي وانصرف الى القيروان » (٢٠٥) .

وبينما القاضي النعمان لا يشير اليه الى ذلك المطلبى فان الداعي ادريس يذكر أن المهدي خرج على طريق سجناسا « فوافاه في طريقها رجل يسمى المطلب من آل المطلب بن عبد مناف ومعه ولده فوجد فيهما الامام لقا سميّا وعقلا كاملا وكان من أمرهما أن أخذ عليهما عهده وقربهما منه وسارا في صحبته الى سجناسا ثم توجه عن أمره الى القيروان وقال لهما المهدي بالله .. اذا توجه داعينا الى سجناسا فارسل ابنك معه وودعاه وانصرفا الى القيروان » (٢٠٦) .

(٢٠٣) استتار الامام ، ص ١٠٦ .

(٢٠٤) سيرة جعفر ، ص ١١٩ .

(٢٠٥) نفس المصدر ، ص ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢٠٦) عيون الاخبار ، سيع ٥ ص ٩٦ .



استأجر عبيد الله المهدي في سجناسه دارا حسنة من رجل يدعى أبو حشيشه (٢٠٦) وأقام في تلك المدينة اقامة طيبة مستترا في هيئة التجار تربطه بأميرها اليسع بن مدرار علاقة طيبة « وكان المهدي يصله ويهدي اليه فكان لذلك يوجب حقه وتعظيمه » (٢٠٨) ويذهب الدكتور محمود اسماعيل عبد الرازق الى أن المهدي لم يعدم أنصارا وأتباعا من أهل سجناسه التي عرف التشيع - في رأيه - طريقه اليها قبل قدوم المهدي الذي كان يقتضى أهلها في مسائل فقهية ودينية (٢٠٩) . وإذا كنا لا نستبعد أن يستمتي أهل سجناسه عبيد الله المهدي في بعض المسائل فاننا نستبعد أن يقتضى في هذه المسائل برأى الاسماعيلية في بلد كان مذهبه الرسمي خارجيا صغريا ويوجد بين أهله كثير من أهل السنة خاصة وأن المهدي كان يخفى هويته الشيعية الاسماعيلية ويكر صلاته بالداعي أبي عبد الله الشيعي ولا يرى حرجا في أن يقتضى بغير مذهبه على سبيل التقية .

كانت علاقة عبيد الله المهدي باليسع بن مدرار طيبة - على نحو ما ذكرنا - ويبدو أنها لم تتأثر كثيرا بوصول كتاب زيادة الله الثالث أمير الأغاليه الى اليسع بن مدرار يتيه بخير المهدي ، فلقد أنكر المهدي انكارا تاما وجود صلة تربطه بالداعي في بلاد كتامة ، وإذا كان أمير سجناسه قد أصبح حذرا متوجسا خيفة من المهدي فانه لم يثله بسوء . ولما خرج أبو عبيد الله الشيعي متوجها الى سجناسه وتزايدت شكوك اليسع بن مدرار في المهدي الذي ظل مستترا في هيئة التجار ، لم يزد ابن مدرار عن تحديد اقامة المهدي وابنه القائم مستقبلا كل منهما في دار مستقلة دون أن يلحق بأى منهما أذى (٢١٠) وقد ساعد المهدي على اخفاء حقيقته أنه لم يكن المتهم الوحيد بوجود صلة بينه وبين الداعي الشيعي في بلاد كتامة وانما اتهم بذلك أيضا رجل يدعى ابن بسطام كان تاجرا يحسده أقرانه التجار على نعمته مع شركان فيه فأرادوا أن يكيّدوا له فمسعوا عليه عند اليسع بن مدرار بأنه الرجل المطلوب الذي يدعى له في كتامة فأمر اليسع ابن مدرار بتحديد اقامته هو الآخر (٢١١) .

(٢٠٧) سيرة جعفر ، ص ١١٩  
(٢٠٨) القاضى التعمان : افتتاح الدعوة ، ص ١٦٥  
(٢٠٩) الخوارج في بلاد المغرب ، ص ٢١١  
(٢١٠) القاضى التعمان : المصدر السابق ، ص ٢٧٧  
(٢١١) سيرة جعفر ، ص ١٢٢

ولما خرج أبو عبد الله الشيعي متوجها إلى سجلماسة أرسل إلى اليسع ابن مدرار ملامئاً وناظياً قصده في حربه ومشيئاً إلى أنه خرج إليه لحاجة مهمة له عنده دون أن يفصح عن حقيقة هذه الحاجة أو عن صلته بعبد الله المهدي (٢١٢) . ووصل أبو عبد الله الشيعي بجيشه إلى سجلماسة فتصدى له اليسع بن مدرار ووقعت بينهما مناوشات أدرك ابن مدرار على أثرها أنه لا قبل له بمواجهة الداعي الشيعي فهرب من سجلماسة تحت جنح الظلام ، وحين حل الصباح دل وجوه أهل سجلماسة أبا عبد الله الشيعي على مكان المهدي وابنه فاستخرجهما (٢١٣) .

تختلف المصادر الاسماعيلية اختلافاً بينا حول تفاصيل وصول أبي عبد الله الشيعي إلى المهدي في سجلماسة واستخراجه منها ، فبينما يذكر القاضي النعمان أن أبا عبد الله الشيعي لم يذكر شيئاً عن المهدي في الرسائل التي أرسلها إلى اليسع بن مدرار خوفاً على المهدي وتقية (٢١٤) فإن الداعي ادريس يذكر أن أبا عبد الله الشيعي كتب إلى اليسع بن مدرار أن قدوم المهدي إلى بلده من نعم الله تعالى عليه وأرسل إليه شقيق الخادم يطلب منه اخراج المهدي ليصرف الجيوش عن مدينته فامتنع اليسع عن اخراجه وقتل شقيق الخادم (٢١٥) . وبذكر جعفر الحاجب قصة ابن بسطام التاجر الذي كاد له التجار حتى سجنه اليسع بن مدرار في داره ، وقد رأى اليسع أن يصرف الداعي الشيعي عن مدينته فأخرج إليه ابن بسطام توخا منه أنه الرجل المطلوب ، وكاد أبو عبد الله الشيعي - الذي لم يكن قد رأى المهدي من قبل - أن يخدع في ابن بسطام فترجل له لكن ابن بسطام ترجل لترجل الداعي الشيعي الذي أدرك أنه ليس بالمهدي فطلب من أبي القاسم بن المطلبى - الذي سبقت الإشارة إليه - وقد قدم معه إلى سجلماسة أن يلزم يمينه ليدله على المهدي كما أمره بذلك . وأخذ ابن بسطام يحرض الداعي الشيعي على اقتحام سجلماسة انتقاماً من أميرها

(٢١٢) القرطبي : أنفاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٦٥ والمقفى الكبير ص ٨٦

(٢١٣) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٢٧٩

(٢١٤) نفس المصدر ، ص ٢٧٨

(٢١٥) عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ٩٩

الذى رأى الشيعة لم يهتموا بأين بسطام فأخرج المهدي إلى داعيه فتعرف عليه ابن المطلبى وأخبر بذلك أبا عبد الله الشيعى الذى ترجل له وترجل الجيش كله (٣١٦) •

على هذا النحو تتفاوت كتابات الاسماعيلية فيما بينها حول ظهور المهدي في سجلماسة على يد أبي عبد الله الشيعى ، وعلى الرغم من أن هذا التفاوت وغيره يثير في النفس بعض الهواجس والشكوك لا نستطيع الانصاح عنها لافتقارنا إلى النصوص والأدلة التى تدعمهما ، فالتنازلى مع المصادر الاسماعيلية إلى أن أبا عبد الله الشيعى أظهر عبيد الله المهدي من سجلماسة سنة ٣٩٦ هـ وسلم إليه مقاليد الأمور في الدولة الشيعية الناشئة ليصبح المهدي أول الأئمة العبيديين في بلاد المغرب ، ولتبدأ بذلك صفحة جديدة في تاريخ التشيع في بلاد المغرب •



التشيع في بلاد المغرب

في عصر أئمة الصيدين



### التشيع في خلافة عبيد الله المهدي

تغيب أبو عبد الله الشيعي عن إفريقية في خروجه إلى سجلماسة قرابة سبعة أشهر منذ خروجه في منتصف رمضان سنة ٢٩٥ هـ / يونيو ٩٠٩ م حتى إيايه صحبة عبيد الله المهدي في العشرين من ربيع الآخر سنة ٢٩٧ هـ / يناير ٩١٠ م \*

وعلى الرغم من أن السلطة في إفريقية أثناء غياب أبي عبد الله الشيعي عنها كانت رباعية ، يتولى فيها أبو زاكى تمام بن معارك ولاية إفريقية ومقره رقادة ، ويختص حسن بن أحمد بن أبي خنزير بعمل القيروان ، بينما كان قاضي قضاة إفريقية والقيروان محمد بن عمر المروزي ، لكن السلطة الفعلية العليا كانت لأبي العباس المخطوم أخى أبي عبد الله الشيعي الذي وإن كان لم يتول منصباً رسمياً كمنصب والي أو القاضي إلا أن مكائده من أخيه الداعي أبي عبد الله جعلته الأمر الناهي في إفريقية أو على حد قول القاضي النعمان « كانت أمور الناس إليه وأعتهم نحوه والأمر من ذلك أمره والنهي فيه » (١) . وقد تسلط أبو العباس المخطوم بمعونه القاضي المروزي على إفريقية في غيبة أبي عبد الله الشيعي ، واتهما سياسة عنيفة ضد أهل السنة عامة والمالكية خاصة بهدف صرف الناس عن مذاهب السنة ونشر التشيع الاسماعيلي في إفريقية ، ويعزى إلى اهتزاز شخصيتيهما وسوء تصرفيهما وقصور حجتهما ولجؤتهما إلى الوعيد والتهديد ما حل بإفريقية وقتئذ من فتن واضطرابات لم تقتصر على القيروان ورقادة وإنما تعدتهما إلى مدن كثيرة في إفريقية والمغرب الأوسط (٢) .

كان أبو العباس المخطوم عجولاً كثير الكلام ضعيف العقل — على حد وصف ابن عذاري إياه — حتى أنه أراد أن ينفي من القيروان كل من يذهب من الفقهاء مذهب أهل المدينة — المالكية — فلم يجبه أخوه أبو عبد الله إلى ذلك (٣) . وعلى الرغم من وصف القاضي النعمان له في موضع الرضا

(١) افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٧

(٢) موسى لقبال : دور كرامة ، صص ٤١٧ — ٤١٨

(٣) البيان المغرب ، ج ١ صص ١٥٠ — ١٥١



عنه بأنه كان أسن من أخيه وأخذ وأحد ذهنا وأكثر تفننا في العلوم (٤) إلا أن القاضي النعمان يعود فيصفه في موضع السخط والغضب عليه بأنه فسدت قيته وتداخله الحسد واستغره الشيطان فأغواه (٥) وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على اهتزاز شخصية أبي العباس المخطوم وتقلبه ونزوعه إلى السلطة وتطلعه إليها ، لذلك فقد مارس التسلط في غيبة أخيه ولم يتورع عن استخدام العنف والبطش لفرض آرائه مهما كان افتقارها إلى الصواب أو الاقتناع .

أما قاضي قضاة الشيعة محمد بن عمر المروزي فقد كان — على حد قول المالكي — معتقدا لمذهب الشيعة قبل ظهور دولتهم في أفريقية « فلما دخل الشيعي بادر إليه ودخل في دعوته ولزمه فولاء قضاء أفريقية فتصلب وتكبر وكانت أيامه صعبة جدا وأخاف أهل السنة (٦) » ويذكر القاضي النعمان أن المروزي « كان له تضييع قديم وظل في الفقه من قول الأئمة ، وجعل إليه توليه القضاء والحكام بسائر البلدان وكان يكتب في كتبه وسجلاته من محمد بن عمر قاضي القضاة » (٧) .

تحالف أبو العباس المخطوم والقاضي المروزي على البطش بأهل السنة خاصة فقهاء المالكية ، وعلى الرغم من اغفال القاضي النعمان ذكر ما أنزل به بأهل السنة من أذى ، فإن الداعي أدريس كاد أن يعترف بذلك إذ ذكر عن أبي العباس المخطوم أنه « انتصب للدعوة وسارع الناس إليه وشد شكيمة المروزي الذي أقامه أبو عبد الله للقضاء وأمره باظهار قول آل محمد صلى الله عليه وسلم وأن لا يظهر أحد من كتب مالك وأبي حنيفة شيئا » (٨) .

(٤) افتتاح الدعوة ، ص ٢٦٩ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٠٧ .

(٦) رياض النفوس ، ج ٢ ص ٥٥ .

(٧) افتتاح الدعوة ، ص ٧٧ .

(٨) حيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ٩٨ .

ويذكر المالكي ( رياض النفوس ، ج ٢ ص ٥٥ ) أن أبا العباس اطلق يد المروزي وقوى امره .

يبدو أن الشيعة الاسماعيلية قد وقفوا موقفا واحدا من أهل السنة أول استيلائهم على افريقية فلم يميزوا بين المالكية والأحناف والشافعية<sup>(٩)</sup> ومنعوا اظهار كتب مالك وأبي حنيفة على حد سواء ، وأرسل القاضي المروزي في طلب العلماء مديهم وعراقيهم قائلا لهم اني أمرت أن أناظركم في قيام رمضان<sup>(١٠)</sup> وكانت هذه المناظرة لأول توليه القضاء<sup>(١١)</sup> فابتدأ بأن زاد في الأذاني حتى على خير العمل ومنع صلاة القيام<sup>(١٢)</sup> .

ثم حدث تقارب بين الشيعة والأحناف كان موجها ضد المالكية ، ويرجع هذا التقارب الى المصالح المشتركة بينهما ، فقد كان الشيعة في حاجة الى فريق يستقبلونه ويعتمدون عليه فلم يجدوا خيرا من العراقيين المتساهلين للتحالف معهم ضد المالكية المتشددين ولبت الفرقة في صفوف أهل السنة اضعاقا لمقاومتهم للدعوة الشيعية ، فضلا عن أن الشيعة كانوا أميل الى العراقيين من غيرهم لموافقة الأحناف لهم في مسألة التفضيل ولما في مذهب العراقيين من الترخيص<sup>(١٣)</sup> بينما كان العراقيون يرون في التحالف مع الشيعة تحقيقا للكسب وطريقا الى تولي الوظائف التي دأبوا على التطلع اليها منذ عصر الأغلبية ووسيلة تنجيهم من الأذى أو تعصمهم من العقاب

(٩) كان أبو عثمان سعيد بن الحداد الذي تزعم معارضة الشيعة شافعيًا كما كان أبو العباس بن السندی شافعيًا وهو ممن ضرب وعذب على يد الشيعة ( الخشنى : المصدر السابق ، ص ٢١٧ ) .

(١٠) المالكي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٦٠ .

(١١) يجعل المالكي ولاية المروزي على القضاء في ١٨ شعبان سنة ٢٩٦ هـ بينما يجعله كل من القاضي النعمان ( افتتاح الدعوة ص ٢٤٧ ) والداعي أدريس ( عيون الاخبار ، سيع ٥ ، ص ٨٨ ) في أول رمضان سنة ٢٩٦ هـ .

(١٢) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٥١ .

والمالكي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥٥ .

(١٣) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٥٥ والدباغ : معالم الايمان ، ج ٢ ص ٦٠ ، ومياض : ترتيب المدارك ، ج ٥ ص ١١٨ ، ومحمد العروسي المطوي : سيرة القيروان ص ٣٢ .

على زلاتهم فهذا أحمد بن محمد بن شهرين - على سبيل المثال - فقيه  
بمذهب أهل العراق غزا مع أبي عبد الله الشيعي راجلا يرى أنه محتسب  
للتواب في طلب الإمام فولى بهذا السبب قضاء مدينة برقة بعد ذلك (١٤)  
وهذا خلف بن معمر بن منصور من الفقهاء العراقيين أيضا يشرق أول  
دخول الشيعة افرقية ليعتصم بذلك من مطالبة الشيعة لولده بمال كان  
غمس يده فيه عند هرب زيادة الله من رقادة (١٥) وقاسم بن خلاد الواسطي  
تشرق طنعا في تولي القضاء وجعفر بن أحمد بن وهب تشرق فولاه اسحاق  
ابن أبي المنهال مطالب القيروان واسحاق بن أبي المنهال وزارة بن أحمد  
وغيرهم (١٦) .

وفضلا عن هذا فقد وجد فقهاء الأحناف في التحالف مع الشيعة فرصة  
للانتقام من المالكية ، فكثيرا ما حرض الأحناف الشيعة على إيذاء المالكية  
والقتك بهم ، من ذلك - على سبيل المثال - تحريضهم على قتل الفقيهين  
المالكيين ابراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون وأبي بكر بن  
هذيل اللذان كانا على خلاف مع الأحناف قدس عليهما محمد الكلاعي  
الحنفي وأصحابه عند أبي العباس المخطوم ومحمد بن عسر المروزي  
القاضي حتى أمر المخطوم حسن بن أبي خنزير عامل القيروان بحبسهما  
وقتلهما في صفر سنة ٢٩٧ هـ (١٧) .

أدى تحالف الشيعة والأحناف ضد المالكية الى محنة المالكية في العصر  
الشيوعي ، تلك المحنة التي يعلوها المالكية عصر استشهاد (١٨) وجهاد مقدس

(١٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٥٣ والخشني : المصدر  
السابق ص ٢٢٥ وموسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٤٢٤ . ( ويسميه ابن  
عذارى ابن سيرين ) .

(١٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧٢ .

(١٦) الخشني : المصدر السابق ، ص ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(١٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٥٥ والديباغ : المصدر  
السابق ، ج ٢ ص ٢٦٢ . والمالكي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ص ٤٧ -  
٤٨ وعياض : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ص ١١٨ - ١١٩ .

(١٨) الديباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٦٩ .

لا يقل عن مجاهدة الروم (١٩) ، فقد سئل جيلة بن حمود الصدفى المالكي عن سبب تركه سكنى الرباط وزوله القيروان بعد دخول الشيعة افريقية فأجاب : كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر والآن حل هذا العدو - يقصد الشيعة - بساحتنا وهو أشد علينا من ذلك (٢٠) \* وكان المالكية يجمعون على تكفير الشيعة واعتبروا العبيديين من المرتدين والزنادقة ، ولا يعذر أحد بالاكراه على دخوله في مذهبهم ولا يحل له ذلك ولا يجوز له إلا أن يختار القتل دون الدخول في مذهبهم (٢١) ورفض بعضهم التقية من بطش العبيديين ، إذ ارتاع أهل القيروان لمقتل ابن البرذون وابن هذيل فسألوا أبا عثمان سعيد بن الحداد - زعيم المقاومة للشيعة حينئذ - أن يرخص لهم في التقية فأبى التقية (٢٢) \*

إذا سلمنا بأن محنة المالكية على يد الشيعة هي عصر شهداء المالكية في بلاد المغرب ، فقد كانت فاتحة ذلك العصر قتل ابن البرذون وابن هذيل - كما أشرنا - ثم توالى بعد ذلك سقوط الشهداء من المالكية على أيدي الشيعة الذين تهنئوا في تعذيبهم والخلاص منهم خاصة بعد قدوم عبيد الله المهدي إلى افريقية وتولييه مقاليد الأمور فيها ، فقد أعقب ذلك تصعيد خطير في الدعوة للتشيع وتشره بين أهل افريقية بشتى الوسائل ، يقول ابن عذاري « أظهر عبيد الله التشيع القبيح وسب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وأزواجه - حاشى على من أبى طالب والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبي ذر القفاري ، وزعم أن أصحاب النبي ارتدوا بعده غير هؤلاء الذين سميناهم \* ومنع المروزي الفقهاء أن يقتل أحدهم إلا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر بن محمد » (٢٣) \*

(١٩) موسى لقبال : المرجع السابق ص ٤٢٢ .

(٢٠) الديباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٢١) عياض : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٢٠ .

ويرى الديباغ أنهم بالغوا في ذلك لتفجير العامة منهم لان المطلوب سد هذا الباب ( معاليم الايمان ، ج ٢ ص ٢٦٥ ) .

(٢٢) الديباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٢٣) البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

وواقع الأمر أننا نلمس تشدداً شيعياً ملحوظاً منذ تسلم المهدي مقاليد الأمور في الفريقية ، فمقب أول جمعة له في افريقية جلس رجل كان يعرف بالشريف ومعه الدعاة وأحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم إلى مذهبهم ومن لم يستجب منهم أمر به فحُرب وحبس . ويبدو أن بعض القرويين قد قتل واحداً من المشاركة ( الشيعة ) نكاية فيهم وانتقاماً لما أنزلوه بهم من أذى فقام المهدي بالانتقام لهذا المشرقي أبشع انتقام إذ أمر بقتل المحبوسين أن لم يرجعوا عما هم عليه فقتل منهم لذلك أربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد ورجل صالح (٢٤) . وبذل المهدي جهده لنشر علم آباءه ونصب لذلك الدعاة والمعلمين (٢٥) . « وغلب الأمر على المالكية من هذا الحين ومنعوا من التحليق والفتيا فكان من يأخذ منهم ويتذكر معهم إنما يكون سرا وعلى حال خوف ورقية » (٢٦) . وأجرى عبيد الله المهدي بعض التغييرات الإدارية التي كان لها دور في التشدد في الدعوة الشيعية والتنسيق على أهل السنة فقد فرغ المهدي القاضى المروزي لقضاء القيروان وحدها حتى يصرف كل وقته في مراقبة فقهاءه والتنسيق عليهم وولى على قضاء رقادة أفلح بن هارون الملوسى (٢٧) الذى كان قتيها في التضييع ومن كبار دعاة (٢٨) . ويبدو أن تعيين أفلح في قضاء رقادة جعل المروزي يفتنى على مكانته ومنصبه فبذل جهده في اضطراد المالكية استرضاء لعبيد الله المهدي وإثباتاً لكفاءته في التنسيق على أهل السنة فامتحن على يدي المروزي عدد من فقهاء المالكية مثل محمد بن محمد بن خالد العيشى المعروف بأبن الطرزي وأبا العباس بطريقة ومحمد بن سلمون القطان وجماعة من رجال المدنيين ومن يحسب في جملتهم مثل الخلاسى المحتسب وقوم مزابلين من أهل تونس (٢٩) . ومحمد بن سليمان القطان

(٢٤) المتريزى : القفى الكبير ، ص ٨٨ .

(٢٥) الدامى أدريس : عيون الاخبار ، سبع ٥ ، ص ١٢٧ .

(٢٦) عياض : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٢٤ .

(٢٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٢٨) الدامى أدريس : المصدر السابق ، سبع ٥ ، ص ١٢٧ .

(٢٩) الدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩١ والخثنى : المصدر

السابق ، ص ٢٢٠ وعياض : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٠٥ .

وأحمد التجار (٣٠) كما سعى على أبي جعفر محمد بن خيرون الأندلسي ودس عليه عند عيد الله المهدى حتى أمر المهدى بقتل ابن خيرون دوسا حتى الموت وأمر حسن بن أبي خنزير عامل القيروان بنهب أمواله (٣١) .  
وامتنحن على يد المروزي أيضا محمد بن محمد بن سحنون ، وادعى المروزي أنه فعل ذلك تقية عليه وصرفا لعيون الشيعة عنه (٣٢) .

وعلى الرغم من اشتداد المحنة وتصاعدها فقد واجهها المالكية في شجاعة تليق بزعامتهم لأهل السنة في إفريقية وضربوا المثل والأشوة للأهالي في قوة التحمل والصبر على المكاره فلم يفروا فاجبن بأنفسهم من بطش الشيعة حتى قيل فيهم « جزى الله مشيخة القيروان خيرا ، هذا بسوت وهذا يضرب وهذا يسجن وهم صابرون لا يفرون ولو فروا لكفرت العامة ( تشيعت ) دفعة واحدة » (٣٣) .

لكن الظروف أجبرت عيد الله المهدى على التخفيف من غلوائه ومن اضطهاد المالكية ونهج سبيل الاعتدال تسكيناً لأهالي إفريقية وذلك حينما عرف بتآمر أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس المخطوم مع بعض وجوه الكتائب للخلاص منه .

وترجع الرواية الاسماعيلية تأمر أبي عبد الله الشيعي على الامام الاسماعيلي الى تحريض أخيه أبي العباس المخطوم له وتحريضه إياه على اقتناص الحكم واستعادته من المهدى بعد أن سلمه إياه . وترى أن أبا العباس المخطوم كان قد اعتاد الحكم والأمر في سلطان أخيه وحين خروجه الى سجلماسة فعظم عليه أن يجرد من الحكم والأمر ليؤول ذلك الى عيد الله المهدى وعتب على أخيه قائلاً له « ملكت أمرا وانقطع لك فحقت بمن أزاله عنك فأخرجك منه وتنقصك واضطهدك .. فلم يزل يكرهه بهذا هذا الكلام ويكرره ويقرعه الى أن أثر فيه » (٣٤) .

(٣٠) عياض : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٤٠ .  
(٣١) المالكي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٥٢ والدباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٨٩ .  
(٣٢) المالكي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٥٢ وعياض : المصدر السابق ، ج ٥ ص ١٠٨ .

(٣٣) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ .  
(٣٤) القاضى النعمان : المصدر السابق ص ٢٠٧ .  
والداعي ادريس : المصدر السابق سبج ٥ ص ١١٧ .

قرر أبو عبد الله الشيعي أن ينزل على رأي أخيه وسعى للاطلاع بالمهدي فاجتمع بوجوه كتابه في مدينة تنس في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٣٩٧ هـ. وكاشفهم برغبته في خلع عبيد الله \* ويعزو ابن عذاري تمرد أبي عبد الله الشيعي - الذي تنازل عن الحكم وسلمه مؤايدة للمهدي - إلى تشككه في عبيد الله ، فقد قال أبو عبد الله لمن اجتمع به من وجوه كتابه « ان أفعاله قبيحة ليست تشبه أفعال المهدي الذي كنت أدعو إليه وأخشى أن أكون قد غلطت » \* ولقد وجدت تلك الكلمات صداها في نفوس الكتاميين الذين كانوا يحبون الداعي الشيعي ويجلونه فاتفقوا معه على امتحان المهدي بمد عودتهم إلى رقادة \* ودخل معهم فيما اتفقوا عليه عروبه بن يوسف لكن عروبه لم يف بالعهد الذي عاهد عليه وما ان عادوا إلى رقادة حتى أفشى سرهم لعبيد الله المهدي وأخبره بما دار بين أبي عبد الله الشيعي والكتاميين وبما اتفقوا عليه في مدينة تنس فاحترس عبيد الله من أبي عبد الله وحذر منه دون أن يكاشفه بما تناهى إليه من خبره (٣٥) \*

أخذ كل فريق يترىص بالآخر ويدبر للخلاص منه ، وقامت خفلة أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس المخطوم ومن معهما من وجوه كتابه على استمالة الكتاميين وتحريض الجند ضد عبيد الله المهدي « فطمع لهم في نسيه وأدخل فيه الشبهة ، وكانت كتابته تميل إلى الداعي الشيعي وتسخط على المهدي الذي قلص نفوذهم عما كان عليه في أيام الشيعي ولم يشركهم في السلطة بالقدر الذي كانوا يرجونه واقترع من أيديهم الأموال التي كان أبو عبد الله قد أودعها لديهم وأشرك المهدي معهم آخرون في المال والجيش على نحو اعتبره الكتاميون اجحافاً بهم وجحوداً لفضلهم في إقامة الدولة الشيعية ، لذلك اندازت كتابته إلى أبي عبد الله الشيعي وصارح وجوههم عبيد الله المهدي بتشككهم فيه إذ واجهه شيخ المشايخ هارون ابن يونس المسالتي قائلاً له : انا قد شككنا في أمرك فائتنا بآية ان كنت المهدي كما قلت ، ولم يجد عبيد الله المهدي ما يجيب به سوى التلاعب بالألفاظ ولم يستطع تقديم أي دليل فعلي يؤكد نسيه وقصارى ما قدر عليه أن قال لهارون بن يونس المسالتي « وبك انكم كنتم أيقنتم واليقين



لا يزال الشك « (٣٦) محولا بذلك الشك في نسبه الى مسألة عقيدية  
تصكيكا في معارضيه واثارة لمؤيديه على المتشككين \*

وقامت خطة عبيد الله المهدي - منذ ثما الى علمه تأمر أبي عبد الله  
الشيعة ضده - على اعلاء شأن عرويه بن يوسف حتى يصبح شخصية  
موازنة للداعي الشيعة تستقطب عددا من الملتفين حول أبي عبد الله  
الشيعة ، ويبدو أن اعلاء المهدي لقدر عرويه بن يوسف قد حقق بعد  
اغراضه حتى أثار حق أبي عبد الله وأخيه أبي العباس المخطوم (٣٧) \*  
كذلك سعى المهدي الى استئالة صنهجة وتقريبها تخفيفا من الاعتماد على  
كتابة وللاستعانة بالصنهابيين حين تمرد الكتاميين (٣٨) \* فضلا عن هذا  
فقد دبر المهدي لاضعاف جانب أبي عبد الله الشيعة بتفريق جمع أنصاره  
واخراج بعض وجوه الكتاميين الى البلدان بعيدا عن رقادة (٣٩) ، فقد  
أخرج - على سبيل المثال - أبا زاكى تمام بن معارك الأجنبي الى طرابلس  
لمحاربة هوارة التي خرجت حينئذ على طاعة الشيعة وكان في انتصار أبي  
زاكى أو هزسته مكسب لعبيد الله المهدي فسوف يتخلص من عدو له في  
كلا الحالين ، فلما انتصر أبو زاكى على هوارة وفرق جمعها كتب عبيد الله  
المهدي سرا الى ماكنون بن ضبارة الأجنبي - عم أبي زاكى بالخلاص من  
ابن أخيه ، ويبدو أن ماكنون كان بنفس على ابن أخيه مكاتته وزعامته  
لأجالة الكتامية فاستجاب لرغبة المهدي وقتل أبا زاكى وكتب بذلك الى  
المهدي وأرسله فوراً بواسطة الحمام الزاجل في أول ذي الحجة ٣٩٨ هـ ،  
فلما وصل خبر قتل أبي زاكى الى المهدي ووجد الفرصة مواتية لاستكمال  
مخططة دبر كميناً خلف قصر الصحن برقادة أطلق فيه عرويه بن يوسف  
وجير بن تماشيت الجيلى على أبي عبد الله الشيعة وأخيه أبي العباس  
المخطوم فقتلاه (٤٠) \*

(٣٦) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٣٠٩ - ٣١١ والداعي  
ادريس ، المصدر السابق ، سجع ٥ ، ص ١١٩ وابن خلدون ، العبر ،  
ج ٤ ، ص ٧٧

(٣٧) القريرى : المقفى الكبير ، ص ٩٨ .

(٣٨) الطاهر أحمد الزاوى : الفتح العربى في ليبيا ، ص ٢٣٩ .

(٣٩) القاضى النعمان : المصدر السابق ، ص ٣١٥

(٤٠) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

ويريد الداعي ادريس تبرئة المهدي من دم أبي عبد الله الشيعي وعذر الامام الاسماعيلي بداعيه الذي أقام له الدولة وسلمه اياها ، فيذكر ادريس أن المهدي أمر عروبه بن يوسف وجبر بن تماثت بقتل أبي العباس المخطوم وحده لكن جبر بن تماثت حرض عروبه بقتل الآخرين معا كيلا يطالب أبي عبد الله الشيعي بقتل عروبه وجبر انتقاما لأخيه فيستجيب المهدي لطلبه ارضاء له فرمى جبر بن تماثت أبا عبد الله فلم يخطئه ورمى عروبه أبا العباس (١١) \* وكان من المسكن قبول دفاع الداعي ادريس عن امام الاسماعيلية لولا أن القاضي التعمان ذكر أن عروبه بن يوسف هو الذي قتل أبا عبد الله وأن جبر بن تماثت هو الذي قتل أبا العباس (١٢) \*

كان للنزاع بين عبيد الله المهدي وأبي عبد الله الشيعي أثره على الدعوة الشيعية في أفريقية ، فقد انشغل عبيد الله المهدي بتبريد الداعي الشيعي عن المضي قدما في سياسة التشيع المتطرفة التي اتجها منذ توليه مقاليد الأمور ، بل لعله اضطر الى تنفيذ حدة غاوه وتطرفه تسكينا لاذعالي كيلا يحازوا الى جانب المتبردين ولا أدل على ذلك من تأخير معاقبة بعض المتوالمين حتى تحين الفرصة المناسبة من ذلك أنه آخر عقاب جماعة ممن اتهموا بالليل مع أبي عبد الله الشيعي حين تمردوا على عبيد الله المهدي ، منهم محمد بن أبي سعيد الميلي صاحب السوق وعبد الله بن محمد المعروف بابن القديم وجساعة من بني الأغلب وقوادهم (١٣) وكان المهدي قد عرف بتواطئهم في حينه (١٤) الا أنه أرجأ عقابه لهم حتى سنة ٢٩٩ لعدم اثاره قلاقل لا تحمد عقباها في واحدة من أخرج الفترات التي مرت بالدولة الشيعية الناشئة \* وكان من حسن حظ المهدي أن المالكية لم تقطن الى اقتهاز هذه الفرصة أو تتحالف مع المتبردين ضد عبيد الله المهدي \* وعلى الرغم من ذلك فقد اتهم أهل القيروان فرصة اضطراب الشيعة وغضب الكتامين وسخطهم على عبيد الله المهدي لقتله أبي عبد الله الشيعي

(١١) هيون الاخبار ، سبع ، ٥ ، ص ١٢١ .

(١٢) القاضي التعمان : المصدر السابق ، ص ٣١٦ .

(١٣) البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

(١٤) يذكر القزويني (المفتي الكبير ، ص ٨٦) أن المهدي انتدب ابن القديم وكان من جملة المخالفين لباتيه بالمخالفين بعد أن انقطعت عن حضور المجلس لخوفهم منه

فثار أهل القيروان على من بها من الكتاميين وقتلوا منهم نحو ألف رجل في شعبان سنة ٢٩٩ هـ ، ورغم فداحة الخطب ودلالاته فقد سعى ابن أبي خنيزر عامل القيروان في تسكين أهلها وتهذبة خواطرهم (٤٥) ولم يتحرك المهدي لمعاقبهم (٤٦) بل عمل على تسكين الفتنة وكف الدعاة عن طلب الناس بمذهب التقيع (٤٧) كيلا تتفاقم الثورة من ناحية ولسخطه على الكتاميين لتقديهم الولاء لأبي عبد الله الشيعي على الولاء له . ولعمل تجاهل المهدي عقاب أهل القيروان لما أنزلوه بالكتاميين قد زاد من سخط الكتاميين الماضيين أصلا لمقتل أبي عبد الله الداعي ، فانصرف من كان منهم حول رقادة عائدين إلى بلادهم وتجمعوا فيها وأظهروا الثورة على عبيد الله المهدي وقدموا على أنفسهم حدثا يدعى المارطي زعموا أنه المهدي المنتظر ومعنى ذلك أنهم يشكون في إمامة المهدي ويتكبرون نسبة العلوي نتيجة للشكوك التي بها فيهم أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس حين ترددهما على عبيد الله المهدي . وقد استنحل أمر المارطي حتى استولى على الزاب كله ولم يتمكن القواد الذين وجههم عبيد الله المهدي لمحاربتهم من هزيمته ولا القضاء عليه حتى خرج إليه أبو القاسم بن المهدي وولى عهده على رأس الجيش الشيعي فتسكن من القضاء على ثورة المارطي في كتامة بعد جهد جهيد (٤٨) .

وفي نفس العام - ٢٩٩ هـ - ثار أيضا أهل تاهرت على الشيعة وحاولوا قتل العامل الشيعي هناك دواس بن صولات اللهيبي (٤٩) . وفي العام التالي - ٣٠٠ هـ - ثار أهل طرابلس على الشيعة بسبب فساد حكم

(٤٥) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٦ .

(٤٦) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .

(٤٧) المقرئ : المقفى الكبير ، ص ٩٠ .

وابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ص ٥٣ .

(٤٨) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٧ والقاضي النعمان

المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٢٤ والداعي ادريس : المصدر السابق ، سبع

٥ ص ١٢٣ وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ٧٨ .

(٤٩) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٥ .

ماكنون بن ضبارة الأجانى وانتباهه أموالهم ولم يستطع الشيعة اخماد تلك الثورة الا بخروج أبى القاسم ولى العهد لمحاربة أهل طرابلس (٥٠) . كما تأمر للثورة على الشيعة فى القيروان محمد بن أبى أيوب المعروف بأبى العاعة ، فلما انكشف تأمره تخفى وشدد الشيعة فى طلبه والبحث عنه حتى هدموا عدة دور بالقيروان الى أن قبض عليه وقتل (٥١) .

كانت هذه الاضطرابات التى أعقبت مقتل الداعى أبى عبد الله الشيعى تنذر بعاصفة وخيمة العواقب فاضطر المهدي للتخفيف من تشدده مع المالكية فلم يقتل كثيرا منهم فى القيروان فى السنوات القلائل التى تلت مقتل أبى عبد الله الشيعى على الرغم من احتدام حركة الجدل حينذاك بين الشيعة والسنة واعتقاد حلقات المناظرة التى كان فارس حلبها بلا منازع أبو عثمان سعيد بن الحداد الذى كان فقيها عالما لا يبارى فى الفقه والكلام والمناظرة والرد على الفرق . وقد كانت لأبى عثمان سعيد بن الحداد صحبة لسحنون الا أنه كان يميل الى رأى الشافعى دون تقليد له فهجره أصحاب سحنون حينما حتى دخل الشيعة افريقية فترغم ابن الحداد معارضتهم ومناظرتهم وتسفيه آرائهم فبرز نجمه فالتفت حوله المالكية وصار زعيم حركة المعارضة السنية للدعوة الشيعية فى افريقية حتى وفاته سنة ٣٠٢ هـ (٥٢) واشتدت معارضته للشيعة حتى أن العبيدين فرحوا لوفاة فرحا شديدا الى درجة أن خرج البريد بخبر وفاته سحرا ليشر بها عبيد الله المهدي (٥٣) .

بلغت مهادة عبيد الله المهدي للمالكية وأهل القيروان الى حد التخلص من القاضى المروزي الذى سعى لدى الشيعة ضد الفقيه محمد بن خيرون

---

(٥٠) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٨ والقاضى النعمان ، المصدر السابق ص ٣٢٥ .

(٥١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٩

(٥٢) المالكي : رياض النفوس ، ج ٢ ص ٥٧ وما بعدها والديباغ : معالم الايمان ج ٢ ص ٢٩٥ .

ومياض : ترتيب المدارك ، ج ٥ ، ص ٧٨ وما بعدها . والخشني : المصدر السابق ، ص ١٩٩ وما بعدها .

(٥٣) الديباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣١٥

الأندلسى حتى غذب ومات (٥٤) . فأسخط ذلك عليه عامل القيروان حسن ابن أبي خنزير الذى كان رغم اضطهاده السابق للمالكية هدف حينئذ إلى تسكين المالكية وأهل القيروان في تلك الفترة العصية التي كانت تمر بها دولة الشيعة فرأى تقديم المروزي قربانا لذلك وسعى عليه عند عيد الله المهدى حتى أوقع به فحبسه المهدى وأمر بتعذيبه حتى قتل في رقادة سنة ٣٠٣ هـ (٥٥) .

هدأت الأحوال نسبيا في القيروان بعد الخلاص من المروزي خاصة وقد أنشأ العبيدون حيا خاصا للتجار وأهل الصناعات سمي القاسمية وانتقلوا اليه في ربيع الأول سنة ٣٠٥ هـ (٥٦) وكان تصيغ التجار والحرفيين في القاسمية يسكن العبيدين من تحصيل المغارم المفروضة عليهم من جهة ، ويسكن من مراقبتهم وتشديد القبض عليهم من جهة أخرى . وكان عيد الله المهدى قد أنشأ منذ عام ٢٩٨ هـ ديوانا يعرف بديوان الكشف وأسندته إلى اثنين من أخلص أعوانه هما جعفر بن أحمد البغدادي وعمر بن أبي خالد بن سلام (٥٧) لكن ديوان الكشف لم ينشط في ممارسة مهامه في السنوات الأولى لانقسامه لانتهاج عيد الله المهدى سياسة الاعتدال لمواجهة القلاقل التي أعقبت قتل أبي عبد الله الشيعي . وقد ساعد على تهدئة القرويين أن من الله بن الحسن بن أبي خنزير الذى ولاه المهدى على القيرواني خلفا لآبيه ، سار على نهج الاعتدال

(٥٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٩ ويرجع المالكي ( المصدر السابق ج ٢ ، ص ٥٢ ) فطه إلى مجاهدته الشيعة وبفضله لعبيد الله بينما يذكر الخشنى أنه ألف لعبيد الله المهدى كتاب الشيعة وأخبارهم وكان مرشحا للقضاء فيفضه المروزي ( المصدر السابق ص ١٧٥ )

(٥٥) ابن عذارى : المصدر السابق ج ١ ص ١٧٢ ويذكر عياض ( المصدر السابق ، ج ٥ ص ١٠٥ ) أن جماعة من الصالحين رفعوا عليه أنه يمدح في الدولة الشيعية ليكيدوا له وتخلصوا منه

(٥٦) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

(٥٧) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٦٢

وموسى لقبال : المرجع السابق ص ٢٢٣

وعادله الحمد : قيام الدولة الفاطمية في بلاد إفريقية والغرب ،

الذي سار عليه أبوه أواخر ولايته . لكن من الله بن الحسن بن أبي خنزير ما لبث أن عزل عن ولاية القيروان في سنة ٣٠٦ هـ وتولى عليها أبو سعيد موسى بن أحمد الضيف الذي أخذ في التشدد من جديد مع أهل القيروان إذ يشير ابن عذاري إلى أن إفريقية اجتمع عليها في سنة ٣٠٧ هـ طاعون وغلاء سعر مع الجور النازل من الشيعة والتعلل في أموال الناس من كل جهة (٥٨) ، وتوفي في ذلك العام (٥٩) قاضي القيروان محمد بن محفوظ القمودي الذي ولي قضاء القيروان بعد المروزي ، وكان القمودي رغم ما يتصف به من ضعف في الرأي وجور في الحكم أخف وطأه على أهل القيروان من اسحاق بن أبي المنهال الذي خلفه على قضاء القيروان بعد وفاته (٦٠) فقد صاحب تولى ابن أبي المنهال القضاء تصعيد جديد في سياسة التشيع واضطهاد أهل السنة خاصة المالكية منهم ، ونشط ديوان الكشف نشاطاً ملحوظاً في ملاحقة الفقهاء المعارضين للتشيع ، واستخدام رجال الدولة العبيدية وسائل الترغيب والترهيب لجذب الناس إلى التشيع ونشره في إفريقية والمغرب وفتنوا بعض الفقهاء عن مذهبهم واعتنق بعضهم المذهب الاسماعيلي طبعاً في مصالح مادية دنيوية صرفة (٦١) كتولى القضاء أو الارتزاق من كتابة الوثائق بين الناس بعد أن قصر العبيديون كتابة الوثائق على من دخل في مذهبهم مثل عبد الملك بن محمد القبي الذي غلب عليه حب المال أتداه من كتاب الوثائق فدخل في مذهب الاسماعيلية حتى يسمح له بزاولة هذه المهنة التي كانت تدر ربحاً وافراً وأثرى منها ثراء كبيراً (٦٢) . وعلى بن منصور الصغار الذي اضطره الفقر ومحبة السؤدد إلى أن تشرق (٦٣) أما من عجز العبيديون عن ترغيبه فقد لجأوا إلى ترغيبه ، مثل أبي بكر

(٥٨) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٨١  
(٥٩) يجعل الخشني وفاة القمودي سنة ٣٠٦ هـ ( المصدر السابق ص ٢٣٩ )

(٦٠) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٨٢ .

(٦١) موسى لقبال : المرجع السابق ، صص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٦٢) الخشني : المصدر السابق ص ٢١٨ .

ومحمد العروسي المطوي : سيرة القيروان ص ٣٢ .

(٦٣) الخشني : المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

ابن القمودى الذى كان يشارك أبا عثمان العداد فى مناظرة الشيعة ولكنهم توعده فقتلوه خوفا منهم (٦٤) ، ووصل التهريب حيناً الى درجة القتل ، فقتل بالقيروان عروس المؤذن بمسجد ابن عياش الفقيه بعد أن ضرب بالسياط وقطع لسانه لأن قوما من المشاركة ( الشيعة ) شهدوا عليه بأنه لا يؤذن بحى على خير العمل (٦٥) .

ولم يقتصر الترغيب والتهريب على أهل القيروان وإنما أخذت الكتب الى كل القبائل بالترغيب والتهريب والتحذير لمن يعصى منهم من قريب أو بعيد (٦٦) .

لقد تخلى عبيد الله المهدي عن سياسة اللين واليوادة وعاد الى سياسة التشدد مع أهل السنة واضطهادهم بعد أن استقرت أموره فى الخريفة وأرسى قواعد سلطانه وتمكنت جيوشه من القضاء على معظم الثورات التى اندلعت هنا وهناك واتسعت كتامة عن التبرد والثورة عليه بالمشاركة فى الحملات التى أخذ العبيديون فى تجريدها الى مصر فضلا عن بناءه مدينة المهديّة الحصينة التى أحس بعد انتقاله اليها سنة ٣٠٨ هـ بالأمان والارتياح التام الذى عبر عنه بقوله « اليوم أمنت على الفاطميات » (٦٧) .

ابتعد المهدي بانتقاله الى المهديّة عن القيروان أخطر معاقل المعارضة السنية على الدولة العبيدية (٦٨) وكان انتقاله الى المهديّة بمثابة الانتهاء التام لسياسة اللين التى لجأ اليها زمنا منذ تمرد أبى عبد الله الشيعى عليه ، لذلك ما أن تم انتقاله الى المهديّة حتى يادر بالكتابة الى أهل المغرب جميعا يدعوهم الى الدخول فى طاعته والتدين بإمامته (٦٩) وسلط أنصاره على سكان الضواحي ليرهبوهم محاولين إخضاعهم له بالقوة (٧٠) وأخذ الشيعة فى اضطهاد أهل السنة من جديد وامتنح فقهاء المالكية على يد اسحاق بن أبى المنهال قاضى القيروان .

(٦٤) الخشنى : المصدر السابق ص ٢١٤ .

(٦٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٦٦) الدامى ادريس : المصدر السابق ، سيع ٥ ، ص ١٤٠ .

(٦٧) القرينى : الملقى الكبير ، ٩٢ .

(٦٨) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

(٦٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧٨ .

(٧٠) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .



كان ممن امتحن على يدي اسحاق بن أبي المنهال الفقيه المالكي أبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري في سنة ٣٠٨ هـ لعقده حلقة في مسجد رحبة القرشيين وافتأه بمذهب مالك فقبض عليه صاحب المحرس ومن معه وساقهم إلى ابن أبي المنهال فحبسه وكتب يخبره إلى عبيد الله المهدي الذي لم يهتم بالرد عليه إطالة لمدة حبسه ، فظل أحمد بن نصر في الحبس تسعة أشهر حتى أطلقه أبو سعيد الضيف عامل القيروان فلزم أحمد داره حتى توفي (٧١) \*

كما امتحن على يدي ابن أبي المنهال الفقيهان حسين بن مفرج ومحمد التندوني الزاهد ، إذ اتهما بتفضيل بعض الصحابة على علي بن أبي طالب (٧٢) \*

وامتحن على أيدي الشيعة أيضا الفقيه أبو عبد الله السدري الذي بايسته وزداجه وعدد من قبائل الفريزية وكثير من أهل القيروان على مجاهدة عبيد الله المهدي فأمر عبيد الله بالقبض عليه لكنه تمكن من الهرب إلى مكة ومكث بها مدة ثم عاد إلى المغرب فرصدته عيون الشيعة وجواسيسهم وكتبوا بأخباره إلى عبيد الله المهدي فأرسل البريد في طلبه فقبض عليه وجرى به إلى عبيد الله المهدي الذي أمر بقتله (٧٣) \*

وتشدد عامل القيروان أبو سعيد الضيف الذي خلف من الله بن حسن ابن أبي خنزير عليها في معاملة أهل القيروان وضيق عليهم ، ولم يكن تشدد عامل القيروان الشيعة على القرويين لمجرد الخلاف المذهبي فقط ولكن العمال الشيعة كانوا أيضا يطمعون في أموال القرويين ويسعون إلى مصادرتها ونهبها ، فقد نهب الحسن بن أبي خنزير أموال محمد بن خيرون الأندلسي واشتكى القرويون إلى عبيد الله المهدي عامله على مدينتهم أبا سعيد الضيف ووصفوا للمهدي فسادهم هو وأصحاب المحارس وطمعهم

---

(٧١) عياض : ترتيب المدارك ، ج ٥ ص ٩٦ والخشني : المصدر السابق ص ٢٣١

(٧٢) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ١٣ والديباغ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٥٤ وابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٨٧ .

(٧٣) المالكي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٦٥ .



في أموالهم . ومع أن عبيد الله المهدي تنصل من هذا الفساد ونها باللائمة على عماله ووعد القرويين بالانصاف ، فإنه لم يلبث أن وجد سبيلا آخر للحصول على الأموال من أهل افريقية إذ أمر أن يمر طريق الحاج بمدينة القيروان ليؤدوا ما وُظف عليهم من المغارم (٧١) .

ويبدو أن عبيد الله المهدي كان يهدف إلى تصعيد جديد في سياسة التسييع واضطهاد أهل السنة فعزل اسحاق بن أبي المنهال عن قضاء القيروان بدعوى لينه ومهاتته وولي بدلا منه محمد بن عمران النفطي المشيع القديم الذي ثبت سيرته أنه كان وصوليا لا يتورع عن شيء من أجل المنصب ، فحين كان يلي قضاء طرابلس جمع بها أموالا كثيرة من الرشي والأحباس رفعها إلى عبيد الله المهدي فكانت تلك الأموال وسيلة النفطي إلى قلب الامام الشيعي (٧٢) .

ولما تولى النفطي القضاء لم يتوان عن استرضاء سيده ، فتشدد مع المالكية حتى ضرب الفقيه محمد بن العباس بن الوليد الذهلي المعروف بدعده في جامع القيروان عريانا وصفع قفاه حتى سال الدم من رأسه وطاف به في أسواق القيروان عريانا على حمار ثم حبس ، وكان سبب بطش النفطي بالفقيه دعده أن قوما من المشارقة ( الشيعة ) رفعوا إلى النفطي أن الفقيه المعروف بدعده يلعن على السلطان ويفتي بذهب مالك والحق أن دعده كان شديد البغض لبني عبيد كثير السب لهم لا يخاف في الله لومة لائم (٧٣) . غير أن المنية عاجلت القاضي النفطي في ربيع الأول سنة ٣١٢ هـ فأعاد عبيد الله المهدي اسحاق بن أبي المنهال إلى قضاء القيروان مرة أخرى (٧٤) ووعد ابن أبي المنهال الدرس هذه المرة فلم يدخر جهدا في تعقب المالكية ارضاء للشيعة كي يحتفظ بمنصبه ، فامتحن عددا من المالكية مثل أبي جعفر أحمد بن زياد الفارسي (٧٥) الذي

(٧٤) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٨٦ .

(٧٥) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٨٨ .

(٧٦) عياض : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

ويجعل المالك ( المصدر السابق ، ج ٢ - ص ٢٦٥ ) حبسه في سنة ٣٠١ مع أن النفطي لم يتول إلا سنة ٣١١ ولعله تصحيف .

(٧٧) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٨٦ .

(٧٨) عياض : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١١٣ .

كان عالما بالمتناظرة صحيح المذهب (٧٩) . وامتحن أيضا أبو بكر بن اللباد الذي كان يحضر مجلس السبت بالقيروان (٨٠) لأنه رأى في حضوره تحديا للعبيدين واغاطة لهم وكان لا يخفى حقه على القاضي ابن أبي المنهال حتى أنه رفض الصلاة على جنازة وراه فغضب لذلك القاضي ابن أبي المنهال وقام المشاركة بتحريضه على ابن اللباد وشهدوا عليه عند ابن أبي المنهال بفتح بابه وانتصابه للفتوى بخلاف مذهب الشيعة وأنه يلبس السواد ويخطب في الأعياد فأمر ابن أبي المنهال بسجنه الى حين ثم أفرج عنه على ألا يفتي الا بمذهب السلطان ولا يجمع الناس اليه فترم ابن اللباد داره وأغلق عليه بابه حتى توفي في سنة ٣٨٣ هـ (٨١) .

ولم يقتصر الاضطهاد على مالكية القيروان ، فقد تعقب الشيعة فقهاء المالكية في سائر افريقية مثل أبي جعفر أحمد بن موسى التمار من أهل تونس ، امتحن هو وأخوه محمد بن أبي موسى وأمر عبيد الله المهدى بضرب أخيه حتى الموت . ودارت على كثير من أهل مذهب المدينيين وغيرهم محن كثيرة كمحنة عروس المؤذن وقطع لسانه - كما أسلفنا - ومحنة ابن معتب وضرب ظهره وابن المذني في ضرب ظهره وصقعه وابن اللباد بسجنه وأشياء كثيرة حلت بأهل السنة من جهة ترك حى على خير العمل في الأذان وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم والفتيا بمذهب مالك (٨٢) .

(٧٩) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٨٠) كان مجلس السبت يعقد في المسجد المسمى بمسجد السبت ويحضره الزهاد والعباد ، وفيه يقرأ القارئ آية من كتاب الله عز وجل وبعض حكايات الصالحين وتُنشد فيه الأشعار ويسمى ذلك بالرفائق في افريقية . ولقد سمى مسجد السبت بهذا الاسم لعمل الرفائق فيه كل سبت وهذا المسجد كان هو مسجد العربى الواقع خارج القيروان بقرب تربة الشيخ أبي زمعه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الدباغ ، معالم الإيمان ، ج ٢ ص ٣٧٨ ) .

(٨١) عياض : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١١٣ .

وتراجم أغلبية ، ص ٣٠٨ .

(٨٢) عياض : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٢٨ .

ولم تقتصر سياسة التشيع على القيروان ورقادة والمهدية بل عمل الشيعة على نشر الآراء الاسماعيلية المتطرفة في كثير من النواحي (٨٣) . وقد نتج عن تشدد عبيد الله المهدي مع أهل السنة عامة والمالكية خاصة أن تجرأ بعض غلاة الشيعة على اظهار الغلو القبيح في معتقداتهم من قبيل تحليل المحرمات والاشارة الى عبيد الله المهدي بالالوهية . وقيل ان المهدي كان يبارك أنشطة هؤلاء الشيعة ويوجهها ، فقد وجه منيب بن سليمان المكناسي الداعي وغيره من الدعاة الى الأطراف وأمرهم باظهار التشريق (٨٤) . فاذا وجدوا الناس محتلمين له متفاضين عنه تشروه بين العامة وأشاعوه ومن ثم توجه منيب بن سليمان المكناسي الى نواحي تاهرت ودعا للشيعة فلما كشف عن غلوه القبيح قام عليه الناس وقتلوا بعض من تبعه فكفوا عن غلوهم (٨٥) . كما أظهر الغلو جماعة من الشيعة في القيروان وباجة وتونس وجاھروا بتحليل المحرم وأكلوا الخنزير وشربوا الخمر في رمضان فأكثر الناس من القول فيهم وشتعوا عليهم حتى علم بشناعاتهم في مصر وغير بذلك القائم بأمر الله العبيدي من قبل أهل السنة في القيوم بمصر (٨٦) ، واضطر عبيد الله المهدي الى حبس نحو مائتي رجل منهم وكتب الى عماله في تلك المواضع التي ظهر فيها هؤلاء الغلاة أن يحضروهم مقيدین فحبسوا حتى مات أكثرهم بالسجن ، ومن المشهورين من هؤلاء الغلاة أحمد البلوي النخاسي الذي كان يعمل نخاسا بتجارة الرقيق ثم انضم الى زمرة الشيعة وكان يعتقد في ألوهية عبيد الله المهدي فكان يصلی الى رقادة أيام وجود عبيد الله فيها وهي منه في الغرب فلما استقر المهدي بالمهدية وهي منه الى الشرق صلى اليها وكان يقول له « ارق الى السماء ، كم تقيم في الأرض وتمشي في الأسواق » وكان يقول لأهل القيروان عن عبيد الله : انه يعلم سرکم ونجواکم .

(٨٣) موسى لقبال : دور كتابة ، ص ٤٢٥ .

(٨٤) أصبحت كلمة التشريق فيما يبدو تعنى الغلو في التشيع

كما يفهم من سياق الروايات .

(٨٥) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

(٨٦) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ .

ومنهم إبراهيم بن غازي ، كان يأكل في شهر رمضان جهارا ويرتكب الكبائر على الرغم من أنه كان في أيام بني الأغلب من المتزهدين المرابطين بقصر الطوب المجاور لسوسة (٨٧) .

ويعترف القاضي التعمان بظاهرة الغلو التي فشت وقتا بين الشيعة في إفريقية لكنه يحاول تبرئة عبيد الله المهدي من المسؤولية عن حدوث هذه الظاهرة ويذكر أنه عاقبهم على قسدر ذنوبهم فقتل قوما منهم وسجن آخرين (٨٨) . غير أن الهمداني ينهيه بأنه كان وراء هذه الظاهرة ووراء سياسة اضطهاد أهل السنة وأنه « كان يشتد على أهل القيروان وما يملكه من أرض المغرب وقتل الرجال واستصفاء الأموال وقصد الفقهاء والعلماء » وقد كان بث دعائه فيها يدعوون إليه وإلى طاعته ويأخذون العهد عليهم ويلتقون إلى الناس من أمره بحسب عقولهم واحتمال كل طبقة منهم فمنهم من يلتقون إليه أنه المهدي ابن رسول الله ومنهم من يلتق إليه أنه رسول الله وحجة الله ومنهم من يلتق إليه أنه الله الخالق الرازي فكان إذا احتج الناس من هذا وظهر فيهم الاتكار يأخذ الدعاة فمرة يحبس بعضهم ومرة يقتلهم ويقول ما أمرت بهذا ، ويقول الدعاة هو أمرنا وبأمره فعلنا » (٨٩) .

لقد كان الغلو الذي أظهره بعض الشيعة منذ سنة ٣٠٩ هـ نتيجة للتصعيد في سياسة التشيع والتضييق على أهل السنة واضطهاد المالكية التي انتهجها عبيد الله المهدي بعد استقرار الأمور له في إفريقية ، ومع أن المهدي قد وافق على هذا الغلو حينما قاته سرعان ما خشي عواقبه بعد ثورة أهل تيهرت على الداعي المغالي منيب بن سليمان المكتاسي وقتلهم عددا ممن اتبعه .

على أي حال ، فقد كان تصعيد المهدي لسياسة التشيع واضطهاد المالكية سببا في ترايد سحق فقهاء المالكية وأهالي القيروان وإفريقية إلى درجة جعلتهم يؤازرون أبا يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الأباضي النكاري في ثورته ضد العبيديين التي بدأت بوادرها قبيل وفاة المهدي في العشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ هـ .

(٨٧) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٨٦ .

(٨٨) افتتاح الدعوة ، صص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٨٩) تثبيت دلائل النبوة ، ص ٦٠٠ .

**التشيع في بلاد المغرب في عهود خلفاء المهدي وحتى انتقال المهديين إلى مصر :**

تولى القائم بأمر الله خلافة الدولة العبيدية بعد وفاة أبيه عبيد الله المهدي وسار القائم بأمر الله على نهج سلفه واقتفى سيرته وأحكامه<sup>(٩٠)</sup> فأظهر التشيع وتشدد فيه على نحو ما كانت عليه سياسة أبيه في سنواته الأخيرة ، بل « زاد شره على شر أبيه أضعافاً مضاعفة وجاهر بشتم الأنبياء »<sup>(٩١)</sup> وأمر بسب الفار وما وعى والكساء وما جوى ، فمن اعترض أو تكلم عذب وقتل ومثل به حتى اشتدت المحنة على أهل السنة في بلاد المغرب<sup>(٩٢)</sup> وأضحوا في حالة شديدة من الاهتضام والتستر تجرى عليهم المحن الشديدة في أكثر الأيام . ونصب العبيديون حينئذ الأعمى السياب في الأسواق يسب الصحابة بأسجاع لفتها ، وعلقت رؤوس الأكابر والحمر على أبواب الحوانيت عليها فراليس معلقة فيها أساء الصحابة ، فمن تكلم أو اعترض من أهل السنة امتحن ومثل به<sup>(٩٣)</sup> .

كان لهذا التصعيد الخطير في سياسة التشيع واضطهاد أهل السنة لأول خلافة القائم بأمر الله ردود فعل عنيفة في بلاد المغرب ، فقد اندلعت الثورات على العبيديين هنا وهناك ، وزاد من لهيب تلك الثورات سخط الأهالي لكثرة الضرائب والمغارم واستصفاء الأموال<sup>(٩٤)</sup> التي دأب العبيديون عليها منذ خلافة المهدي ، فقد كانت للعبيديين مطامع واسعة تتطلب تحقيقاً وجود جيش قوى باهظ التكاليف لا تكفى « النفقات » التي يدفعها أتباعهم للوفاء بها ، ومن ثم اضطّر العبيديون إلى فرض ضرائب عديدة باعظة جداً لم تكن مقبولة من الناحية الواقعية ولا تجد ما يبررها من الناحية الشرعية<sup>(٩٥)</sup> عند أهل السنة المنكرين لمقتائد الشيعة . كما زاد من سخط أهالي المغرب تلك المعاملة السيئة التي تعرض

(٩٠) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

(٩١) الهمداني : تثبيت دلائل النبوة ، ص ٦٠١ .

(٩٢) ابن عقاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

(٩٣) مياض : توثيق المدارك ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .

(٩٤) الهمداني : المصدر السابق ، ص ٦٠٢ .

(٩٥) الفردبيل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، ص ١٦٢ .

( م ٩ - التشيع في بلاد المغرب الإسلامي )

لها الفقهاء والعباد على أيدي الشيعة ، وكان لهؤلاء الفقهاء والعباد — خاصة المالكية منهم — شعبية جارفة تجعل الناس يستمعون لكل محنة تحل بواحد من هؤلاء الزعامات على أيدي العبيدين ، كما تجعلهم يستجيبون لدعوات الثورة التي تطلقها تلك الزعامات من حين لآخر . ولم تكن دعوات الثورة قاصرة على المالكية وأهل السنة وحدهم بل كثيرا ما أطلقها بقايا الخوارج الصفرية والأباضية التي وإن كانت قد فقدت كياناتها السياسية في بلاد المغرب على أيدي العبيدين إلا أن أنصارها الذين لاذوا بالمناطق النائية أو المتعزلة كانوا يتحينون الفرصة للتآمر من الشيعة العبيدين (٩٦) .

لم يلبث القائم بأمر الله بعد توليه الخلافة إلا قليلا حتى اندلعت في وجهه الثورات التي أرقّت مضجعه في جهات كثيرة من بلاد المغرب وأفريقية . وكان من أوائل هذه الثورات ثورة قام بها محمد بن طالوت القرشي بتواحي طرابلس ، وقد انضم إليه عدد كبير من البربر زحف بهم إلى طرابلس للاستيلاء عليها فدافسه أهلها عن مدينتهم ولم يكتفوا من اقتحامها .

وعلى الرغم من اقتضاب الروايات فيما ذكرته عن تلك الثورة ، فانا نرى في هذه الثورة دلالات خطيرة ، فقد روى أن محمد بن طالوت القرشي زعم أنه ابن المهدي وأن البربر اتبعوه على ذلك فلما تبين لهم كذبه قتلوه وأتوا برأسه إلى القائم بأمر الله (٩٧) .

يجعلنا هذا الادعاء في حيرة أمام تفسير تلك الأحداث إذ يمكن من خلاله تفسيرها على أكثر من وجه ، من ناحية أهل طرابلس ومن ناحية البربر الذين اتبعوا ابن طالوت القرشي .

فمن ناحية أهل طرابلس أما أنهم علموا بزعم ابن طالوت بأنه ابن للمهدي فقاوموه خلفا لطاعة العبيدين الشيعة منتهزين اضطراب الدولة العبيدية

(٩٦) الفرديل : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٩٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢١٦ .

والقاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٢٢٣ وابن خلدون : العبر ، مجلد ٤ ، ص ٨٣ .

لوفاة عبيد الله المهدي أو أنهم قاوموه باعتباره منشقا على الخليفة القائم يريد انقسام البيت العبيدي على نفسه . ويصعب تصديق القول بأن أهل طرابلس الذين توالى ثوراتهم على العبيدين كانت تهمهم وحدة البيت العبيدي ومقاومة المنشقين عليه . وأما أن أهل طرابلس قاوموا ابن طالوت دون علمهم بزعمه أنه ابن للمهدي فخاربوه دفاعا عن مدينتهم ضد طامع فيها يريد الاستيلاء عليها فخدموا بذلك العبيدين دون قصد منهم .

أما البربر الذين اتبعوا ابن طالوت على زعمه بأنه ابن للمهدي فهل كانوا يميلون إلى التشيع حتى يتبعوا ابنا للمهدي ١٩ وإذا كانوا يميلون إلى التشيع فلماذا لا يوالون خليفة الشيعة في المهديّة وينحازون إلى منشق عليه ١٩

أغلب الظن أن البربر بنواحي طرابلس بـ والأذين كانت الدعوة الخارجية تلقى قبولا بينهم منذ عصر الولاة — لم يتبعوا ابن طالوت القرشي إلا تكايف في العبيدين فلما فشل ابن طالوت في الاستيلاء على طرابلس وأدرك البربر ضعفه خشوا عقاب القائم العبيدي وانتقامه فقتلوا ابن طالوت القرشي وقدموا رأسه للقائم العبيدي برهانا على ولائهم ودفعا لعقابه لهم .

وفضلا عن هذا ، فلعلنا نتساءل عن جدوى ادعاء قرشي أنه من ولد المهدي في بيئة كان أهلها يشككون حينئذ في صحة انتساب المهدي نفسه إلى البيت العلوي حتى أن بعض كبار بناء الدولة العبيدية كاشفوا المهدي بشكوكهم فيه وطالبوه بدليل على صحة نسبته العلوي كما سبق أن ذكرنا ، فهل من الممكن أن يكون زعم ابن طالوت القرشي بنوته للمهدي من مزاعم الرواية الشيعية واختلافاتها وأنها أرادت — في ذكاء — الإبقاء بصحة انتساب المهدي للعلويين بدليل أن قريشيا كابن طالوت يزعم أنه من أبناء المهدي ويتمسح بالانتساب إليه ، ولو شك هذا القرشي في نسب المهدي لما أقدم على الانتساب إليه وادعاء بنوته .

على أي حال ، فمهما كانت حقيقة ثورة محمد بن طالوت القرشي فقد كانت ارهاصة بالمتاعب والثورات التي ستواجه القائم بأمر الله العبيدي والتي كانت أخطرها وأشدّها هولا ثورة أبي يزيد مخلد بن كبداد البغرفي الزناتي الأياضي التكراري المعروف بالأعرج صاحب الحمار .



كان أبو يزيد مغلد بن كيداد أول أمره معلما للصبيان بتقيوس ولكنه كان ميالا إلى الثورة بحث الناس على الخروج على طاعة العبيدين ، واستطاع أن يقتنع أهل تقيوس بقتل عاملها من قبل العبيدين سنة ٣١٦ هـ (٩٨) فاشتد عيب الله المهدى في طلبه حتى تم القبض عليه وحبس في توزر وظل في حبسها حتى تمكن أبو عمار كنار بن عبد الحميد الأعشى وغيره من أعوان أبي يزيد من اقتحام سجن توزر وإخراجه منه فتوجه بهم أبو يزيد إلى أوراس وأخذ هو وصاحبه أبو عمار الأعشى يبحثان البربر على الثورة على العبيدين واجتمع اليهما الخوارج فأخذوا يغيرون على النواحي الخاضعة للعبيدين في أول خلافة القائم بأمر الله العبدى، وعبط أبو يزيد من جبل أوراس يدعو إلى الحق بزعمه ولم يعلم الناس مذهبه فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة (٩٩) وانضم إليه كل من كان يميل إلى التمرد على العبيدين أما بغضا لهم ولمذهبهم أو طمعا في السلطان والأموال (١٠٠) .

كان من الممكن أن تظل ثورة أبي يزيد مغلد بن كيداد مجرد ثورة خارجية إباضية محدودة الأثر ويسهل على العبيدين القضاء عليها ، لولا أن تحالف معه أهل السنة خاصة مالكية القيروان. فقد كان لتشدد القائم في سياسة التصحيح واضطهاد أهل السنة في أول خلافته أثره في تدمير أهل القيروان وتطلعهم إلى الخلاص من الشيعة فتمنوا — على حد قول عباس — قائما عليهم (١٠١) فلما تسامع الناس بأبي يزيد وأنه ينكر المنكر اجتمعوا إليه (١٠٢) وقام أهل السنة معه وخرج على رأسهم الفقهاء والعباد مع أبي يزيد لمحاربة الشيعة وخليفتهم القائم بأمر الله العبدى فتسكن أبو يزيد من دخول القيروان في صفر سنة ٣٣٣ هـ ، فأظهر لأهلها خيرا وترحم على الشيخين أبي بكر وعمر ودعا الناس إلى جهاد الشيعة وأمرهم بقراءة مذهب مالك ، وخرج الفقهاء والصلحاء في الأسواق بالصلاة على

(٩٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ .  
تقيوس : بالفتح ثم السكون وياء مضمومة وواو ساكنة وسين مهملة مدينة بافريقية قريبة من توزر (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٧) .

(٩٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٦ .  
(١٠٠) الداعى إدريس : المصدر السابق ، ص ٥ ، ص ١٧٢ .  
(١٠١) ترتيب المدارك ، ج ٣ ، ص ٣١٨ .  
(١٠٢) الهمداني : المصدر السابق ، ص ٦٠٢ .



النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأزواجه (١٠٣) وهي أمور كانوا قد حرموا منها منذ أيام عبيد الله المهدي ، ولعنوا من لا يترجم على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهدموا بيوت المتبليين (١٠٤) أعلانا عن توفيقهم عن دفع الضرائب التي فرضها عليهم العبيديون ، ففضلا عن الخلاف المذهبي ، كان أهل القيروان وبلاد المغرب ساخطون على العبيديين لكثرة ما أهرقوهم به من ضرائب باهظة يستعرض ابن حوقل أنواعها من العشور والصدقات والمراعي والجوالي إلى المراسد والمكوس وغيرها (١٠٥) بل فرضت المغارم على الحميج وحرص عبيد الله المهدي على أن يمر طريق الحاج على المهدية ليؤدوا ما وُظف عليهم من المغارم (١٠٦) . وهكذا تنوعت أسباب السخط على العبيديين دينية وسياسية واقتصادية مما يفسر التأييد العارم الذي لقيه أبو يزيد - رغم أباضيته - في ثورته ضد العبيديين .

لم يكن القرويون يجهلون هوية أبي يزيد المذهبية الاباضية لكنهم كانوا يمدونه من أهل القبلة يجوز لهم الانضمام إليه في محاربة الشيعة الذين كانوا يكفروهم ويخرجوهم عن أهل القبلة ، وإذا كان العداء المشترك للشيعة قد جمع بين أهل القيروان السنة وأبي يزيد مخلصين كيداد الاباضية فإن القرويين كانوا لا يتوون الانصياع الدائم لأبي يزيد بعد انتصارهم على الشيعة عدوهم المشترك ، وإنما كانوا يأملون أن يسلط الله عليه أماما عادلا يخرجهم عنهم (١٠٧) .

لا شك أن نجاح أبي يزيد في الدخول إلى القيروان كان بفضل انحياز القرويين إليه وهوض أهل السنة معه وعلى رأسهم الفقهاء والعباد لمحاربة العبيديين وقد نجح أبو يزيد في استمالة القرويين بسكوتهم عن الترويج لمذهبه الاباضية وأقدامه على ما يرضى أهل السنة كاتترجم على الشيخين أبي بكر وعمر ودعوة الناس إلى جهاد الشيعة وقراءة مذهب مالك (١٠٨) وإزالة الظلم والمكوس (١٠٩) .

- (١٠٣) عياض : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٠ .  
 (١٠٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٦ .  
 (١٠٥) رشيد بوزويه : المرجع السابق ، ص ١٨١ .  
 (١٠٦) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٦ .  
 (١٠٧) عياض : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣١٨ .  
 (١٠٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٦ .  
 (١٠٩) الهمداني : المصدر السابق ، ص ٦٠٢ .

تحاول الرواية الاسماعيلية اخفاء دور أهل القبروان في تأييد أبي يزيد  
مخلد بن كيداد ونصرته ، فلا تشير على الاطلاق الى هذا الدور الذي  
قاموا به ، بل يرجع الداعي ادريس دخول أبي يزيد القبروان الى سوء  
تدبير خليل بن عدنان التميمي الذي ولاء القائم بأمر الله مهمة الدفاع  
عنها (١١٠) .

وفضلا عن هذا تحرص الرواية الشيعية على تصوير أبي يزيد مخلد  
ابن كيداد في صورة المارق الفاسد الذي استحل دماء المسلمين  
وفروجه (١١١) على الرغم من أنه كان اياضيا والاباضية اكثر فرق  
الخوارج اعتدالا واقرهم الى أهل السنة ، ويجرى بعض الباحثين معرى  
الرويات الشيعية في تشويه صورة أبي يزيد (١١٢) وأغلب الظن أن الذين  
بالغوا في تشويه صورة أبي يزيد تأثروا في ذلك بالرواية الشيعية المعادية  
لأبي يزيد وبالرواية الاباضية الوهية المخالفة للنفكار المنكرين لامامة  
عبد الوهاب بن رستم وكانت كلمة النكارية سيئة الوقع في نفوس  
الدارسين وكأنهم تصوروها انكار للدين مع أنها لا تعنى الا انكار امامة  
عبد الوهاب بن رستم لاباضية تاهرت . وربما ساعدت روايات مالكية  
افريقية على شيء من هذا التشويه بعد اختلاف المالكية مع أبي يزيد لكنهم  
كانوا في البداية يشيدون بنسكه وورعه ، فيذكر عياض أنه « كان  
يتحلى بنسك عظيم » (١١٣) ويشيد به ابن عذارى وبأنه أظهر لأهل  
القبروان خيرا وترحم على أبي بكر وعمر وأباح قراءة مذهب مالك (١١٤)  
وبصفه ابن خلكان بأنه كان يظهر التزهد وأنه إنما قام غضبا لله تعالى  
ولا يركب غير حمار ولا يلبس الا الصوف (١١٥) بل ان الرواية الشيعية  
نفسها تعترف بأنه كان يوالى أبا بكر وعمر (١١٦) لكنها رغم ذلك

(١١٠) عيون الأخبار ، سبع ، ٥ ، ص ١٨٤ .

(١١١) نفس المصدر ، سبع ، ٥ ، ص ١٩٣ وما بعدها .

(١١٢) محمد السيد أبو العزم : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(١١٣) ترتيب المدارك ، ج ٢ ، ص ٣١٨ .

(١١٤) البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

(١١٥) وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

(١١٦) الداعي ادريس : المصدر السابق ، سبع ، ٥ ، ص ٧١٢ .

حريصة على تشويهه والتشنيع عليه انتقاماً لما أنزله بالدولة العبيدية من هزائم كادت أن تودي بها لولا أخطاء ارتكبها بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من الاجهاز التام على الدولة العبيدية \*

تشجع أهل السنة على مجاهدة الشيعة بعد الانضمام إلى أبي يزيد مخلص بن كيداد ، وأفتى فقهاء القيروان بأن الخروج مع أبي يزيد لجهاد الشيعة متعين لكفر الشيعة ، وأجمعت مشيخة القيروان على وجوب الخروج لجهاد العبيدين وأخذوا في حث الناس على ذلك فساروا في مظاهرات عسكرية في شوارع القيروان لتشجيع الناس ، فبدأوا بالخروج إلى مصلى العيد يوم الاثنين ثلاث عشرة بقين من جمادى الأولى سنة ٣٣٣ هـ بالسلاح الشاك والعدة ، ورفعوا البنود مكتوب عليها التهليل والتكبير والصلاة على الرسول وأصحابه وأزواجه وآيات قرآنية تحت على قتال أئمة الكفر ونصرة أبي يزيد ، وشارك في تلك المظاهرات جميع فقهاء المذنبين المشهورين لم يتخلف منهم أحد لعذر أو مرض حتى أن أبا ميسرة الأعمى الذي كانت عاهته تقعه عن الجهاد مشى شاهراً السلاح في القيروان مع الناس تحميساً لهم ، كما شارك أيضاً بعض فقهاء الأحناف مثل إبراهيم بن محمد المعروف بالمشاء الحنفى وكان يرفع بنداً أيضاً كان أكبر البنود السبعة التي رفعت يومئذ \*

وظلت تلك المظاهرات الحماسية تشق القيروان طيلة خمسة أيام حتى يوم الجمعة فأقام الفقهاء الجمعة - وكانوا لا يجمعون منذ أول جمعة لعبيد الله المهدي في القيروان - وخطب فيهم يومئذ أحمد بن أبي الوليد خطبة بليغة حث فيها الناس على الجهاد وسب بنى عبيد وأغرى بهم وأعلن الناس بالخروج من غدهم يوم السبت لثمان بقين من جمادى الأولى سنة ٣٣٣ هـ لجهاد الشيعة ونصرة أبي يزيد (١١٧) \*

خرجت جموع أهل القيروان يتقدمها من الفقهاء ربيع القطبان وأبو الفضل المسمى وأبو العرب تميم والسبائي للانضمام إلى أبي يزيد في مجاهدة العبيدين ، وتمكن أبو يزيد مخلص بن كيداد بفضل مؤازرة

(١١٧) المالكي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٠٩ .

وعياض : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

وابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

أهل السنة المتحمسين وفي مقدمتهم مشيخة القيروان من احرار النصر على الشيعة حتى أصبح على قيد خطوة من القضاء على دولة بني عبيد لولا سوء تقديره وتفكيره في الخلاص من مشيخة القيروان كي يفرد بالرأى والتدبير ، فسولت له نفسه - في توقيت غير مناسب - أن يغدر بمشيخة القيروان ، قال ابن عذارى « ولما رأى أبو يزيد أنه قد استولى على الأمر أو كاد وأن الشيعي قد كاد يبيد أو باد قال لجنوده اذا التقيتم مع القوم فانكشفوا عن أهل القيروان حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم فيكونوا هم الذين قتلوهم لا نحن فنستريح منهم أراد أن يتبرأ عن معرفة قتلهم عند الناس وأراد الراحة منهم لأنه فيما ظن اذا قتل شيوخ القيروان وأئمة الدين تمكن من أتباعهم فيدعوهم الى ما شاء فيتبعونه » (١١٨) .

وقع اللقاء المرتقب بين الشيعة العبيديين وأبي يزيد ومعه أهل السنة في الوادي المالح بين تمانجر والمهدية (١١٩) ورغم انتصار أبي يزيد في هذا اللقاء المشهور فانه نفذ خطته للخلاص من مشيخة القيروان وانكشف عنهم أتباعه كما أمرهم فقتل من مشيخة القيروان عدد كبير (١٢٠) كان من بينهم أبو الفضل الممسي وربيح بن سليمان القطان ومحمد بن علي البقال وغيرهم (١٢١) .

فطن أهل القيروان الى خدعة أبي يزيد وسوء نيته وغدره للخلاص من مشيختهم ففارقوه واشتد بغضهم له ونكصوا عن مؤازرته (١٢٢) وعادوا الى قرواتهم فأظهروا به السنة وحلقوا بالجامع وأحيوا ذكر شهدائهم بتسمية حلقات الدرس التي كانت تعقد في الجامع بأسماء

(١١٨) البيان المغرب ، ج ١ ص ٢١٨ .

وعياض : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢١ .

(١١٩) البكري : المصدر السابق ، ص ٢٩ والمالكى : المصدر السابق ،

ج ٢ ص ٢٩٢ . والحميري : الروض المطار ، ص ١٣٦ .

(١٢٠) قدرهم عياض ( ترتيب المدارك ، ج ٣ ، ص ٣٢١ ) بخمسة

وللأثنين رجلا من الفقهاء والصالحين بينما قدرهم المالكي ( رياض النفوس ، ص ٢٩٢ ) بخمسة وثمانين ، وهو تصحيف فيما يبدو .

(١٢١) عياض : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢١ .

(١٢٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

الشهداء (١٣٣) خاصة من كانت له منهم حلقة قبل استشهاده ، مثل ربيع القطان الذي كانت له حلقة قبل استشهاده (١٣٤) فظلت تنسب إليه وتدعى باسمه ، ويتردد عليها كبار علماء المالكية اللاحقون مثل أبي الأزهر ابن معتب وعمر بن محمد العسال وأبي محمد بن أبي زيد وغيرهم (١٣٥) . وترأسها عقب استشهاد صاحبها أخوه أحمد وتولى الالتقاء بها حتى استعاد العبيديون القيروان فعادر أحمد إلى الأندلس وأقام بها عشر سنين حتى أخذ له سجل بالمعروف من المعز لدين الله العبيدي فعاد إلى القيروان (١٣٦) .

أدى تخلي مشيخة القيروان وأهل السنة فيها عن تأييد أبي يزيد وانفضاضهم من حوله إلى عجزه عن اقتحام المهدية الحصينة على الرغم من وفاة القائم بأمر الله العبيدي أثناء الحصار وهو الأمر الذي كان من الممكن أن يشجع الفوضى في الدولة العبيدية في فترة من أدق وأخطر فتراتها لولا أن ابنه وخلفه المنصور بالله اسماعيل تمكن من تكتم خبر موت القائم كيلا يشت في عضد جنوده المقاومين لحصار أبي يزيد ، وكيلا يرفع معنويات أبي يزيد وجيشه فيشتد حصارهم للمهدية ، فقام المنصور بدفن أبيه « سرا وأظهر عليه جلدا وصبرا لئلا يعلم العدو بذلك فتقوى عزيمته ويطلع الولي فيكثر فشله وتهدى قوته وغطى ذلك بكثرة الصلاة وأعطى قعم بالنعيم والأبداى المتواصلات ولم يتسم بأمر المؤمنين » (١٣٧) .

كان التشيع يمر بأيام عصيبة وقتئذ عبر عنها الداعي ادريس بأنها « كانت ظلمة عمت المغرب ومحنة شملت على كل مسلم — يقصد كل شيعي — من كان بعيد ومقترب (١٣٨) وكاد أن يقضى على دولة العبيدية التي تعرضت لهزائم عديدة وخسروا جميع المدن والبلاد وأخرجوا منها

(١٣٣) محمد أبو العزم : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(١٣٤) عياض : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢١ ، ص ٣٢٥ .

(١٣٥) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٢١ .

(١٣٦) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ .

(١٣٧) الداعي ادريس ، المصدر السابق ، سجع ٥ ، ص ٢٣١ .

(١٣٨) نفس المصدر ، سجع ٥ ، ص ١٩٧ .

بما فيها رقادة والقيروان وغيرها من بلاد المغرب وأفريقية فلم يبق لهم منها غير المهديّة (١٢٩) .

واشتد حصار أبي يزيد للمهديّة وقطع عنها الميرة فعلا سعر القمح والشعير بها غلاء فاحشا وكثر خروج الناس منها لشدة الجوع والجهد ، ولم تق الأهرام السلطانية باحتياجات الناس من الغذاء فعظم بهم البلاء حتى احتاجوا الى أكل الميتة والدواب وغيرها (١٣٠) وتبادى الحصار فهرب كثير من أهل المهديّة في المراكب الى بلاد الروم ومصر وطرابلس وصقلية (١٣١) .

ويدو أن العبيدين استعملوا الحيلة لتفريق أتباع أبي يزيد فدرسوا عليهم من أعلن الثورة على أبي يزيد في باجة مدعيا أنه من بنى العباس فأجابه كثير من الناس وكان يسكن لذلك المدعى أن بيت القرعة في صفوف أنصار أبي يزيد ويستبيل منهم من يهوى قواده العباسيين لولا أن أخذ هذا المدعى أسيرا فوجدت معه أعلام سود مكتوب في كل منها لا اله الا الله محمد المهدي بالله ، فأتى أبو عمار الأعشى صاحب أبي يزيد بنفر من أهل بغداد سألوا هذا المدعى عن صفة بغداد وفي أي ناحية منها كانت سكناه فلم يعر جوابا ، فأنكشت الحيلة (١٣٢) .

وعلى الرغم من شدة حصار أبي يزيد للمهديّة فانه فشل في الاستيلاء عليها وأدرك أبو يزيد أن سبب ذلك هو قعود القرويين عن نصرته بعد ما كان منه يوم وقعة الوادي المالح وتأمره للخلاص من مشيخة القيروان فضلا عن اساءة حامية القيروان من قبله الى أهلها واظهار أصحابه مذهب الأباضية فكرهه الناس وشنق عليه أهل القيروان عصا الطاعة ، وحاول

---

(١٢٩) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥ والذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٥ ، ص ١٥٦ .  
واحسان الهى ظهير : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .  
(١٣٠) الداعي إدريس : المصدر السابق ، سبج ٥ ، ص ٢٠٧ .  
(١٣١) نفس المصدر ، سبج ٥ ، ص ٢١٠ وابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٢٨ .  
(١٣٢) الداعي إدريس : المصدر السابق ، سبج ٥ ، ص ٢١٠ وابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٣٠ .

أبو يزيد استرضاهم واستمالتهم الى جانبه من جديد دون جدوى (١٣٣) في الوقت الذي أدرك فيه المنصور بالله اسماعيل الخليفة العبيدي الجديد جدوى مؤازرة أهل القيروان لأبي يزيد فأخذ يبذل جهده لصرف القرويين عن نصره أبي يزيد واستمالتهم الى جانب العبيديين فانتهج سياسة الاعتدال ووعد أهل السنة بتغيير سياسة أبيه وجده « وأنه لا يتعرض لدياناتهم - مذاهبهم - وحلف على ذلك وأكد وأشهد ... » وأخذ الدعاة الذين كانوا لهم - الشيعة - فخلق لحاهم وثقاهم وقال لأهل قيروان : من سمعتموه ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه فاني معكم ومن ورائكم وأطلق المحدثين في الحديث والناس في اقامة التروايح » (١٣٤) ، وأطلق المنصور « المحبسين الذين حبسهم القائم بسبب القدح في الدولة ووصل الفقراء والمساكين ووجه مراكب كثيرة مشحونة بالطعام الى فقراء مدينة سوسة المستورين ففرقت فيهم لما قاسوه من حصار أبي يزيد » (١٣٥) .

كان لسياسة الاعتدال التي استتبع بها المنصور بالله اسماعيل خلافته أثرها في صرف أهل القيروان عن مؤازرة أبي يزيد فلما فشل أبو يزيد في استرضائهم انصرف عن القيروان تاركا العبيديين يستردونها في سهولة فأمن المنصور أهلها في أموالهم وأنفسهم ووعدهم خيرا (١٣٦) وأخرج أحمالا كثيرة من الدناثير والدراهم قام قاضيه محمد بن أبي المنصور بتوزيعها عليهم (١٣٧) كما أرسل الى القيروان جعفر بن علي الحاجب فصلى الجمعة وأقام الخطبة معلنا فيها أن الأمير - أعزه الله - ترك

(١٣٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٣٥ والهمداني : المصدر السابق ، ص ٦٠٢ والدايمي ادريس : المصدر السابق ، سجع ٥ ، ص ٢١٤ .  
(١٣٤) الهمداني : المصدر السابق ، ص ٦٠٢ .  
(١٣٥) المقرئ : المقفى الكبير ، ص ١٤٤ .  
(١٣٦) الدايمي ادريس : المصدر السابق ، سجع ٥ ، ص ٢٢٧ وابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٣٥ .  
(١٣٧) الدايمي ادريس : المصدر السابق ، سجع ٥ ، ص ٢٥٣ .  
(١٣٨) تبدو لهجة الاعتدال في قول جعفر بن علي « الأمير أعزه الله » ولم يقل أمير المؤمنين صلى الله عليه وسلم كما اعتادت الشيعة الاسماعيلية على قول ذلك .



لهم ما يجب عليهم في سنتهم ( ٣٣٤ هـ ) والسنة التي تليها ( ٣٣٥ هـ ) من العشر والصدقة وجميع اللوازم وفقا بهم واعانة لهم على عبادة ارضهم ويوادهم (١٣٩) ووعدا لا يؤخذ منهم في اقبال السنين الا العشر والصدقة ، الطعام من الطعام والشاة من الغنم والثور والبقر من السائمة والبعير من الابل على فرائض الله وستة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ووعدا أيضا بالاحسان واظهار العدل واحياء الحق (١٤٠) .

وامعانا في سياسة استرضاء أهل القيروان واستمالتهم تغاضى المنصور بالله اسماعيل العبيدي عما كان نذر من مشيخة القيروان يجاهرون به من عداء للشيعة حتى أنه لما وصل إلى القيروان « وجه في شيوخها ، فوجه في مروان بن سعدون الخطيب ، وكان يشتبههم — الشيعة — على المنبر ، ودخل عليه فلم يسلم لا وقت دخوله ولا وقت خروجه ، وجعل كلما كلمه لا يزيد على : ما شاء الله حسبنا الله ونعم الوكيل » (١٤١) .

وادراكا من المنصور بالله اسماعيل لأهمية القيروان وخطورة معارضة أهلها لسلطان العبيدين عدل عن سياسة أبيه وجده في الاستقرار بالمهدية الحصينة التي صمدت لعصار أبي يزيد مغلد بن كيداد ، واتجه المنصور إلى اتخاذ حاضرة جديدة له على مقربة من القيروان يسهل عليه منها مراقبتها والسيطرة عليها فأمر ببناء مدينة المنصورية ( صبرة ) على نصف ميل فقط من القيروان (١٤٢) .

---

(١٣٩) الداعي ادريس : المصدر السابق ، سجع ٥ ، ص ٢٥٤ والمقريزي : المقفى الكبير ، ص ١٥٢ .

(١٤٠) الداعي ادريس : المصدر السابق ، سجع ٥ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ . والمقريزي : المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

(١٤١) عياض : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ .

(١٤٢) البكري : المصدر السابق ، ص ٢٠ وابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٩ والداعي ادريس : المصدر السابق ، سجع ٥ ، ص ٢٥٩ .



تغيرت موازين القوى في الحرب الدائرة بين المنصور العبيدي وأبي يزيد الأباضي النكاري لصالح المنصور بعدما انفض أهل القيروان عن أبي يزيد واتهج المنصور سياسة الاعتدال - التي أشرنا إليها - لتسكينهم ، وزاد من حرج موقف أبي يزيد انتهاجه لسياسة البطش ارهابا للمدن الخاضعة له كيلا تخرج عليه مثلما فعلت القيروان فزاد ذلك من عداوة أهل السنة له وقصورهم منه ، وطالت الحرب بين المنصور وأبي يزيد حتى حسمت الجولة الأخيرة فيها لصالح العبيديين وأمكن القبض على أبي يزيد وقتله لتنتهي - أو تكاد - بذلك أخطر ثورة تمرض لها العبيديون في بلاد المغرب .

وكان على المنصور بالله العبيدي أن يبذل جهده لازالة آثار هذه الحرب الدامية التي طال مداها ونجم عنها كثير من التخریب فضلا عن جهوده لاحتواء ردود الفعل والأعمال الانتقامية التي شنها أنصار أبي يزيد انتقاما لمقتله فقد ثار كل من معبد بن محمد بن خزر من أنصار أبي يزيد كما ثار فضل بن أبي يزيد بعد أن تسلل إلى جبل اوراس وجمع حوله أنصار أبيه وتمكن من الاستيلاء على قسطنطينة وقنصة (١٤٣) . فكان على المنصور بالله اسماعيل أن يبذل جهده للقضاء على تلك الثورات ومعالجة آثارها .

تطلبت معالجة هذه الآثار من المنصور بالله اسماعيل أن يستمر وقتا على نهج الاعتدال وتسكين أهل القيروان حتى أنه رأى أن يولى على قضاء القيروان قمر من مشيخة القيروان المالكية ، أراد بذلك « تسكين نفوس أهل السنة والناس وما كان منهم بعد فتنة أبي يزيد » (١٤٤) وتناضى المنصور في سبيل ذلك عن معاداة هؤلاء النفر من المالكية للشيعة ومؤازرتهم السابقة لأبي يزيد مخلص بن كيداد في ثورته ضد العبيديين ، فوجه المنصور بالله العبيدي في طلب أبي ميسرة الأعمى ليؤليه قضاء القيروان وهو الذي خرج من قبل في شوارع القيروان شاهرا سيفه لتحسيس الناس على مجاهدة الشيعة ، لكن أبا ميسرة أحمد بن ترار

(١٤٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٤١ والمقريزي : المثلث الكبير ، ص ١٧٥ .  
(١٤٤) عياض : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٩ .

الأعشى اعتذر عن تولي القضاء متعللاً بعماته وذهاب بصره (١٤٥) فعرض المنصور بالله القضاء على أبي العباس عبد الله الأيباني المالكي لكنه امتنع وطلب إعفاءه فأعفاه وسمح له بالخروج إلى تونس دون أن يعترض أحد طريقه (١٤٦) ، ثم قبل أبو عبد الله محمد بن أبي المنظور قضاء القيروان (١٤٧) لكنه اشترط على المنصور ألا يأخذ على القضاء أجراً ولا صلة ولا يركب لهم دابة ولا يقل شهادة من قاربهم ولا يركن إليهم ، ورغم تشدد شروط ابن أبي المنظور وما لها من دلالة ، فقد قبل المنصور بالله هذه الشروط (١٤٨) استرضاء للقرويين وتسكيناً لهم .

على هذا النحو كانت سياسة الاعتدال التي انتهجها المنصور بالله العبيدي في أول خلافته لمواجهة ثورة أبي يزيد مختلدة بين كيداد وما أعقبها من اضطرابات حتى إذا استنفدت هذه السياسة أغراضها وتوطدت أقدام العبيديين في بلاد المغرب بعد أن زلزلتها ثورة أبي يزيد ، لم يلبث المنصور بالله اسماعيل العبيدي أن فكس عن سياسة الاعتدال وعاد إلى التشيع القبيح واضطهاد أهل السنة ، وبعد أن كان يطلب من الفقهاء المحلقين في الجامع أن يسبحوا للشيعة بعقد حلقة واحدة في الجامع بين حلقات أهل السنة (١٤٩) وبعد أن كان يطلب من فقهاء أهل السنة من المالكية والشافعية والحنفية أن يشتركوا مع الشيعة في النظر في مشروعية معاهدة النصراني كالمهدة التي عقدت مع صاحب القسطنطينية سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٣ م (١٥٠) إذا به يعدل عن كل هذا فيقتل من أهل القيروان خلقاً ويعذب آخرين ليظل أهل القيروان في محنة معه إلى أن توفي (١٥١) ولم يقتصر في ذلك على أهل القيروان وإنما شمل أهل السنة في نواحي بلاد المغرب ، ففي برقة عذب قاضي برقة أبو عبد الله محمد ابن اسحاق

(١٤٥) عياض : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٩ .

(١٤٦) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ .

(١٤٧) المقرئ : المقفى الكبير ، ص ١٤٦ .

(١٤٨) عياض : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٦٥ .

(١٤٩) الهمداني : المصدر السابق ، ص ٦٠٣ .

(١٥٠) المقرئ : المقفى الكبير ، ص ١٨٦ .

(١٥١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

البرقي لمخالفته المذهب الاسماعيلي في هلال رمضان وأفضى تمذيبه الى موته فصلب بباب أبي الربيع سنة ٣٤١ هـ (١٥٣) .

وعهد المنصور بالله اسماعيل بالقضاء الى فقهاء الشيعة من جديد فولى النعمان بن محمد بن حيون على قضاء المنصورية والقيروان وأعمال افرينية وجعل منه قاضيا للقضاة يتبعه القضاة في سائر الدولة العبيدية ، ونصب المنصور « عبد التشيع وأظهر سنته وأحكامه وأقام بابلن الدعوة وقاهاها وحكم قواعدها ومشاعرها وأبان نواهيها وأوامرها » (١٥٣) .

وعاد الشيعة الى سيرتهم الاولى في سب الصحابة ، وعاد حسين الأعشى السباب ليسب في الأسواق ويلعن الفسار وما وعى والكساء وما جوى (١٥٤) وأظهر المنصور بالله اسماعيل رضاه عن ذلك بدفاعه عن حسين الأعشى السباب الشيعي (١٥٥) وفرض على أهل القيروان حظر التجول ليلا خشية أن يدبروا بلبيل للثورة على الحكم الشيعي (١٥٦) .

فل المنصور بالله اسماعيل العبيدي على سياسة التشيع الفحيح مضطهدا أهل السنة حتى وقع فريسة المرض ثم توفي فجأ في أواخر سنة ٣٤١ هـ دون أن يكمل العقد الرابع من عمره ، فخلفه في حكم الدولة العبيدية ولده معد المعز لدين الله .

كان المعز لدين الله مدركا للأخطار التي تحدق بالدولة فكتم وفاة والده من وفاته في آخر شوال الى عاشر ذي الحجة يوم النحر سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٣ م (١٥٧) وما أن أعلن عن وفاة والده وتمسلمه الخلافة حتى

(١٥٣) الديباغ : معالم الايمان ، ج ٣ ، ص ٤٩ .

ولكن المفريزي ( المتوفى الكبير ص ١٨٧ ) يرجع سبب محنة القاضي البرقي الى انه حكم بين خصمين بشر المذهب اسماعيلي وأقسم ألا يحكم بمذهبيهم ولو صلب فأحضروه الى القيروان وصلبوه .

(١٥٣) الداعي ادريس : المصدر السابق ، سبج ٥ ، ص ٣٣١ .

(١٥٤) عياض : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٨ .

(١٥٥) نفس المصدر ، ص ٢٨٤ .

(١٥٦) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(١٥٧) الداعي ادريس : عيون الاخبار ، سبج ٦ ، ص ١٣ ( قطعة منه نشرها محمد اليعلاوي ضمن كتابه تاريخ الخلفاء القاطنين بالمغرب ) .

خرج في نفس اليوم في غارة وقائية على جبل أوراس لارهاب أهله كيلا يجددوا اشغال الثورة التي مازالت آثارها باقية ، فأطراف الدولة على سبيل المعصية والسبل خائفة ولهب نار الفتنة لم يخمد وحرها لم يبرد ، وأخذ المزمع زعماء الأوراس بالمباغته فدأوا له بالخضوع وعلى رأسهم محمد بن خزر ومعه قواد البربر ووجوههم (١٥٨) \*

وكعادة أسلافه ، بدأ المزمع خلافته بالاعتدال ، فكان مع حرصه على نشر عقائد المذهب الاسماعيلي (١٥٩) يداهن ويداري (١٦٠) ، فلا يجهر بقلوه في التشيع الا مع خاصته ودعائه وشيعته ، ويحتمل في الابانة عن غلوه أمام المخالفين (١٦١) \*

واتخذ المزمع لدين الله من المنصورية حاضرة له ومركز لنشر الدعوة النشيعية في افريقية والمغرب ، وكانت الدعوة تنشر على مستويين : مستوى الظاهر ومستوى الباطن ، فالعلم الظاهر كانت تعقد حلقاته في المسجد الجامع بينما كانت حلقات العلم الباطن تعقد في قصر المزمع لدين الله ويقتصر حضورها على الخاصة من شيعته لتعريفهم بأسرار المذهب وعقائده التي يصعب على العامة فهمها (١٦٢) \*

وأسندت مهمة الدعوة الى القاضي النعمان بن محمد الذي رفع المزمع لدين الله قدره وجمع له رئاسة القضاء والدعوة وأمره بقراءة كتب الأئمة آباء المزمع ونشر علومهم على أتباعه وأوليائه وأن يرتبهم على مراتبهم بحسب علومهم وما هو من واجبه ، وأخرج اليه كتباً من علم الباطن ليقرأها عليهم في كل يوم جمعة في مجلس القصر (١٦٣) \*

ولما أيقن المزمع من استتباب الأمور له نهج سيرة أسلافه في التشيع القبيح فوجه الى أئمة المساجد والمؤذنين مشدداً عليهم ألا يؤذنوا الا

(١٥٨) الداعي ادريس : المصدر السابق ، سبج ٦ ص ١٩ \*

(١٥٩) محمد أبو العزم : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ \*

(١٦٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ص ٧٤ \*

(١٦١) أحسان الله ظهير : المرجع السابق ، ص ١٣٣ \*

(١٦٢) محمد أبو العزم : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ \*

(١٦٣) الداعي ادريس : المصدر السابق ، سبج ٦ ص ٢٠ \*

يحيى على خير العمل وقراءة البسطة في أول السور والتسليم تسليمتين والتكبير على الجناز خمساً وما إلى ذلك مما يأخذ به الاساعيلية (١٦٤) .  
بل قيل انه ادعى النبوة ودس من نادى فوق صومعة جامع القيروان « أشهد أن محمداً رسول الله » فارتج البلد لذلك فأرسل من سكن الناس (١٦٥) ومع أنه من الصعوبة بسلطان قبول القول بإقدام المعز على ذلك ، فليس هناك ما يمنع من القول بأن أحد الغلاة ممن يشبه الغلاة الذين ظهروا في خلافة المهدي قد أقدم على مثل هذا الغلو القبيح .

لم تلق سياسة المعز لدين الله العبيدي - رغم مقدرته في الإدارة والمداخلة - قبولاً لدى أهل السنة ومشيخة القيروان الذين ظلوا على عدائهم للعبيديين يحشون الناس على بغضهم والكفر بذهبهم رغم ما تعرضوا له من أذى ويطعن بأیدی العبيديين ، يدل على ذلك كتاب ورد إلى المعز من صافي الأكرمي عامله على قصر الأفرقي يذكر فيه تناصر البربر عليه وتخريبهم لمنطقته وأنه خائف على نفسه أن يهلكوه (١٦٦) .

وكان من كبار مشيخة القيروان حين تولى المعز لدين الله الخلافة أبو اسحاق السبائي ، الذي كان ممن تزعموا نصرة أبي يزيد مخلد بن كيداد إبان ثورته ومؤازرته في الخروج على القائم بأمر الله ثاني خلفاء العبيديين . وكان السبائي قد اعتكف في داره بعد فشل ثورة أبي يزيد وظل على اعتكافه إلى أن اشتد أمر بني عبيد وفتح دعائهم أبوابهم وتشددوا في دعوة الناس إلى التشيع ، فقال السبائي لأصحابه افتحوا باب دارى فأخذ في ذمهم والتحذير منهم (١٦٧) .

ورغم معرفة المعز لدين الله بعداء السبائي للعبيديين وقوله عنه ذات يوم « أعد لنا السلاح وتربص بنا الدوائر وكفرا وشتنا وعلم الناس الجراءة علينا » (١٦٨) ألا أن المعز كان يداريه ويسكت عنه (١٦٩) كيلاً يثير

(١٦٤) ابن عدارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ، ص ٢٨٥ .

(١٦٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

(١٦٦) سيرة جوفز ، ص ٩٣ .

(١٦٧) عياض : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٧٨ .

(١٦٨) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٨٨ .

(١٦٩) عياض ، المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٧ .

( م - ١ - التشيع في بلاد المغرب الاسلامي )

بالتعرض له أهل السنة ، وكان قلقا منه حيا وميتا ، اذ أرسل كفتا ليوارى فيه حين وفاته لكن أهل السنة قطعوا ذلك الكفن ، ولما رأى المعز كثرة اجتماع الناس لتشيع جنازته خشي عواقب تجمعهم فأرسل عامل القيروان عسلوج الولهاجي لتفريق الناس ، فواجه الناس عسلوجا بما يسمى الشيعة من القول فيجاريهم في القول خوفا منهم ومن ثورتهم ، وظل المعز لدين الله في قلق وتوجس حتى تم دفن السبائي واقضى الناس (١٧٠) .

وكان من طبقة السبائي وعلى شاكلته أبو اسحاق الجبني الذي كان هو الآخر مضطرا للعبيدين مقاوما لهم لا يخفى بغضه لهم ولا تكفيره إياهم ، فقد حضر الجبني ذات يوم جنازة امرأة وصلى عليها وجيء يومئذ بجنازة كئامى شيعي وراءها خلق منهم فنادوا الصلاة على الشهيد فلم يرد الجبني عليهم حتى اذا فرغ من دفن المرأة انصرف وتركهم وفوقا بتابوتهم (١٧١) .

وكان أبو اسحاق الجبني يسكن أوقات صلاتي الظهر والعصر مخالفة للعبيدين ليعلم الناس صلاتهم وكيدهم للدين ومسلكتهم الى هدمه بتغييرهم في الصلاة وآذانهم قبل الوقت ، وكان أبو الحسن القاسبي أيضا يسكن أوقات الصلاة مثلما يفعل الجبني (١٧٢) .

وكان أبو اسحاق الجبني لا يؤذن يحيى على خير العمل ولا يقرأ البسلة في أو السور ولا يسلم على فاحيتين مخالفا بذلك ما أمر المعز باتباعه (١٧٣) لكن المعز كان يخشى من تأثيره في الناس وتمكنه من اقتدائهم فكان يداريه ويسكت عنه خشية أن يؤدي التعرض له الى إثارة الناس على العبيدين (١٧٤) .

وكان من مشيخة القيروان الذين يعادون العبيدين أبو محمد عبد الله ابن اسحاق المعروف بابن التبان الذي كان شديد التنقيص للعبيدين ، يكفرهم ويلعنهم ويحث الناس على النفور منهم والبغض لهم (١٧٥) .

(١٧٠) نفس المصدر ،

(١٧١) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٥١٠ .

(١٧٢) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ص ٥١٤ - ٥١٥ .

(١٧٣) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ص ٥٠٩ - ٥١٠ .

(١٧٤) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٥١٠ .

(١٧٥) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٥٢١ .

وبلغ من عدااء المعز لأهل السنة أن أمر بنش قبر عقبة بن نافع وأحرق بقاياها بالنار ، وبعث لأداء هذه المهمة خمسمائة من الشيعة ما بين فارس وراجل ، توجهوا الى قبر عقبة بتهوده ونفذوا ما أمرهم به المعز . وكان سبب بنش قبر عقبة بن نافع أن المعز لدين الله أراد تحريف قبلة مسجد القيروان سنة ٣٤٥ هـ وهي التي كان عقبة قد قام بتوجيهها وتعيينها حين بنى مسجد القيروان ، فتذمر الناس لما يريد المعز من تحريفها وقالوا إن الله عز وجل يمنح المعز من تحريفها بدعاء عقبة بن نافع الذي توجه الى الله به وقت تأسيسه الجامع (١٧٦) .

كذلك كان نهج المعز لدين الله العبيدي في التشيع ، سار فيه على نهج أسلافه وإن كان قد أبان عن حصافة ودهاء أكثر منهم ، ولعله قد تعلم منهم كيفية الإدارة وقت الشدة خاصة من أبيه المنصور بالله اسماعيل لكن المعز زاد على أسلافه باتباع سياسة الإدارة والمداعنة في معظم الأوقات فكان لا يبين عن حقيقة أغراضه في كثير من الأحيان إلا لخاصة أتباعه الذين يفشى فيهم علم الباطن ليدركوا دقائق المذهب الاسماعيلي وأسراره ، أما العامة من الشيعة وغيرهم من أهل المذاهب الأخرى فكان لا يعرض عليهم إلا علم الظاهر كيلا يصدم هؤلاء في مشاعرهم ويقعون من التشيع موقفا عدائيا لا هوادة فيه . إلا أن المعز كان لا يملك نفسه أحيانا فيبين عن حقيقة أهوائه ومعتقداته في بعض الأحيان ، ولعل قلة هذه الحالات هي التي دعت بعض المؤرخين الى وصف المعز لدين الله بالاعتدال .

وسواء كان المعز لدين الله معتدلا أو يتصنع الاعتدال فإن أهل السنة لم يتخذوا بسياسة ولم يققوا مكتوفي الأيدي حيال سياسة التشيع التي كان المعز يتهجها ، غير أنهم لم يشوروا في عنف كما حدث في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد . وعلى الرغم من الهدوء النسبي في ردود أفعال أهل السنة لسياسة المعز إلا أنه أدرك غربة المذهب الاسماعيلي في بلاد المغرب وعزوف أهل المغرب الشديد عن تقبل عقائد الاسماعيلية فأيقن أن المستقبل السياسي للعبيديين في بلاد المغرب محفوف بالمخاطر فكان هذا من دواعي انتقال المعز الى مصر بعد استيلاء العبيديين عليها على يد قائده جوه الصقلي ، لتبدأ بعد انتقاله الى مصر صفحة جديدة من تاريخ التشيع في المغرب على عهد بني زيري .

(١٧٦) كتاب الاستبصار ، ص ١١٤ .





التشيع في بلاد المغرب

في عهد بني زيرو



انتقل المعز لدين الله العبيدي إلى مصر سنة ٣٣٦ هـ لأسباب عديدة كان من أهمها انتقاد العبيدين للاحساس بالاستقرار في بلاد المغرب واستمرار المعارضة لهم سياسياً ومذهبياً من قبل مخالفيهم في المذهب الذين كانوا يشكلون غالبية المغاربة من أهل السنة والخوارج والعلويين غير التشيعيين ، وقد جمع العداء المشترك للشيعة الاسماعيلية هذه الفئات أحياناً ودفعها للتحالف ضد العبيدين مثلما حدث في ثورة أبي يزيد مخلد ابن كيداد .

ولما كان العبيديون قد أخذوا في الاعتماد على صنهجة تحقيقاً للتوازن بينها وبين كتامة منذ أن تبين لهم أن ولاء كتامة كان بالدرجة الأولى لأبي عبد الله الداعي حتى أن جماعات من الكتامين أشعلوا الثورات ضد الحكم العبيدي انتقاماً لمقتل أبي عبد الله الشيعي ، ولقد تدعت مكانة صنهجة عند العبيدين منذ أن أثبت زيري بن مناد الصنهاجي ولاءه لهم بأن ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (١) فرضي العبيديون عنه حتى سمحوا له باتشاء مدينة أشير واتخاذها مقراً له ، فلما حان وقت انتقال المعز لدين الله إلى مصر استخلف على إفريقية والمغرب يوسف بن زيري ابن مناد الصنهاجي المعروف ببلكين .

سار بلكين بن زيري على نهج العبيدين وفق الخط الذي رسمه له المعز لدين الله العبيدي والوصايا التي أوصاه بها (٢) وتضافى في نشر التشيع في بلاد المغرب تعبيراً عن ولائه للعبيدين والتزامه بطاعتهم .

واتخذ بلكين بن زيري أشير حاضرة له وأثاب على إفريقية عبد الله ابن محمد الكاتب الذي كان أداة بلكين في تنفيذ سياسة التشريق أو نشر التشيع في إفريقية وفوض إليه بلكين شئون الدعوى (٣) فتضافى عبد الله ابن محمد الكاتب في تنفيذ سياسة سيده واتخاذ الوسائل الناجعة لها حتى لقب بالاحتال ، فتارة يلاحق فقهاء المالكية ليَجبرهم على الدخول في التشريق ( التشيع ) ، يقول عياض : « كان عبد الله المعروف بالاحتال

(١) لتوريري : نهاية العرب ج ٢٤ ص ١٦٢ .

والحبيب الجنتاني ، القيروان ، ص ٩٨ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

(٣) كان تفويض أبي عبد الله الكاتب في شئون الدعوى بأمر من العزيز بالله ( التوريري ، المصدر السابق ، ج ٢٤ ، ص ١٧٩ ) .

صاحب القيروان شد في طلب أهل العلم ليشرقهم» (٤) ولم يتوقف في ملاحقته تلك عند حد ، فقد لاحق كبار المالكية مثلما لاحق صغارهم فطلب الشيخ أبا سعيد ابن أخى هشام وأبا محمد بن التبان وأبا القاسم ابن شبلون وأبا محمد بن أبى زيد وأبا الحسن القابسي فاجتمعوا في مسجد ابن اللجاء واتفقوا على الفرار من القيروان ، فقال لهم ابن التبان أنا أمضى اليه وأكتفيكم مؤونة الاجتماع به ويكون كل واحد منكم في داره .. . أبيع روحى من الله دونكم لأنكم أن أنى عليكم وقع الاسلام على وهن» (٥) . وإذا كان لتفكير هؤلاء الفقهاء في الفرار من دلائل ، فأنما يدل على شدة ملاحقة عبد الله الكاتب لهم حتى جعلهم يفترون في الفرار مخالطين فتوى سبق أن أصدروها بعدم جواز الفرار من وجه الشيعة ووجوب المكوث والتصدي لهم .

وكان عبد الله بن محمد الكاتب يعقد مجالس المناظرة بين فقهاء المالكية ودعاة الشيعة فلما منه ببراعة هؤلاء الدعاة وثقة في قوة حججهم ، فإذا فشل هؤلاء الدعاة في مقارعة فقهاء المالكية الحجة بالحجة - وكان الفضل غالبا من نصيبهم - لجأ عبد الله الكاتب الى الوعد والوعيد لترغيب فقهاء المالكية في التشيع جهلا منه - أو تجاهلا - لبغض المالكية الشديد للتشيع ، من ذلك على سبيل المثال أنه عقد مجلسا للمناظرة بين دعاة الشيعة وفقهاء المالكية ، وحضر من دعاة الشيعة داعيان يدعى أحدهما أبو طالب ويدعى الآخر أبو عبد الله وطلب للمناظرة أبا محمد ابن التبان ، وتكنى أبو محمد بن التبان من اصحاب الداعين الشيعيين فحاول عبد الله الكاتب استمالته وادخاله في التشيع فرفض ابن التبان قائلا انه لو نشر نصفين ما فارق مذهب مالك ، فسمح له عبد الله الكاتب بالخروج من المجلس فمر ابن التبان في خروجه بجماعة من الناس ممن حضروا لتلقى عليهم الدعوة الى التشيع ، فقال لهم ابن التبان : تشبثوا ، ليس بينكم دين لله عز وجل الا الاسلام ، فاذا فارقتبوه هلكتم . فترك عبد الله الكاتب طلب بقية شيوخ المالكية بعد ذلك المجلس (٦) .

(٤) ترميز المدارك ، ج ٣ ، ص ٥٢١ .

(٥) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٥٢١ .

(٦) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ص ٥٢١ - ٥٢٢ .

ولجأ عبد الله بن محمد الكاتب إلى الضغط على أهل السنة وفرض المغارم عليهم كي يتحولوا عن مذهبهم ، ففي سنة ٣٦٥ هـ أمر بأن يؤخذ كل البحرين في القيروان وأفريقية وأجبارهم على الخدمة في الأسطول ، وكانت الخدمة في جيش الشيعة أو أسطولهم مما يشق على أهل السنة إذ لا يعدون ذلك نوعاً من الجهاد لتكفيرهم الشيعة ، ولذلك أدرك الخوف كافة أهل القيروان خاصتهم وعامتهم فلزموا دورهم إلى درجة أنه كان إذا مات أحدهم لا يخرج إلا النساء (٧) وفي سنة ٣٦٦ هـ أغرم عبد الله الكاتب نحو ستمائة من أعيان أغنياء القيروان وأفريقية أموالاً كثيرة بالتعيين ، ووصل غرم بعضهم إلى عشرة آلاف دينار للواحد منهم ، فاجتمعت له بالقيروان أموال كثيرة من هذه المغارم وعم هذا الغرم سائر أعمال إفريقية فيما عدا الفقهاء والصلحاء والأدباء وأولياء السلاطين (٨) وأغلب الظن أنه لم يعف الفقهاء والصلحاء رافة بهم أو لطيف علاقته بهم وإنما أراد الوقية بينهم وبين عامة أهل إفريقية الذين سيتشككون في الفقهاء تبعاً لذلك . وكان لشدة عبد الله الكاتب على أهل السنة أن تظاهر بعضهم بالدخول في التشيع سترًا وتقية من عبد الله الكاتب وكان من هؤلاء شبلون بن عبد الله المصاحفي (٩) .

كانت العلاقات بين العبيديين في مصر ونائبيهم في إفريقية أبي الفتوح يوسف بن زري لا بأس بها وكان يتبادلوا بايهم الهدايا (١٠) واستطاع أبو الفتوح يوسف بن زري أن يوطد حكمه في سائر أنحاء المغرب — فيما عدا سبته — بعدما خاض حروباً متصلة منذ سنة ٣٦٨ هـ إلى سنة ٣٧٣ هـ ، وكان ترد إليه أثناء ذلك سجلات العبيديين من مصر فتصله على البريد حيثما وجد (١١) .

(٧) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

(٨) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .

والقريري : اتماع الحنفية ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

(٩) القيرواني : المصدر السابق ص ١٣٣ .

(١٠) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .

(١١) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

غير أن العلاقات بين العزيز بالله العبيدي في مصر ونائبه أبي الفتوح الزيري قد تأثرت - على نحو أو آخر - من جراء هروب كباب ومغنين ابني زيري من أخيهما أبي الفتوح ولجؤهما إلى العزيز بالله في مصر فأواهما وخلع عليهما ووصلهما واستبقاهما في مصر بضعة أشهر ثم أعادهما إلى المغرب أمرا أخاهما أبا الفتوح بالفتوح بالفتوح عنهما وعدم التعرض لهما (١٣) . ومع أن أبا الفتوح قد استجاب لأوامر الخليفة العبيدي إلا أنه قد دخل في نفسه شيئا من ناحيته ، ويبدو أن العزيز بالله قد توجس خيفة من نائبه فأرسل إليه طالبا منه إرسال ألف فارس من خيرة صناديد صنهاجة لكن أبا الفتوح لم يستجب لطلب الخليفة العبيدي هذه المرة متذعرا بالخطر الأموي المحدث ببلاده وباحتياجه لهؤلاء الأبطال في حربه مع أمويي الأندلس وأعلن تخليه عن مسئولية بلاد المغرب إذ أصر الخليفة العزيز على طلبه ذلك فنزل الخليفة العبيدي على رغبة نائبه وتغاضي عن طلبه الفرسان الصنهاجيين (١٣) وأدى الفتور الذي حل بالعلاقة بين أبي الفتوح بلكين والعبيديين إلى شيء من التقارب بين الأمير الزيري وأهل السنة ظهر في وفاة الفقيه أبي سعيد خلف بن عمر المالكي الذي توفي ليلة الجمعة ٧ صفر سنة ٣٧٣ هـ وصلى عليه ابن الكوفي القاضي وحضر الصلاة أمير إفريقية بلكين بن زيري وجميع عسكره وأهل القيروان وجميع أهل المذهبين من المواقف والمخالف (١٤) . ثم توفي بلكين أبو الفتوح يوسف ابن زيري في سنة ٣٧٤ هـ وتولى إمارة إفريقية والمغرب من بعده ابنه المنصور عبد الله بن بلكين الذي كان عاملا عفيفا يحب الرفق بالأمر فجلبت الناس على محبته (١٥) .

وتلوح في الأفق بوادر التغيير في سياسة بني زيري وستزايد الفتور الذي أصاب علاقاتهم بالعبيديين قبيل وفاة بلكين شيئا فشيئا في إمارة

(١٣) عياض المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(١٤) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(١٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٩١ .

- وإن كان عياض غير متأكد من العام فيقول سنة ٣٧١ أو سنة ٣٧٣ ، وقد أخذنا بسنة ٣٧٣ لتوافق ذلك مع الأحداث . كما أن عياض يجعل اسم بلكين في هذه العبارة عبد الله بن زيري والصواب هو يوسف ابن زيري أما عبد الله قاسم ابنه المنصور بالله .

(١٥) أن أبي ديتار : المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس ، ص ٧٧ .

ابنه المنصور الذي كشف عن طموحه الى الاستقلال باتخاذ لقب المنصور بالله على غرار اتخاذ رؤسائه العبيدين الألقاب ورأى المنصور بالله أن يكتسب محبة رعيته ليتقوى بهم على العبيدين اذا دعت الضرورة لذلك فأظهر حفاوة عظيمة بمن جاء من وجوه أهل القيروان لتهنئته بالامارة وأوضح لهم أن سروره بهم لا يقوفاً شيء (١٦) وكشف لهم عن الإصلاحات التي يزمع ادخالها على سياسة الزيريين فقال لهم « ان أبي وجدى أخذوا الناس بالسيف قهراً وأنا لا آخذهم الا بالاحسان ، وما أنا في هذا الملك من يولي بكتاب ويعزل بكتاب » وأمر المنصور بن بلكين عبد الله بن محمد الكاتب أن يصرف لهم عشرة آلاف دينار ضيافة ، فدعوا له ووقع فعله من قوسهم موقعا حسنا حتى أن أهل القيروان أحسنوا لقاءه واستقبلوه استقبالا رائعا حينما قدم الى بلدهم وأظهروا غبطتهم بقدومه اليهم فوعدهم خيرا ووعدهم بكل جميل (١٧) .

وبينما كانت علاقة المنصور بالله بن بلكين بأهل السنة آخذة في التحسن ، كانت علاقته بالعبيدين — على العكس من ذلك — آخذة في التدهور ، ومن الطبيعي أن يكون التقارب في أحد الاتجاهين تباعداً عن الآخر .

ويبدو أن العبيدين بعد انتقالهم الى مصر كانوا يخشون انفراد صنهجة بالحكم في افريقية والمغرب والنزعات الاستقلالية التي يمكن أن تعترى نوابهم الصنهاجيين فأرادوا استقطاب من بقى من الكتامين في بلاد المغرب وأن يجعلوا منهم قوة تدبر لهم وحدهم بالولاء وتنأوى الصنهاجيين وتتصدى لنزعاتهم الاستقلالية وأرسل العبيديون لتلك المهمة الداعي أبا الفهم الخراساني الذي ظهر في كتامة سنة ٣٧٦ هـ فاجتمع اليه خلق كثير من كتامة وساد بينهم حتى صار يركب الخيل ويجمع العسكر ويعمل البنود ويضرب السكة فعظم أمره وشاع خبره (١٨) .

(١٦) ابن أبي دينار : المصدر السابق ص ٧٧ .

(١٧) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

وإبن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(١٨) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤١ والمقريري :

الفاظ الحنفية ، ج ١ ، ص ٢٦٢ . والنويري : نهاية الأرب ، ج ٢٤ ، ص ١٨٢ . ومحمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٥ .

أفرغت حركة الداعي الاسماعيلي أبي الفهم الخراساني أمير أفريقية والمغرب المنصور بن بلكين فتحرك في سرعة للقضاء عليها وإتهم قائمه على أفريقية عبد الله بن محمد الكاتب بالتواطؤ مع أبي الفهم والتناقص عن القضاء عليه قبل أن يستفحل خطره وتحويله لأمره وتصغيره لشأته حتى تفاقم خطره وذاع خبره (١٩) وكان عبد الله بن محمد الكاتب قد عهد إليه بأمره الدعوة الشيعية في المغرب بأمر من العزيز بالله العبيدي (٢٠)، فقتل المنصور بن بلكين عبد الله الكاتب ثم تعقب الداعي أبا الفهم الخراساني وحاربه وهزمه ثم أسره وقتله سنة ٣٧٨ هـ (٢١) .

وفي السنة التالية ( ٣٧٩ هـ ) ظهرت في كتامة ثورة أخرى ينزعها رجل يقال له أبو الفرج زعم أنه حفيد للقائم بأمر الله العبيدي فاجتمعت حوله كتامة واتخذ البنود والطيول وضرب السكة وفعل أكثر مما عمله أبو الفهم وجرت بينه وبين عمال المنصور بن بلكين على ميله وسطيف معارك عديدة حتى تصدى له المنصور وقتله شر قتلة ، ومع احتمال عدم وجود صلة بينه وبين العبيدين في مصر وأنه دعي ادعى صلة بهم بينما لا يعرف من أي موضع هو (٢٢) فأغلب الظن أن ادعائه هذا انعكس على العلاقة بين المنصور بالله بن بلكين ورؤسائه العبيدين .

أدى قتل الداعي أبي الفهم الخراساني وخروج كتامة على طاعة صنهجة بتحريض من العبيدين الى توتر العلاقة والتباعد بين المنصور بن بلكين والعزيز بالله العبيدي لكن العبيدين لم يظهروا غضبهم على المنصور الزيري حفاظا على ولائه الاسمي وآثر العزيز بالله العبيدي ثم ابنه الحاكم بأمر الله - من بعده - التودد الى المنصور بن بلكين وعدم مجاهرته بالعداء (٢٣) .

(١٩) ابن مغازي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٢٠) النويري : المصدر السابق ، ج ٢٤ ، ص ١٧٩ .

(٢١) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .

(٢٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٦٧ والنويري : المصدر

السابق ، ج ٢٤ ص ١٨٤ وموسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٥٩٢ .

(٢٣) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .



بينما أدى قتل عبد الله بن محمد الكاتب البغض إلى قسوس المالكية حتى لقبوه بالمحتال إلى التفارب بن المنصور بن بلكين وأهل السنة سيما وأن يوسف بن أبي محمد عامل إفريقية الجديد من قبل ابن بلكين - والذي كان يسمى شيخ الورد لتعلقه الشديد بالورد - لم يكن متكيا على الحكم فترك تدبير أمور إفريقية لابن البوني الذي يبدو أنه أحسن السياسة وضبط الأمور حتى كان أهل الحاضرة معه في أمن وعافية (٢٤) فزاد تقدير أهل القيروان للمنصور بن بلكين حتى أنهم خرجوا للقائه في جموع غفيرة حينما قدم إلى المنصورة القريبة من مدينتهم سنة ٣٨١ هـ فأدناهم وأثنى عليهم ووعدهم خيرا ثم أخذ في التضييق على الشيعة حتى أنه لما رفع إليه أن عبدا من عبيده سب بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - أمر بقتله وصلب جثته والمباذلة على رأسه بالقيروان (٢٥) \*

أدت سياسة المنصور عبد الله بن بلكين - فيما يبدو - إلى هدوء الصراع المذهبي بين الشيعة والمالكية فلم توجد في عصره مصادمات عنيفة بين الفريقين حتى أن المالكية التي كانت المحنة قد وجدت بين صفوفها في مواجهة الشيعة فلما هدأت حدة المواجهة معهم انشغل المالكية بالجدل فيما بينهم حول مسائل كلامية مثل مسألة الأيمان التي كانوا يعدونها بدعة أتى بها أبو الحسن بن الزيت من العراق وألقى بها في القيروان ، ومع ذلك اختلف حولها كثير من فقهاء القيروان ومشيختها وتفاقم الأمر حتى اختلف فقيهان كبيران من كبار مشيخة القيروان وزعمائها هما أبي محمد بن أبي زيد وأبي محمد بن التبان (٢٦) \*

لكن علاقة الزيديين بأهل السنة عادت إلى التكدر في إمارة باديس بن عبد الله المنصور ، فقد حدث في المهديّة أن اعتدى نصراني ابن أخ لواء من خاصة الأمير باديس على صبية من الأشراف فاقترضها ، فلما سمعت العامة بذلك ناروا وقتلوا ذلك النصراني فعظم على باديس ثورة العامة وتحديدهم لسلطته فأرسل إلى المهديّة عسكريا لتأديبهم وأمر قائدهم بقتل كل من رفع السيف في تلك الحادثة \* فسخط شيخ المالكية وزعيمها حينئذ أبو الحسن

(٢٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

(٢٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

(٢٦) عياض : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٢٣ ، ص ٥٢٦ .

على القابسي على باديس لما أقدم عليه من اضطهاد العامة بسبب ذلك التصراحي الذي اغتصب فتاة مسلمة ، وخاف باديس من سورة غضب الشيخ القابسي ثفوذ في الناس فوجه باديس كبار رجاله لاسترضاء القابسي ، فلما دق رجال باديس باب الشيخ القابسي لم يأذن لهم بالدخول في داره وإنما أمرهم بالذهاب إلى الجامع وانتظار العلماء هناك ووجه أبو الحسن القابسي في طلب أصحابه من شيوخ المالكية مثل أبي بكر بن عبد الرحمن وأبي عمران الفاسي والخواص وابن الأجدابي وغيرهم وأملى عليهم رسالة عرض فيها بباديس وأمرهم أن يقرأها أحدهم ممن له صوت عال ، وفيها أعلن : « كيف يحل لمن اعتقد الإسلام أن يقوم في دم كافر اغتصب صبية من سلالة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لو انطلقت السموات والأرض من أجل هذا الفعل كان قليلا » ، وأظهر القابسي بلهجة العنيفة قوة أهل السنة ملجأ بالوعيد لباديس حتى أن قواد باديس وكبار رجاله قالوا لبعضهم لما سمعوا ذلك : والله ما السلطان إلا هذا الشيخ (٢٧) .

وزاد من سخط أهل القيروان على أبي مناد باديس انصياحه لأمر العزيز بالله العبيدي إياه بأرسال القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم إلى مصر على غير رغبة القاضي وقد خشي باديس أن يحول أهل القيروان دون إخراج القاضي ابن هاشم إلى مصر فأرسل جماعة من رجال دولته إلى منزل القاضي فحملوه قهراً رغم مرضه إلى رقاده ليضو به منها إلى مصر لكن مجيء الأخبار ب وفاة العزيز بالله جعلت باديس يتراجع في قراره ويعيد القاضي ابن هاشم إلى داره معظماً مكرماً (٢٨) ورغم ذلك فقد أثرت هذه الحادثة على علاقة أهل السنة بباديس وزادت ما بينهما من تباعد .

وتزعم المالكية في القيروان بعد وفاة أبي الحسن القابسي واحد من أصحابه هو أبو علي بن خلدون الذي « كانت العامة تتبعه وكان شديداً على أهل البدع والروافض مغرباً بهم ، يستند منه أهل السنة إلى ملجأ ووزر فضجر لذلك الشيعة حتى ضرب به شاعرهم المعروف بالباحجوري المثل فقال في شعره :

كأنما ذكرى الهوى عنده      ذكرى ابن خلدون لدى الشيعة (٢٩) .

(٢٧) عياض : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٦٢٠ .

(٢٨) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٤٨ .

(٢٩) عياض : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٦٢٤ .

وفي تونس كان يتزعم أهلها في مناوئة الشيعة وقتئذ شيخها أبو محمد محرز بن خلف المعروف بالعابد ، وكان محرز العابد يحرض أهل تونس على الفتك بالروافض وتطهير مدينة تونس منهم ، وكان يظهر مخالفته الشيعة فلا يؤذن بحى على خير العمل ويكبر على الميت أربع تكبيرات وغير ذلك مما يخالف مذهب الاسماعيلية وأوامرهم وكان العامل على تونس وقتئذ صقلي يتشدد في تشييعه ويأمر الناس باتباع مذهب الشيعة فأرسل في طلب محرز العابد ونبه عليه بعدم مخالفة أوامر السلطان ، فرد عليه الشيخ محرز العابد ردا خشنا وتركه وانصرف ولم يستطع العامل الصقلي أن يناله بشيء من الأذى (٣٠) كيلا يزيد من سخط الناس وغيظهم ، فتزايد تحريض الشيخ محرز العابد لأهل تونس على الثورة والفتك بالروافض حتى استجاب له أهل تونس وقاموا على الروافض وأوقعوا بهم مذبحة عظيمة حتى بسببها أبو متاد باديس بن المنصور حنقا شديدا على أهل السنة في تونس وعزم على التوجه اليهم والانتقام منهم وتآديهم على اجترائهم على الشيعة وتحديهم لسلطانه لولا أن عاجلته المنية في سنة ٤٠٦ فتوفي مصابا بذبحته أنت عليه (٣١) بعد حكم دام عشرين عاما ( ٣٨٦ - ٤٠٦ هـ / ٩٩٦ - ١٠١٦ م ) .

ويرى البعض أن « ساعد أهل السنة بدأ يشتد نوعا ما في أواخر عهد الأمير باديس بن المنصور الزيري وأن المستول عن ذلك هو الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الذي شاء أن يقف من التيار الزيري موقف المناضل فاتن الزيريون هذه الظروف لمصلحتهم وقلعوا بنوع من الحرية عن ذي قبل وليس أدل على ذلك من أن مربي ولي العهد أبا الحسن على بن أبي الرجال السني المالكي المذهب قد عهد إليه بتربية الأمير الصغير » (٣٢) .

ويبدو أن ساعد أهل السنة قد اشتد فعلا في أواخر أيام باديس بن المنصور على الرغم من موقفه المشار إليه ازاء أهل تونس ، ولا يدل على ذلك تعيين أبي الحسن على بن أبي الرجال مريبا للمعز بن باديس فحسب ،

(٣٠) غياض : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧١٣ .

(٣١) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٣٢) حسن أحمد محمود : مجلة الشيعة بإفريقية في القرن الخامس الهجري ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة - ١٩٥٠ ، ص ٩٣ - ١٠٠ .

وانما يدل عليه أيضاً تقرب أبي مناد بأديس من فقهاء السنة حتى أنه حضر جنازة أبي القاسم الحضرمي المعروف بالبيدي المتوفى سنة ٤٠٤ هـ ونوه اثر ذلك بولده وخلع عليه وأجلسه مقعد أبيه (٣٣) \*

وإذا كان ساعد أهل السنة قد اشتد في أواخر أيام بأديس بن المنصور فقد حدث في أواخر أيامه أيضاً أول خروج رسمي على طاعة العبيديين في المغرب لكنه لم يكن من قبل بأديس وانما كان من قبل عمه حماد بن بلكين الذي كان يحكم المغرب الأوسط نيابة عن أخيه المنصور بن بلكين ثم ابنه بأديس بن المنصور من بعده ، ففي سنة ٤٠٥ هـ خلع حماد بن بلكين طاعة العبيديين (٣٤) ويبدو أن اقدامه على تلك الخطوة كان لأسباب سياسية بالدرجة الأولى أدى اليه التنافس القائم وقتئذ بين حماد وابن أخيه بأديس، ف يرى جلّين Golvin أن الدواعي السياسية قادت بني زيري وبني حماد الى اتباع سياسة تضاد بينهما بحيث اذا أظهر أحد الجانبين الولاء للعبيديين في مصر أظهر الآخر الميل الى أهل السنة والعداء للعبيديين ، لكن أهل المغرب لم ينساقوا وراء أمرائهم في تقلباتهم السياسية لأن أهل المغرب كانوا أصلاً متسكين بالسنة بغض النظر عن التقلبات الرسمية (٣٥) \*

ولم يكتف حماد بن بلكين بالخروج على طاعة العبيديين وانما قرّن ذلك بقتل الشيعة في حاضرتهم (٣٦) وربما يكون ذلك هو الذي شجع أهل تونس على الاستجابة لتحرير بني شيوخهم محرز العابد بالثورة على الرواقض والفتك بهم مما جعل بأديس بن المنصور يرى في ثورة أهل تونس امتداداً للعصيان السياسي الذي بدأه عمه حماد في المغرب الأوسط والذي كان خروجه على العبيديين يسحب ضمناً على علاقته بابن أخيه بأديس فضئ بأديس أن يستشري الخروج على سلطانه فعزم على البطش بأهل تونس والتصدي لعمه حماد لكنه توفي تاركاً المشكلة لابنه ووريثه المعز الذي دخل في حرب طويلة مع عم أبيه حماد بن بلكين توقفت بالصلح بينهما

(٣٣) عياض : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٧٠٨ .

(٣٤) عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ص ١٦٧ .

(٣٥) Golvin; le Magrib Central à L'époque des Zirides. Recherches d'archéologie et d'histoire p. 140.

(٣٦) محمد ولد داده ، مفهوم الملك في المغرب ، ص ٩٣ .

في سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م على أن يتمتع حماد بن بلكين باستقلال ذاتي في المغرب الأوسط مع الحفاظ على تبعيته الاسمية لحفيد أخيه المعز بن باديس (٣٧) .

لقد كان التقارب بين أهل السنة وبين قرعي بني زيري مرتعنا بالدواعي السياسية لكن هذا التقارب سيجد داعيا مذهبيا في امارة المعز بن باديس مما سينقله نقلة خطيرة ويفتح المجال لانتصار السنة في المغرب .

#### محنة الشيعة بأفريقية وانحسار التشيع عن بلاد المغرب :

تولى المعز بن باديس امارة بني زيري سنة ٤٠٨ هـ بعد وفاة أبيه أبي مناد باديس ، وشهدت امارته تطورات خطيرة في موقف بني زيري من التشيع والصراع المذهبي بين الشيعة وأهل السنة انتهى بها الأمر الى محنة الشيعة في افريقية وانحسار المذهب الشيعي عن بلاد المغرب .

ويمكن القول ان هذا التحول الخطير لم يأت من فراغ وإنما أعدد له أهل السنة أعدادا جيدا ودكيا فقد كانوا رغم تكفيرهم الشيعة يقبلون تعليم أولادهم لا خوفا منهم ولا طمعا في صلاتهم ولكن ليبشوا في نفوس صغار أبناء الشيعة حب السنة والعمل بها وكرهية التشيع والنفور منه ، مثال ذلك ما كان يقوم به أبو اسحاق الجبيناى الذي كان يتعلم عنده جماعة من أولاد الكتامين الشيعة ولا يأخذ منهم صلة جزاء ذلك فخرج كل كتابي تلقى العلم على أبي اسحاق الجبيناى عاملا بالسنة محبا لأهلها (٣٨) . كما كان أبو بكر يحيى بن خلفون الهواري المؤدب يعلم في كتابه أبناء الشيعة وكان من بينهم ابن لعامل مدينته الشيعي لكن أبا بكر ابن خلفون كان يلقنه مع سائر أبناء الشيعة الذين يتعلمون عليه حب السنة والعمل بها حتى أنهم شاركوه في ضرب مشرقي (شيعي) كان يسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما (٣٩) . كذلك فقد تلقى المعز بن باديس نفسه العلم

(٣٧) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٤٣ .

(٣٨) عياض : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٥١٦ .

(٣٩) المكي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٢٥ .

على يد معلم مالكي هو أبي الحسن علي بن أبي الرجال الذي قام بتأديب المعز على احترام شيوخ المالكية وتقديرهم والرغبة في استرضائهم (٤٠) .

لم يظن الشيعة الى حقيقة مشاعر الأمير المعز بن باديس ومدى تأثير معلمه أبي الحسن بن أبي الرجال فيه ، فقد كان أبو الحسن ينفذ خطته لغرس محبة السنة والمذهب المالكي في نفس المعز بن باديس سرا فلم يعلم بذلك الشيعة ولا أهل القيروان (٤١) .

كان بنو زيري منذ بداية حكمهم يطمحون الى الاستقلال بأفريقية والمغرب عن العبيديين ولكنهم كانوا ينتظرون اللحظة المواتية للإقدام على هذه الخطوة الخطيرة التي لم تكن تقتصر على الاستقلال المذهبي ، إذ كان بنو زيري يدركون أن نجاحهم في تحقيق رغبتهم الاستقلالية يتوقف على مساندة أهل المغرب لهم وخاصة أهل السنة الميغضين للعبيديين ، وإذا كان المنصور بن بلكين من أكثر الزيريين إدراكا لهذه الحقيقة ، فإن أباه بلكين - أول فائز زيري للعبيديين على أفريقية والمغرب - لم يكن أقل طموحا الى الاستقلال من ابنه ، وقد كشف بلكين بن زيري عن طموحه هذا حينما جاءه خبر وفاة المعز لدين الله العبيدي فأخذ يرقص فرسه ويهز رمحه في وجود رجاله يمينًا ويسارًا وهو يصيح حتى أدرك مرافقه أنه

(٤٠) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٧٣ ، ولقبال :

المرجع السابق ، ص ٥٩٦ .

(٤١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

- رأى استاذنا الدكتور حسن محمود في قول ابن عذارى « والشيعة لا يعلمون ذلك » ان الشيعة كانوا لا يعلمون عن ابن أبي الرجال انه سني المذهب فطوى النفس على المذهب الذي كان يعتنقه وأخفاه لكننا اذا اكملنا قراءة عبارة ابن عذارى « والشيعة لا يعلمون ذلك ولا أهل القيروان » فهمنا أن ابن عذارى لا يقصد اخفاء أبي الحسن لمذهبه الذي لا يعقل اخفائه عن أهل المذهبين وإنما يقصد اخفاء خطته سيما وأن الشيعة كانوا يعلمون اولادهم على معلم المالكية مثل الجيتاني والتهواري دون حاجة لاخفاء مذهبهم المالكي لأن الشيعة لم يغلطوا الى خطورة تأثير معلم المالكية على اولادهم .

وصل إليه خبرا سره وأغبطه فلما سأل عما يهجه قال « بعدت مصر من المغرب وقد صار المغرب والله في أيدينا الى دهر طويل » (٤٢) .

وقد سارت العلاقات بين العبيديين في مصر وتوابعهم الزيريين في بلاد المغرب بين تباعد وتقارب على نحو ما أسلفنا ، وكان العبيديون يعملون على تقليص سلطان بني زيري في المغرب وضمان تبعيتهم بتخريض كتامة عليهم بواسطة الدعاة كأبي الفهم الخراساني . لكن فشل العبيديين في أن يجعلوا من كتامة قوة مناوئة للزيريين برهن على عجزهم عن الحد من سيطرة بني زيري على بلاد المغرب أو تقليص نزعته الاستقلالية (٤٣) . لكن الفريقين ظلا يدارى كل منهما الآخر فيظهر الزيريون الولاء بارسال الهدايا وبالاستجابة لبعض أوامر العبيديين كطاعة باديس بن المنصور للمزني بالله في أمره بارسال القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم إلى مصر رغم استنفاء أهل القيروان من ذلك (٤٤) . ويظهر العبيديون الرضا عن طريق ارسال الخلع ومنح الألقاب حتى تولي المزني باديس بخلفيته السنية وتعليبه المالكى على يد معلمه أبي الحسن على بن أبي الرجال في وقت كان العبيديون في مصر يبرون فيه بفترة من فترات ضعفهم في خلافة المستنصر بالله العبيدى ويعجزون عن ردع أى حركة استقلالية أو القضاء عليها فأقدم المزني باديس على تحقيق حلم بني زيري في الاستقلال السياسى وتحقيق آماني أهل السنة في الانتصار على الشيعة والقضاء عليهم في بلاد المغرب .

تولى المزني باديس الامارة وهو غلام صغير لا يزيد عمره على ثمانى سنوات فقط ، ولعله استوزر لأول ولايته استاذة ومربية أبا الحسن على بن أبي الرجال فقد ذكر ابن عذارى أنه « ربي في حجر وزيره أبي الحسن بن أبي الرجال » (٤٥) . ولعل صغر سن المزني وتقديره لاستاذة قد جعله يترك له تصريف أمور الدولة فكان وجود أبي الحسن بن أبي الرجال في هذه المكانة الرفيعة مما شجع أهل السنة وأعلى من روحهم

(٤٢) الفريزى تعاضل الحنقا ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(٤٣) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٥٩٢ .

(٤٤) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

(٤٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .



سيما وأنه « كانت أذن المعز بن باديس صاغية الى مذاهب أهل السنة وربما كانت شواهدا تظهر عليه » (٤٦) .

وكان زعيم أهل السنة بالقيروان يومئذ أبو علي بن خلدون شديدا على الروافض مغريا بهم حتى ضرب به المثل في ذلك على نحو ما أسلفنا ، فتحفز أهل القيروان للسير على خطى حماد بن بلكين واقتناء أثر أهل تونس في الفتك بالشيعة والقضاء عليهم . وجاءت اللحظة المواتية في المحرم سنة ٤٠٧ هـ لأول ولاية المعز بن باديس يوم « خرج المعز في بعض الأعياد » (٤٧) الى المصلى في زنته وحشوده وهو غلام فكبا به فرسه فقال عند ذلك « أبو بكر وعمر » فسمعه الشيعة التي كانت في عسكره فيأدروا اليه ليقتلوه فجاء عبيده ورجاله ومن كان يكتنم السنة من أهل القيروان ووضع السيف في الشيعة فقتل منهم ما يتيف على الثلاثة آلاف فسمى ذلك الموضع بركة الدم » (٤٨) .

وكان بمدينة القيروان قوم بحومة تعرف بدارب المعلى يسترون بمذهب الشيعة من شرار الناس فانصرفت العامة اليهم من فورهم فقتلوا منهم خلقا كثير رجالا ونساء ، وانسطلت أيدي العامة على الشيعة واتهمتهم دورهم وأموالهم وتفاقم الأمر وانتهى الى البلدان الكبرى في أفريقية والمغرب فقتل منهم خلق كثير وقتل من لم يعرف مذهبهم بالشبهة ، وحتى من لجأ الى المسجد ممن بقى منهم في المهديّة فقد قتلوا فيه عن آخرهم رجالا ونساء (٤٩) . وأظهر أهل السنة معتقداتهم وشعارهم وقطعوا من الأذان حي على خير العبل (٥٠) .

(٤٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ص ٣٦ .

(٤٧) يذكر ابن خلدون ان المعز خرج لبعض مذاهبه بينما يذكر ابن عذارى انه خرج في بعض الأعياد الى المصلى ، لكن عياض يذكر انه خرج يوم الجمعة منتصف المحرم يوم وصول المعز الى القيروان ، فلمل ابن عذارى بقوله بعض الأعياد يوم الجمعة المشار اليه وللجمعة حفاوة عند المسلمين أو لعله يقصد بالعيد الاحتفال بتنصيب المعز بن باديس .

(٤٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٧٤ .

(٤٩) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٦٨ والتويرى : المصدر السابق ، ج ٢٤ ص ٢٠١ .

(٥٠) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ص ٦٣ .



وزيد القاضي عياض الأحداث توضيحاً فيقول « ولما قتلت الراقضة ستة سبع وأربعمائة وكان ابتداء ذلك يوم الجمعة منتصف محرم ففتحتها وهو يوم كان وصول المعز بن باديس إلى القيروان فيه بعد موت أبيه واستباح ولايته فقتلت العامة الراقضة أبرح قتل بالقيروان وحرقوهم وانتهبوا أموالهم وهدموا دورهم وقتلوا نساءهم وصبياتهم وجروهم بالأرجل ، وقيل أن عامل القيروان منصور بن رشيح كان يمشى كأنه يسكن الناس وهو يشير على العامة وأفتق الأمر فلم يقدر السلطان على ضبطه وولى عاملاً آخر فتعذر عليه سده وخرج الأمر عن القيروان إلى المهدي وسائر بلادهم فقتلوا حيث وجدوا وأحرقوا بالنار ، فلم يترك أحدهم بदन أفريقية وأعمالها إلا من اختفى ، ولجأت الراقضة إلى مساجد البادية فقتلوا فيها أبرح قتل وهدموا دار الامارة بالمنصورية، وتمدت العامة ذلك إلى جماعة من أهل السنة غيرهم فلقد حكي أن العامة جاءت تتعلق برجل منهم اتهموه برأيه فمروا به على شيخ من العامة فسألهم عن تعلقهم به فقالوا نسير به إلى القبة أبي علي بن خلدون فنأخذ فيه بما يأمرنا به فقال لهم الشيخ العامي لم لا تقتلوه الآن فإن كان رافضياً أصبتهم وإن كان سنياً عجلتم بروحه إلى الجنة من الآن ... فانتقم الله منهم على أيدي عامة المسلمين وقتلوهم كل قتل » (٥١) .

لم يكن المعز بن باديس - أو من حوله من الشيعة - على استعداد لتقبل هذا التخيير المفاجيء أو تلك الثورة العارمة ، وأثبتت الأحداث التالية أن الشيعة لم تخسر كل سلطاتها فقد أثاروا رعب المعز من ثورة العامة حتى دبر قتل عقلها المفكر وزعيم أهل السنة وقتنذ أبي علي بن خلدون « فلما كان يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة أتى عامل القيروان ومعه خيل ورجال فتقدم إلى مسجد أبي علي بعد صلاة العصر وهو جالس عنده جماعة فطلق بعض رجالاته إلى المسجد فقتلوا أبا محمد بن العرب جليسه وهم يظنون أنه أبا علي ، وخرجوا فلما عرفوا أنه ليس إياه رجعوا فقتلوا أبا علي ... وارتجت المدينة وثارت الشيعة من نواحي القيروان وتمدت إلى المنصورية فنهبت الحوانيت وألقيت النار في الأسواق ونهبت أموال التجار . وأراد العامل

استرضاء الناس فجاء برجلين وقال انهما اللذان قتلاه فقتلهما ودفن أبو  
علي بالليل» (٥٢) .

وليس بعيد أن نجد الدواعي السياسية وراء تشدد المعز بن باديس  
مع أهل السنة وقتل زعيمهم أبي علي بن خلدون رغم ميول المعز السنة  
فقد كانت الخلافات بينه وبين حماد بن بلكين وقتئذ على أشدها فأراد  
المعز بموالاة العبيدين تعضيد موقفه في مواجهة حماد الذي كان قد  
أقدم على خلع طاعة العبيدين وقتل من يتولاه من الشيعة على نحو  
ما أسلفنا ، فحرص المعز بن باديس على اظهار ولائه للعبيدين بالاعتذار  
عما أحدثته العامة بالشيعة واستمرار الدعوة للتشيع ومهاداة العبيدين (٥٣)  
ولعل قتل أبي علي بن خلدون كان إحدى الهدايا التي قدمها المعز بن  
باديس للعبيدين .

وعلى الرغم من الخسارة الفادحة التي منى بها أهل السنة بمقتل  
زعيمهم والعقل المدبر للانتفاضة الفقيه أبي علي بن خلدون فانهم خرجوا  
من انتفاضة عام ٤٠٧ هـ أعلى كلمة وأشد قوة بينما قل شأن الشيعة  
وهان أمرهم عن ذي قبل .

ولعل أخطر ما نجم عن قتل أبي علي بن خلدون هو افتقار الثقة  
المتبادل بين أهل السنة والمعز بن باديس ، فقد تشكك أهل القيروان في  
مالكية المعز واعتبروه طاغية وازوروا عنه حتى ظن أن المالكية يكفرونه  
فأرسل من يسأل الفقيه أيا بكر عبد الرحمن الخولاني : هل المعز عندك  
مسلم أو كافر ، فقال أبو بكر الخولاني لمن سأله قل له : تتبع العلماء  
هذا التبع وتستقصي عليهم ، والله لئن لم تركني لأعرضنك على الله عز  
وجل ، فلم يعرض له المعز بعد ذلك بشيء (٥٤) . وقاطع الفقهاء المعز ورفضوا  
هداياهم مثلما فعل الفقيه المالكي أبو بكر عتيق السوسي الذي بعث إليه  
المعز مالا ليشتري به دارا فرد أبو بكر مال المعز إليه (٥٥) .

(٥٢) عياض : المصدر السابق ، ج ١ ص ٦٢ .

(٥٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ص ٦٣ .

(٥٤) الدبائغ : معالم الايمان ، ج ٣ ص ١٦٨ .

(٥٥) نفس المصدر ، ج ٣ ص ١٨١ .

وعلى الجانب الآخر ، فقد تشكك المعز أيضاً في موقف الفقهاء منه وخشيهم على نفسه ، فبا ان علم باجتماع الناس حول الفقيه محمد بن عبد الصمد وكثرة أتباعه حتى حذر منه وخاف منه على سلطانه فدبر الخلاص منه (٥٦) .

عكست الثقة المفقودة بين المعز بن باديس وأهل السنة ثقلها الثقيل على الصراع المذهبي في بلاد المغرب خاصة وأن المعز بن باديس كان يومئذ يقدم مصلحته السياسية على ميوله المذهبية فتجبد الى حين التحول الفرسى لبني زيري عن المذهب الشيعي لكن انتفاضة أهل السنة سنة ٤٠٧ هـ كانت فاتحة سلسلة من الانتفاضات التي توالى في اماره المعز ابن باديس ففي سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م وقعت بالرافضة مقتلة باغاية كان ممن قتل فيها ميمون بن عبد الله الهواري الذي كان من مسالة تونس متشيعا شديد الصلف مباينا للخاصة والعامة في ذلك (٥٧) .

وفي سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م أيضاً خرجت طائفة من الشيعة نحو مائتي فارس بأسرهم يريدون المهدية للركوب منها الى صقلية وخرجت معهم الخيل لحراستهم ، فلما وصلوا الى قرية كامل وباتوا بها تنافر أهل المنازل عليهم فقتلوهم واتهكوا حرمان نساءهم (٥٨) وفي سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م وقعت في القيروان بين الجند والعامة فتنة قتل فيها من العامة نحو المائتين (٥٩) .

ويبدو أن تصالح المعز بن باديس مع حماد بن بلكين قد أوجد حلا لمشكلة المعز السياسية فلم يعد في احتياج لتعزيد العبيدين الذين انشغلوا وقتئذ بمشاكلهم الداخلية والأحداث في جبهتهم الشرقية عن الاهتمام بشئون المغرب مما فت في عضد الشيعة بالمغرب ، كما أن اكثار المعز من العبيد والاعتماد عليهم أضعف من شأن شيعة صنهاجة كما ضعف

(٥٦) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٥٧) القيرواني : النموذج الزمان ، ص ٤١٩ .

(٥٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

والفردبيل : الفرق الاسلامية ص ٢٠٨ .

(٥٩) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

من قبل شأن شيعة كتامة منذ وقت طويل ، فضعفت بقايا الشيعة في بلاد المغرب في الوقت الذي اشتد فيه ساعد أهل السنة (٦٠) وبدأ المعز يستجيب لميوله السننية بعد أن ساءه أن ينهم في مالكيته وأن يزور عنه فقهاء المالكية . ولعله أحس بخطورة عداء المالكية على مستقبله السياسي خاصة وأن الاسلام السنني لم يكن قاصرا على القيروان وغيرها من الحواضر وإنما كان قريبا من قلوب كل سكان الأرياف ان لم يكن في سويتها (٦١) فكان الطريق ممهدا أمام التحولات المذهبية والسياسية الرسمية التي فكر المعز بن باديس في الاقدام عليها .

لكن المعز بن باديس كان ينتهج أسلوب التدرج في هذه التحولات حتى يضمن نجاحها واحتواء ردود الفعل الداخلية والخارجية في وقتها . قبل استكمالها ، لذلك أقسح المعز المجال في أروقة القيروان لتدور فيها مناقشات حول القضاء على الشيعة ، وكان المعز يستطلع آراء الفقهاء المالكية وانطباعاتهم حول سياسته التدريجية ، فكلف من يسأل كل من أبي بكر الخولاني وأبي عمران الفاسي - وهما كبيرا مشيخة القيروان حينئذ - عن صحة الصلاة بشباب عليها طراز الشيعة فأجاب الخولاني في شدة « هذا سؤال أحرق أخرق قليل المعرفة ، وأجاب الفاسي في هدوء « انما يجب على من بسط الله يده أن يمنع ذلك » فجمع المعز بين الفقيهين في مجلسه ، وأوضح الخولاني أن اجابته فيها معنى التنبيه على بقاء مظاهر أخطر من ذلك تعكس نفوذ العبيدين منها بقاء السكة والنود على ما هي عليه ، ولكن المعز أوضح بأن السكة أبقى لصلحة الحجاج والمسافرين وأن ذلك لا ينفي ميله الى السنة الذي يدل عليه أنه أمر بقتل الشيعة واضطهادهم وتأييد السنة لكن أيا عمران الفاسي أريد كلام الخولاني في ضرورة محو بقية مظاهر التشيع وسأل الأمير لم لم يكتب بمنع ذلك ؟ (٦٢)

يدو أن هذا النقاش قد حدث قبل وفاة أبي عمران الفاسي سنة ٤٣٠ هـ . وقبل اضطهاد للشيعة بموافقة الأمير المعز كما يستبين من حديثه

(٦٠) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٩٢ - ١٠٠ .

(٦١) الفرديل : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٦٢) موسى لقبال : المرجع السابق ص ٥٩٩ .

لكن المعز كان يميل الى التريث في قطع علاقته بالعباسيين أو لعله كان مترددا خشية العواقب . غير أن ضعف المستنصر بالله العبيدي من ناحية ورغبة المعز في تدعيم مكانته بين أهل السنة من ناحية أخرى جعله يظهر في سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م الميل للدولة العباسية وورد عليه في هذا العام عهد من القائم بأمر الله العباس (٦٣) دون أن يقطع علاقته بالعباسيين . ويبدو أن هذه الخطوة قد سبقها مراسلات بينه وبين العباسيين ، ومع ذلك لم يعلن المعز بن باديس عن قطع الخطبة لصالح مصر وتحويلها للعباسيين إلا في سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، وأحرقت بنود العبيديين وأمر المعز بأن يدعى على منابر أفريقية للعباس بن عبد المطلب والخلفاء الراشدين الأربعة ولبقية الصحابة العشرة الذين كانوا محل لعنة الشيعة العبيدية (٦٤) وأمر الخطيب بسب بنى عبيد فقال « اللهم والى الفسقة الكفار المارقين الفجار أعداء الدين وأنصار الشيطان المخالفين لأمرك والناقضين لعهدك المتبعين غير سبيلك المبدين لكتاك » اللهم والعنهم لعنا وببلا واخزهم خزيا عريضا طويلا ، اللهم وأن سيدنا أبا تميم المعز بن باديس بن المنصور القائم لديك والناصر لسنة نبيك والرافع

(٦٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .

والفرديل : المرجع السابق ص ٢٠٩ .

ويجعل ابن أبي دبنار ( المؤنس ص ٨٣ ) هذه الخطوة سنة ٤٣٥ هـ ، بينما يجعل النويرى ( ج ٢٤ ص ٢٠٩ ) بدء الدعوة للعباسيين في سنة ٤٣٥ هـ ، ويقدم كل من ابن ميسر ( أخبار مصر ج ٢ ص ٥ ) والعيني ( عقد الجمان ، مخطوط وقف العينية ص ٢٤ ) تفصيلا لتلك الخطوة هو أن المعز بن باديس أرسل رسولا الى القائم بالله العباسي يخبره بتحويله الى موالاة العباسيين فيحث اليه القائم بأمر الله العباسي رسولا يدعى أبو غالب الشيرازي ومعه العهد بالولاية واللواء الأسود والخلع فوقع أبو غالب في أيدي قسطنطين صاحب الروم فأرسله الى المستنصر فقام المستنصر بتجريبه وأحرق العهد واللواء والخلع في ساحة بين القصرين بينما جمع القائم في بغداد الأشراف والقضاة والفقهاء والمقدمين وكتبوا محضرا بالظعن في نسب المستنصر .

(٦٤) ابن عذارى : المصدر السابق ج ١ ص ٢٧٧ وموسى لقبال :

المرجع السابق ص ٦٠٣ .

للواء أوليائك يقول مصدقا لكتابك وتابعا لأمرك مدافعا لمن غير الدين  
وسلك غير سبيل الراشدين المؤمنين « يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون » ،  
وأمر الأمير أبو تميم المعز بن باديس للخطيب أن يسبهم على منبر  
القيروان بأشنع من هذا السب فلما كان في الجمعة الأخرى أبلغ في ذلك  
بما فيه شفاء لنفوس المؤمنين « (٦٥) » .

أرضى هذا السب للشيعة ضماير أهل السنة وشفى قلوبهم ووافق  
مذهبهم في تكفير الشيعة فقد كانوا لا يقبلون القول بغير ذلك حتى أن  
الفقيه أبا إسحاق التونسي لما أفتى بتصنيفهم إلى صنفين وقال أنهم على  
ضريين أحدهما كافر مباح الدم والآخر يقول بتفضيل علي بن أبي طالب  
على سائر الصحابة ومؤلاؤه لا يلزمهم الكفر ولا تبطل تكاثرهم ، فلم  
تعب هذه الفتوى غيره من فقهاء المالكية ، يقول عياض « وشاعت فتواه  
فأنكرها فقهاء إفريقية بالقيروان وغيرها وكانوا من التشدد على هذه الفئة  
المارقة وكل من يتعلق بهم حيث كانوا والعامة أشد من ذلك لاسيما  
بظهورهم عليهم وبغضبهم فيهم وأرسلوا إلى أبي إسحاق في معاودة النظر وأن  
يرجع فأبى أباء شديدا \* \* \* . وافتتحت القصة إلى السلطان المعز فجتمعهم بعض  
الجمع عنده في المقصورة وناظره فأظهر الانابة إلى قولهم والرجوع إليهم  
ثم خلا بأصحابه فأنكروا عليه رجوعه عن قولهم وأنه الحق الذي لا يجب  
سواه \* . وكان رأى الفقهاء سد هذا الباب للعامة على الكفرة وأن يبنى  
عبيد زنادقة وأن الداخل في دعوتهم وإن لم يقل بقولهم كافر لتوليهم الكفرة ،  
فأظهر أبو إسحاق التبادي على قوله وانكار الرجوع عنه ومشي الناس في  
هذا بعضهم إلى بعض وامتزج منه القيام لله عز وجل في ذلك بالشهوة من  
العصية للعبة ، واجتمعت الفقهاء في ذلك واتهم مكاتبات علماء الجهات  
بانكار ذلك وأن المنتقمين بهذه المقالة الخبيثة من المصريين والشاميين قد  
استحسنوا جوابه وهضوا ليفتوا الناس به وسر به من في قلبه مرض واحتج  
به فأطلق الفقهاء الفتيا عليه بمقاتته هذه بالتضليل والتبذير وقال  
فيها الشعراء قصائد كثيرة تضمنت إيذاء أبي إسحاق والتبرؤ منه وأنشدها  
الشعراء والطلبة عند الفقهاء غيره في دورهم وجموعهم وأطلقوا فيها عليه ،  
وأمر السلطان بسجل أنشئ في القصة من التبرؤ من قوله وأمر بقرائه يوم

(٦٥) ابن عذاري : المصدر السابق ج ١ ص ٢٧٨ والمعنى : المصدر

السابق ص ٢٨ .

جمعة على المنبر قبل الصلاة مستهل صفر عام ثمان وثلاثين (٦٦) ثم أمر السلطان بإحضاره في ذلك اليوم أثر الصلاة وأحضر معه الفقيه الليدي في بقية مشيخة الفقهاء وكبارهم والفقيه أبا الحسن بن المغربي والقاضي أبا بكر بن محمد بن أبي زيد خاصة من بين سائر الفقهاء ، وكان هذان الفقهاء من أشد الناس وحكم في المسألة الليدي حكم بأن يقر بالتوبة على المنبر بمشهد جميع الناس وأن يقول كنت ضالاً قبيها رأيته ونطقت به ثم رجعت عن ذلك إلى مذهب الجماعة فكانوا على ذلك ولكنه استعظم ذلك على المنبر وقال ها أنا أقول هذا بينكم فساعدوه وقمعوا منه يقول ذلك بحضرة السلطان والجماعة وأن يقوله في مجلسه وبشيعة عن نفسه فافترقوا على ذلك وجعلت على الشيخ من ذلك غضاؤه فخرج في صبيحة يومه متوجها للمنستير للرباط مستكناً لفضيته ومنسيا لها فتغيب شخصه » (٦٧) .

ثم تلاحت الخطوات لاستكمال الاتصال عن العبيدين ، ففي شعبان سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م أمر المعز بن باديس بتعديل السكة فنقش على أحد وجهيها « ومن يتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » ونقش على الوجه الآخر « لا اله الا الله محمد رسول الله » ، وضرب منها دنانير كثيرة وأمر بسك ما عنده من الدنانير التي عليها أسماء بنى عبيد فسبكت ، وكانت أموالاً عظيمة ثم بث في الناس قطع سكتهم وزوال أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله وقد كان قطع أسماءهم من الرايات والبنود (٦٨) .

وفي شوال من نفس سنة ٤٤١ هـ أمر أبو تميم المعز بن باديس بأن يتأذى انه من تصرف بهال عليه أسماء بنى عبيد فآلته العقوبة الشديدة وأحدث هذا الأمر اضطراباً في الأحوال المالية فضاقت الحال بالفقراء والضعفاء وغلت الاسعار بالقيروان (٦٩) .

(٦٦) يسبق هذا التاريخ الذي ذكره عياض التاريخ الذي حددته ابن عذارى لقطع المعز بن باديس الخطبة للعبيدين وسبهم على المنابر في سنة ٤٤٠ هـ .

(٦٧) ترتيب المدارك : ج ٤ ، ص ٧٦٧ - ٧٦٨ .

(٦٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .

(٦٩) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .



ثم جاءت في سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م الخطوة الأخيرة في الانفصال الرسمي عن العبيدين ، ففي جمادى الثانية من هذه السنة أمر المعز بن باديس بإحضار جماعة من الصباغين وأخرج لهم ثيابا بيضا من فندق الكتان وأمرهم أن يصبغوها سودا فصبغوها بأحلك السواد وجمع الخياطين فقطعوها أثوابا وكساهم ذلك السواد ونزلوا بأجمعهم وركب السلطان (٢٠) يدهم حتى وصل إلى جامع القيروان ، ثم صعد الخطيب المنبر وخطب خطبة أتى فيها على جميع الأمر بأجل لفظ وأحسن معنى ثم دعا لأبي جعفر عبد الله القائم بأمر الله العباسي ودعا للسلطان المعز بن باديس ولولده أبي الظاهر تميم ولي عهده من بعده ثم أخرى بنى عبيد الشيعة ولعنهم (٢١) .

ولما كان المغرب الأقصى قد خرج على التشيع فعليا منذ انتقال العبيدين إلى مصر وأصبحت اليد الطولى للقوى المعادية للعبيدين المواليين للأمويين في الأندلس ، وكان المغرب الأوسط قد تخلص من الشيعة حين خرج حصاد بن بككين على طاعة العبيدين في سنة ٤٠٥ هـ ودعوته لآل العباس (٢٢) ، أما طرابلس فقد قام أهلها بقتل الشيعة عندهم عقب مذبحتهم في القيروان سنة ٤٠٧ هـ وكان المحرض لهم على قتل الشيعة في طرابلس التقيي المالكي أبو الحسن علي بن محمد بن النمر الطرابلسي الذي قطع الأذان بحى على العمل وأذن بنفسه في ذلك اليوم بأذان أهل السنة وأعاد للناس بطرابلس صلاة القيام بعد أن كان بنو عبيد قد محوها ، وقدم أبا مسلم موسى بن مرج فصلاها بالجامع الأعظم بطرابلس لأول مرة فلم تكن قد صليت فيه من

---

(٢٠) يبدو أن المعز بن باديس اتخذ لقب السلطان دلالة على تحوله إلى المذهب السني ، وهذا يعطى فهما جديدا للقب السلطان الذي كان يتخذه بعض حكام المسلمين المستقلين المواليين لاسميا للعباسيين .  
( انظر كتابنا : دراسات في نظم الحكم الإسلامية ، الفصل الخاص بنشأة السلطنة ) .

(٢١) ابن عذارى : المصدر السابق ج ١ ، ص ٢٨ وموسى القبال : المرجع السابق ، ص ٦٠٣ وحسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقية ، ج ١ ص ١٧٣ .

(٢٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٧١ .



قبل لاثه من بناء العبيدين (٧٣) . وأطلق الفقيه ابن التمر الطرابلسي للناس صلاة الضحى جهارا ولم يكن أحد من الناس يصلها أيام بنى عبيد الا مستخفيا فان ظهروا عليه قتلوه (٧٤) .

أما برقة - وقلرا لقريها من مصر - فقد تأخرت في خلع طاعة العبيدين حتى سنة ٤٤٣ هـ ، ففى هذه السنة دعا أهل برقة للقائم بأمر الله العباسى ولعنوا العبيدين وأحرقوا المنابر التى كان يدعى لهم عليها وأحرقوا راياتهم وثبرءوا منهم ووصل كتاب من الأمير جبارة بن مختار العربى من برقة بالسبع والطاعة للمعز بن باديس (٧٥) .

على هذا النحو عم الخروج على طاعة العبيدين بلاد المغرب كله من برقة حتى المحيط ، وعلى حد قد الدباغ ، قام كل شيخ على من يبلده من غير أن يكون هناك اتفاق منهم على ذلك (٧٦) وبذلك تم الانفصال عن العبيدين سياسياً ومذهبياً ، رسمياً وشعبياً ، واضطر التشيع عن بلاد المغرب الا فى بعض الجيوب الصغيرة المنعزلة أو بعض من يخفون تشيعهم ولم يعد للتشيع أى سلطان مذهبى أو سياسى على الاملاق وعاد المغرب سنيا قليا وقالبا من الناحية الشعبية والناحية الرسمية على حد سواء .

(٧٣) أبو العزم : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(٧٤) نفس المرجع ، ص ٢٢٠ .

(٧٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٨٨ .

وموسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٦٠٣ .

(٧٦) معالم الايمان ، ج ٣ ، ص ص ١٥٤ - ١٥٥ .

مصادر ومراجع البحث

(١) مصادر :

- ١ - ابن الأبار : أبو عبد الله محمد القضاي ،  
- الحلة السراء ، ج ١ تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ١ - ابن أبي ذرع : أبو الحسن بن عبد الله الفاسي .  
- الأندلس المطرب يروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة  
فاس ، الرباط ١٩٣٦ .
- ٢ - ابن الأثير : علي بن أحمد بن أبي الكرم :  
- الكامل في التاريخ ، بيروت / ١٩٦٥ .
- ٤ - أندريس : الداعي المطلق الإسماعيلي عماد الدين :  
- عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار ، سبع ٤ ،  
سبع ٥ ، تحقيق مصطفى غالب ، بيروت / ١٩٧٣ ، ١٩٧٥ .  
- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، سبع ٥ ومض سبع ٦ ، بتحقيق  
محمد البعلوي .
- ٥ - الأشعري : أبو الحسن علي بن اسماعيل :  
- مقالات الإسلاميين ، نشر علوموت ريتز / الطبعة الثالثة .
- ٦ - الاصطخري : إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي :  
- المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحيني ، القاهرة / ١٩٦١ .
- ٧ - الأصفهاني :  
- مقاتل الطالبين ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة / ١٩٤٩ .
- ٨ - باعلوي : محمد بن أبي بكر العلوي الحسيني :  
- المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي ، القاهرة /  
١٩٨٢ .
- ٩ - ابن بسام : أبو الحسن علي الششتري :  
- الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق أحسان عباس ،  
بيروت / ١٩٧٩ .
- ١٠ - البغدادي : عبد القادر بن طاهر :  
- الفرق بين الفرق ، القاهرة / ١٩١٠ ، بيروت / ١٩٨٨ .

١١- البكري : ابو عبيد عبد الله بن عبد المزي :  
- المغرب في ذكر افريقية والمغرب ، نشر دي سلان ، الجزائر /  
١٨٥٧ .

١٢- البهروجي : الداعي حسن بن نوح الهندي :  
- كتاب الازهار ومجمع الانوار الملقطة من بساتين الاسرار مجامع  
الفواكه الروحانية الثمار ، ج ١ ، تحقيق عادل العوا ( ضمن  
منتخبات اسماعيلية ) ، دمشق / ١٩٥٨ .

١٣- ابن تقي بردي : جمال الدين ابو المحاسن :  
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة / ١٩٢٩ .

١٤- الجزائلي :  
- زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، الجزائر / ١٩٢٢ .

١٥- الجوزي : ابو علي منصور المزي :  
- سيرة الاستاذ جوذر ، تحقيق محمد كامل حسين ، ومحمد  
عبد الهادي شعيرة ، القاهرة / ١٩٥٤ .

١٦- ابن الجوزي :  
- المنتظم ، ج ٧ ، حيدر آباد الدكن / ١٣٥٨ هـ .

١٧- جعفر بن منصور اليمن :  
- اسرار النطقاء ، ( ضمن المنتخب من بعض كتب الاسماعيلية ) ،  
نشر ايفانوف ، كلكت / ١٩٤٢ .

١٨- جعفر الحاجب :  
- سيرة جعفر الحاجب .

١٩- ابن حزم :  
- جمهرة انساب العرب .

٢٠- الحسن بن علي :  
- عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب ، بمباي / ١٣١٨ هـ .

- ٢١ - ابن حسين : الشريف عبد الرحمن بن محمد :  
- شمس الظهيرة ، الضاحية الميرة في نسب اهل البيت من بني  
ملوى وفرع فاطمة الزهراء وامير المؤمنين على رضى الله عنه ،  
تحقيق النسابة محمد ضياء شهاب ، جدة / ١٩٨٤ .
- ٢٢ - الحسينى : الشريف تاج الدين تقييى حلب :  
- غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ، تحقيق  
محمد صادق بحر العلوم ، النجف الاشرف / ١٩٦٢ .
- ٢٣ - ابن حماد : ابو عبد الله محمد بن على الصنهاجى :  
- اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، الرياض / ١٩٨١ .
- ٢٤ - الحمادى : محمد بن مالك بن ابي الفضائل اليماني :  
- كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة ، تحقيق محمد زاهد  
الكوتري ، القاهرة / ١٩٥٥ .
- ٢٥ - الحميرى : محمد بن عبد المنعم :  
- الروض المطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت /  
١٩٧٥ .
- ٢٦ - ابن حوقل : ابو القاسم التنصيبى :  
- صورة الارض ، لندن / ١٩٧٩ .
- ٢٧ - الخشنى : محمد بن حارث بن اسد :  
- طبقات علماء افريقية ، تحقيق محمد بن شهاب ، بيروت / ب.ت
- ٢٨ - خطاب بن الحسن :  
- غاية المواليذ ، ( ضمن منتخبات اسماعيلية ) ، نشر ايقانوف ،  
لكنزا / ١٩٤٢ .
- ٢٩ - ابن الخطيب :  
- اعمال الاعلام فيمن يوج قبل الاقلام من ملوك الاسلام ، القسم  
الثالث ، الدار البيضاء / ١٩٦٤ .
- ٣٠ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد :  
- المعبر وديوان المبتدا والخبر في اخبار العرب والعجم والبربر ومن  
عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، بيروت / ١٩٧١ .

- ٣١- **الدباغ : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري :**  
- معالم الايمان في معرفة اهل القيوان ، ج ١ ، تحقيق ابراهيم  
شيوخ ومحمد الاحمدى أبو النور ، ج ٢ ، تحقيق محمد  
الاحمدى أبو النور ومحمد ماضور ، القاهرة/ ١٩٦٨ .
- ٣٢- **الداوودي : ابن ابيك :**  
الدرة المضية في تاريخ الدولة الفاطمية ، الجزء السادس من كنز  
الدرر وجامع الفزر ، تحقيق صلاح الدين المنجد القاهرة/ ١٩٦١ م .
- ٣٣- **الزازي :**  
امتنادات فرق المسلمين والمشرىين ، القاهرة/ ١٩٧٨ .
- ٣٤- **الزصاص : احمد بن الحسن :**  
مصباح العلوم في معرفة الحى القويم ، نشر محمد عبد السلام  
كناى ، بيروت/ ١٩٧١ .
- ٣٥- **الرقيق القيروانى :**  
تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق المنجى الكعبى ، تونس/ ١٩٦٨ .
- ٣٦- **أبو زكريا : يحيى بن أبى بكر :**  
سير الائمة وأخبارهم ، تحقيق اسماعيل العربى ، الجزائر/ ١٩٧٩ .
- ٣٧- **السجلات المستنصرية :**  
تحقيق عبد المنعم ماجد ، القاهرة/ ١٩٥٤ .
- ٣٨- **السراج : محمد بن محمد الاندلسى :**  
الحلل المستدسية في الاخبار التونسية ،  
تحقيق محمد الحبيب الهيلة بيروت/ ١٩٨٥ .
- ٣٩- **ابن سعيد الاندلسى :**  
- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ،  
تحقيق حسين نصار القاهرة/ ١٩٧٠ .  
- الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربى ، بيروت/ ١٩٧٠ .
- ٤١- **الشهرستانى : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم احمد :**  
الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، القاهرة/ ١٩٦٨ .
- ٤٠- **السلوى : احمد بن عى الفاصم :**  
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، الدار البيضاء/ ١٩٥٤ .  
( م ١٢ - التشيع في بلاد المغرب )

- ٤٢- الشيرازي : صدر الدين علي خان المدني :  
الدرجات الزينية في طبقات الشيعة ، النجف الاشرف/ ١٩٦٢ .
- ٤٣- الشيرازي : هبة الله المؤيد في الدين :  
المجالس المؤيدية ، تحقيق مصطفى غالب ، بيروت/ب.ت .
- ٤٤- الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير :  
تاريخ الرسل والملوك .  
- تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .
- ٤٥- ابن ظافر : جمال الدين علي  
الخيار الدول المنقطعة ، تحقيق اندريه فريد ، القاهرة/ ١٩٧٢ .
- ٤٦- عطا ملك الجويني :  
تاريخ جهاتكشاي ( الجزء الملحق بكتاب الاسماعيليه في ايران لحمد  
السعيد جمال الدين ) .
- ٤٧- ابن عذاري المراكشي :  
البيان المغرب في اخبار الاندلس المغرب ، ج ١ ،  
تحقيق كولان وليفي بروكسسال ، بيروت/ ١٩٨٠ .
- ٤٨- عريب بن سعد :  
تكملة تاريخ الطبري .
- ٤٩- ابو العرب : محمد بن احمد بن تميم القيرواني :  
طبقات علماء افريقية وتونس ،  
تحقيق علي الشماوي ونعيم اليافي تونس/ ١٩٦٨ .  
- ونسخة اخرى نشرها محمد بن ثناب ضمن طبقات علماء افريقية  
بيروت/ب.ت .
- ٥٠- ابن عطية : القاضي ابو محمد عبد الحق المجاري الاندلسي :  
فهرس ابن عطية ، تحقيق محمد ابو الاجفان ومحمد الزهراني  
بيروت / ١٩٨٢ .
- ٥١- العلوي : يحيى بن حمزة ( من ائمة الزيدية ) :  
الانعام لافئدة الباطنية العظام ،  
تحقيق فيصل بدير عون الاسكندرية/ ١٩٧١ .

- ٥٢- عياض : القاضي عياض بن موسى السبتي :  
ترتيب المدارك وتقريب المسالك ،  
تحقيق أحمد بكر محمود بيروت/ب.ت .  
وطبعة أخرى ، تحقيق محمد بن شريفه ، المغرب/ب.ت .
- ٥٣- الفزالي : الإمام أبو حامد :  
فضائح الباطنية وفضائل المستنصرية ،  
تحقيق عبد الرحمن بدوي القاهرة/ ١٩٦٤ .
- ٥٤- أبو الفدا :  
تاريخ أبي الفدا .
- ٥٥- أبو فراس : الداعي شهاب الدين (إسماعيل فزاري) :  
كتاب الإفصاح ، تحقيق عارف تامر ، بيروت/ ١٩٦٥ .
- ٥٦- ابن فرحون : القاضي برهان الدين إبراهيم المالكي :  
الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،  
تحقيق محمد الإخمدى أبو النور ، القاهرة/ ١٩٧٤ .
- ٥٧- ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى :  
مسالك الإبصار في ممالك الأمصار .  
- السفر الخامس ، مصوره عن خطية رقم ٣٤١٨ آيا صوفيا السلطانية  
استانبول .  
- السفر السادس مصوره عن خطية رقم ٢٠٣٧ لائى السليمانية .  
استانبول ( مصورات معهد العلوم العربية والإسلامية ،  
فرانكفورت/ ١٩٨٨ ) .
- ٥٨- ابن القاضي : أحمد الكناسي :  
جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس ، الرباط/ ١٩٧٤ .
- ٥٩- ابن قرة : ثابت بن سنان الصائغ :  
تاريخ أخبار القرامطة ، تحقيق سهيل زكار ، بيروت/ ١٩٧١ .
- ٦٠- المالكي :  
رياض النفوس .  
- ج ١ تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة/ ١٩٥١ .  
- طبعة كاملة بتحقيق بشير البكوش ، بيروت/ ١٩٨٣ .

- ٦١- مجهول : ( داعي اسماعيل )  
كتاب التراتيب ( ضمن اخبار القرامطة ) ،  
تحقيق سبيل زكار - دمشق / ١٩٨٢ .
- ٦٢- مجهول :  
الاستبصار في عجائب الامصار ،  
تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية / ١٩٨٤ .
- ٦٣- مجهول :  
رسالة في نسب الخلفاء الفاطميين ، نشرها حسين بن فضل الله  
الهداني .
- ٦٤- المخزومي : الشريف عبد الله :  
صاحح الاخبار في نسب السادة الفاطمية الاخبار ، القاهرة / ١٣٠٦ هـ
- ٦٥- المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البصري :  
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، لبنان / ١٩٠٦ .
- ٦٦- المقرئزي : تقي الدين :  
- امتداد الحق باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء .  
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .  
- المقنى الكبير ( تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية ، بتحقيق  
محمد الجملوي ) بيروت / ١٩٨٧ .
- ٦٧- المؤيدى : مجد الدين محمد بن منصور الحسنى :  
التحفة شرح الزلف ، الطبعة الاولى / ١٢٨٩ هـ .
- ٦٨- ابن التميمي : محمد بن اسحاق :  
الفهرست ، بيروت / ١٩٧٨ .
- ٦٩- نظام الملك :  
سياست نامه ( سر الملوک ) ،  
ترجمة يوسف حسين بكار الدوحة / ١٩٨٧ .
- ٧٠- النعمان : القاضي بن حيون المغربي :  
- افتتاح الدعوة ، تحقيق فرحات الدشراوي ، تونس .  
- المجالس والمسائرات .



- ٧١- التوبختي : أبو محمد الحسن بن موسى :  
مرق الشيعة ، تحقيق هـ. ريفر ، النجف الاشرف/١٩٥٩ .
- ٧٢- القويري : شهاب الدين :  
نهاية الارب في فنون الادب ، ج ٢٢ ،  
تحقيق حسين نصار ، القاهرة/١٩٨٣ .
- ٧٣- النيسابوري : أحمد بن إبراهيم :  
استنار الایام ، نشر ایمانوف ، مجلة كلية الآداب — جامعة القاهرة .
- ٧٤- الهمداني : قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد :  
تثبيت دلائل النبوة ، تحقيق عبد الكريم عثمان ، بيروت/١٩٦٦ .
- ٧٥- ابن الوزان : الحسن بن محمد المعروف بابو الأفریقی :  
وصف أفريقيا ،  
ترجمة عن الفرنسية محمد صبحي ومحمد الأخضر بيروت/١٩٨٣ .
- ٧٦- الوثريسي : أحمد بن يحيى :  
المعيار المغرب والجناب المغرب ، من فتاوى علماء إفريقية والاندلس  
والمغرب بيروت/١٩٨١ ،
- ٧٧- التيماني : محمد بن محمد :  
سيرة جعفر الحاجب ، نشر إيتانون مجلة كلية الآداب — جامعة  
القاهرة .
- ب — مراجع عربية ومعربة :
- ١ — إبراهيم أحمد العلوي :  
بلاد الجزائر ، تكوينها في العصر الاسلامي ، القاهرة/١٩٧٠ .
- ٢ — احسان الهی ظهير :  
الاسماعيلية ، تاريخ وعقائد ، لاهور/١٩٧٦ .
- ٣ — أحمد بدير :  
هجرة الثقلانية من المشرق الى المغرب في القرن الثاني للهجرة ( من  
محاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الاسلامية )  
دمشق/١٩٨١ ص ٧٥ — ٩٧ .
- ٤ — أحمد بن عامر :  
الدولة الصنهاجية ، تونس/١٩٧٢ .

- ٥ - **أحمد مختار الميادى :**  
- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية/١٩٦٨ .  
- في التاريخ العباسى والفاطمى ، الاسكندرية/١٩٨٢ .
- ٦ - **الأعظمى :**  
- عبقرية الفاطميين .
- ٧ - **أيمن فؤاد سيد :**  
- الدولة الفاطمية في مصر .
- ٨ - **برنارد لويس :**  
- أصول الاستيعابية ، ترجمة خليل جلولو ومسلم السرجب  
القاهرة/١٩٤٧ .
- ٩ - **بيل : الفرد :**  
- الفرق الإسلامية في الشمال الأمريكى ، ترجمة عبد الرحمن بـندوى  
بيروت/١٩٨١ .
- ١٠ - **حسن إبراهيم حسن :**  
- تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة/١٩٦٤ .
- ١١ - **حسن أحمد مصطفى :**  
- الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا - ج ١ - القاهرة/١٩٦٢ .  
- مجلة الشيعة في إفريقيا في القرن الخامس الهجرى . مجلة آداب  
القاهرة/١٩٥٠ ص ٩٣ - ١٠٠ .
- ١٢ - **حسن حسنى عبد الوهاب :**  
- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، تونس/١٩٧٢ .
- ١٣ - **الحسن السائح :**  
- الحضارة الإسلامية في المغرب العربى ، تونس/١٩٦٨ .
- ١٤ - **الحبيب الجناحاني :**  
- القروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربى  
تونس/١٩٦٨ .
- ١٥ - **حسين بن فضل الله الهمداني :**  
- في نسب الخلفاء الفاطميين ( مقدمة ) .

- ١٦— **حسين مؤنس :**  
— معالم تاريخ المغرب والاندلس ، القاهرة/١٩٨٠ .
- ١٧— **رشيد بوزويبة :**  
الجزائر في عهد الفاطميين والزيريين ، ( ضمن كتاب الجزائر في العهد الاسلامي - تعريب محمد بلقراذ ص ١٣٣ - ١٩٨ ) الجزائر/١٩٨٤ .
- ١٨— **سعد زغلول عيد الحميد :**  
تاريخ المغرب العربي ، الاسكندرية/١٩٧٦ .
- ١٩— **سهيل زكار :**  
— اخبار القرايطلة ، دمشق/١٩٨٢ .  
— الفكر الاسماعيلي في تطوره الاثريتي ( من كتاب ملتقى القاضي النعمان باللهدية ) ص ٢٧ - ٤٣ ، تونس/١٩٧٧ .
- ٢٠— **السيد عيد العزيز سالم :**  
تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، الاسكندرية/١٩٨٢ .
- ٢١— **شتروتمان :**  
مادة الشيعة - دائرة المعارف الاسلامية .
- ٢٢— **صالح ياجيه :**  
الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية الاولى ، تونس/١٩٧٢ .
- ٢٣— **ابن ابي الضياف :**  
اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان ، تونس/١٩٦٣
- ٢٤— **الطاهر احمد الزاوي :**  
تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ليبيا/١٩٦٩ .
- ٢٥— **عادل علي الحميد :**  
قيام الدولة الفاطمية في بلاد افريقية والمغرب ، القاهرة/١٩٨٠ .
- ٢٦— **عيد الحليم عويس :**  
دولة بني حباد ، بيروت/١٩٨٠ .
- ٢٧— **عيد الرحمن محمد الجيلالي :**  
تاريخ الجزائر العام ، بيروت/١٩٨٠ .

- ٢٨- **عبد الميزز الدوري :**  
مقدمة كتاب أصول الاسماعيلية .
- ٢٩- **عبد الله العروى :**  
تاريخ المغرب العربي - محاولة في التركيب ، ترجمة ذوقان شردود  
بيروت/١٩٧٠ .
- ٣٠- **عبد الله كنون :**  
النوع المغربي في الادب العربي ، بيروت/١٩٧٥ .
- ٣١- **عوض محمد خليفات :**  
النظم الاجتماعية والقروية عند الايباضية في شمال افريقية في مرحلة  
الكتبان ، عمان/١٩٨٢ .
- ٣٢- **عبد النعم ماجد :**  
ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، الاسكندرية/١٩٦٨ .
- ٣٣- **كامل مصطفى الشبيبي :**  
الفكر الشيعي والتزعات الصوفية ، بغداد/١٩٦٦ .
- ٣٤- **مبارك محمد الميلي :**  
تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، الجزائر/١٩٦٢ .
- ٣٥- **محمد جمال الدين سرور :**  
- الدولة الفاطمية ، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها  
القاهرة/١٩٧٠ .
- ٣٦- **محمد السعيد جمال الدين :**  
دولة الاسماعيلية في ايران ، القاهرة/١٩٧٥ .
- ٣٧- **محمد السيد ابو العزم :**  
الامر السياسي للملكية في شمال افريقية حتى قيام دولة المرابطين  
مكة المكرمة/١٩٨٥ .
- ٣٨- **محمد الطالبي :**  
- الدولة الاغلبية ، ترجمة المنجن الصيادي ، بيروت/١٩٨٥ .  
- دراسات في تاريخ افريقية وفي الحضارة الاسلامية في العصر الوسيط  
تونس/١٩٨٢ .

- ٣٩- محمد عبد الله عثمان :  
الحاكم يأمر الله واسترار الدعوة الفاطمية ، القاهرة/١٩٥٩ .
- ٤٠- محمد كامل حسين :  
طائفة الاسماعيلية ، القاهرة/١٩٥٩ .
- ٤١- محمد العروسي المطوي :  
سيرة القيروان ، سيرتها الدينية والثقافية في المغرب الاسلامي  
تونس/١٩٨١ .
- ٤٢- محمد ولد دادة :  
مغزو الملك في المغرب ، بيروت/١٩٧٧ .
- ٤٣- مصطفى شالب :  
- تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، سلمية/١٩٧٩ .  
- الحركات الباطنية في الاسلام ، بيروت/ب.ت .
- ٤٤- موسى لقيال :  
دور كتابة في تاريخ الخلافة الباطنية ، الجزائر/١٩٧٩ .
- ٤٥- وداد القافى :  
الشيعة البعلية في المغرب، الاقصى ( من اطفال المؤتمر الاول لتاريخ  
المغرب وحضارته ) ج ١ ص ١٦٧ - ١٩٤ ، تونس/١٩٧٩ .
- ٤٦- يوسف سليم النيبسي  
اهل التوحيد « الدروز » ، لبنان/١٩٩٢ .

ج - مراجع اجنبية :

1. GOLVIN;  
Le Magrib central à l'époque des Zirides; Recherches d'archéologie  
et d'histoire.
2. IVANOW, W;  
— Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids, Calcutta,  
1942.  
— The Alleged Founder of Ismailism, Bombay 1946.



فهرس الموضوعات

التشيع في بلاد المغرب الاسلامى

٢	١ - مقدمة
٥	٢ - فاطميون أم عبيديون
٥٣	٣ - التشيع في بلاد المغرب قبل قيام الدولة العبيدية
٦٥	٤ - أبو عبد الله الشيعى وقيام الدولة العبيدية
٨٦	٥ - عبيد الله المهدي ورجلته الى بلاد المغرب
١٠٧	٦ - التشيع في بلاد المغرب في عصر ائمة العبيديين
١٢٩	٧ - التشيع في بلاد المغرب في عهد بنى زيري
١٧٤	٨ - مصادر ومراجع البحث





رقم الإيداع ١٩٩٣/٧١٣٠

الترقيم الدولي 977 - 00 - 5468 - 2

( مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ١٠٣٠/١٩٩٣/٤٢ )



تم الطبع  
بمطبعة جامعة القاهرة  
والكتاب الجامعي  
المدير العام  
البرنس حموده حسين  
١٩٩٣/١١/٣٠

